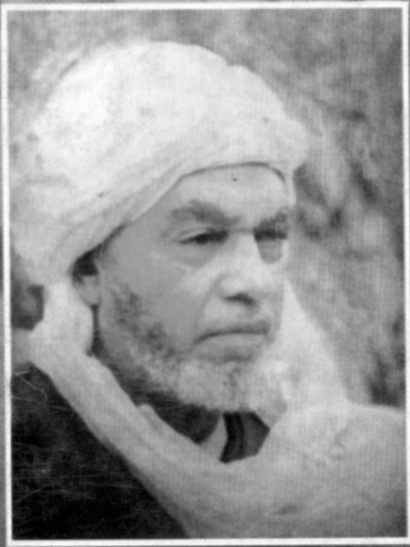


موسوعة الدين القيم

٥

# الدين القيم وقضايا العصر



حول التوحيد  
ودلائل النبوة

الشيخ

محمد الحافظ التجاني

# الدين القيم وقضايا العصر

لخاتمة حفاظ عصره العارف بالله تعالى

**الشيخ محمد الحافظ التجاني**

رضى الله عنه

(١٣١٥ / ١٣٩٨ هـ - ١٨٩٧ / ١٩٧٨ م)

جمعه ورتبه وراجعہ

**الشيخ أحمد محمد الحافظ التجاني**

**دار غريب**  
للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة

الكتاب : الدين القيم وقضايا العصر (٥)

المؤلف : أحمد محمد الحافظ التجانى

رقم الإيداع : ١٩٧٦

تاريخ النشر : ٢٠٠٥

الترقيم الدولى : 3 - 544 - 215 - 977 - I. S. B. N.

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناسر ولا يسمح

بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأى

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناسر

الناسر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاطوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول  
والمعرض الدائم { ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

**القسم الخامس : حول التوحيد  
ودلائل النبوة**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين صلاة تامة كاملة بكمال الدين ، صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضى والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير وتكون لنا بها وليا ونصيرا أنت ولينا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير .. أما بعد ؛

إن علم التوحيد من أجل العلوم وأفضلها لأن مكانته بمثابة الرأس فى الجسد ، ولأن الإنسان يمكن أن يعيش بيد واحدة وبرجل واحدة وبعين واحدة وهكذا ولكنه لا يمكن أن يعيش بدون رأس . ولذلك فإن رأس الأمر الإيمان بالله عزوجل ، ولذا يقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء : ٤٨) .

ومن هنا كانت عقيدة الأنبياء واحدة ، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥) .

ويأمرنا الحق عز وجل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فى حياته وبعد وفاته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (الزمر : ٣٠) وقال أيضا : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) .

وكما أن طاعة الله والرسول واجبة على كل مسلم فالله عز وجل أمر أيضا بطاعة أولى الأمر حتى لا تكون الحياة فوضى فإذا حدث خلاف في فهم النصوص فلنحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء : ٥٩) . ولعل من أخطر الخلافات بين العلماء اختلافهم في العقائد لأن ذلك يؤدي إما إلى الإيمان وإما إلى الكفر والعياذ بالله . ومن هنا كان اهتمام شيخنا الإمام الجليل العارف بالله المحدث والمفسر فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجاني - رحمه الله - بالحديث عن التوحيد ومسائل الاعتقاد في كل مناسبة بكل ما يقتضى توضيح هذه المسائل كتابة أو قراءة أو سماعا ، فقد كتب فضيلته وأفرد في التأليف كتاب : (معرفة سر الوجود - الله) ، وأهل الحق العارفون بالله - السادة الصوفية - وسنة الرسول ﷺ . وسبيل الكمال في التوحيد، ورسول الإسلام ورسالته الجامعة ، ورد أكاذيب المفترين على أهل اليقين ، وقصد السبيل، وتفسير القرآن الكريم ، حيث فسر أكثر من ثمانية أجزاء من كتاب الله عز وجل ، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، والحق في الحق والخلق وكتاب (رد أوهام القاديانية) في قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب : ٤٠) ، ورسائل في التوحيد والدفاع عن التصوف الحق ، الخالي من شوائب البدع والاختلاط والانحراف عن الطريق المستقيم طريق الله العزيز العليم . فكتب كتاب (الحد الأوسط بين من فرط ومن أفرط) كما تحدث عن الصحبة الروحية لرسول الله ﷺ في كتاب (علماء تزكية النفس) وعن رؤية النبي ﷺ في اليقظة وأن أمرها كأمر الرؤيا في المنام إلا أنها عزيزة نادرة .

وإن من أجل أعمال شيخنا - رحمه الله - إصدار مجلة طريق الحق الإسلامية والتي فُند فيها دعاوى المبطلين من أهل الزيغ والضلال ، وأصحاب المذاهب الهدامة أولئك الذين يلبسون على الناس فهم نصوص القرآن والسنة فهما صحيحا



وقد كانت المجلة توزع على عدد كبير من الدول الإسلامية والأوروبية ، وقد ظلت هذه المجلة فى الصدور طوال ثلاثين عاماً من عمره المديد - ﷺ - وقد تناول فيها التفسير وشروح الأحاديث النبوية و بخاصة الأحاديث التى عزَّ فهمها على بعض علماء العصر الحديث والإجابة عن استفسارات القراء الكرام من سائر البلدان قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧)

فبين شيخنا الإمام الجليل أن هناك فرقاً شاسعاً ما بين الحب فى الله وبين عبادة غير الله - فعبادة غير الله شرك ، وأما الحب فى الله فهو عمل صالح يؤجر عليه ويشاب لأنه طاعة لله عز وجل ، وفى الحديث القدسى عن رب العزة يقول الحق عز وجل : « وجبت محبتى للمتحابين فىَّ وللمتباذلين فىَّ وللمتزاورين فىَّ ».

يعتقد اليهود اعتقاداً جازماً أن الذبيح هو سيدنا إسحاق وهى إحدى أكاذيبهم التى يروجونها وقد تصدى شيخنا الحافظ عندما زار فلسطين فتقابل مع بعض أئمة اليهود وتناقش معهم فى أمر الذبيح وقولهم إنه إسحاق ، فقال لهم : الموجود عندكم فى التوراة : (خذ ولدك وحيدك إسحاق) ، وهذه العبارة فيها تناقض لأن إسحاق لم يكن وحيداً فسيدنا إبراهيم وُلد له على كبر سيدنا إسماعيل وقد ولد بعده سيدنا إسحاق فلا يعد وحيداً. إذن لابد أن هناك كلمة أضيفت إلى النص ، إما أن تكون كلمة إسحاق أو كلمة وحيدك. من الذى وضع الكلمة الزائدة ولمصلحة من؟ نتساءل هل التوراة فى يد العرب أم فى يد اليهود ؟ فقالوا : نعم هى فى يدينا ولم تكن فى يد العرب.

فقال - ﷺ - لو أن التوراة فى يد العرب فإن من مصلحتهم أن يضيفوا كلمة وحيدك . ولو أن التوراة فى يد اليهود فإن من مصلحتهم أن يضيفوا كلمة إسحاق .



هنا سقط فى أيدي أحبار اليهود واعترفوا بأن كلمة إسحاق مُقحمة فى النص ولم ترض هذه النتيجة أحد أحبارهم فقال : خروجاً من هذا المأزق : (إن إسحاق هو وحيد فى المحبة) ، وكان كبيرهم واسمه عمران صامتا فوجه إليه شيخنا الكلام قائلاً : يا عمران ألم يكن سيدنا إبراهيم يحب ابنه إسماعيل ؟ فأجاب : لا والله كان يحبه كمحبته لإسحاق. وهنا قامت عليهم الحجة بتكذيب ادعائهم ، وهذا قليل من كثير من أكاذيبهم وصدق رسول الله - ﷺ - إذ يقول : « إن اليهود قوم بُهت » .

وقد سلك شيخنا الإمام الحافظ - رحمه الله - طريق العقل والنقل فى ردوده فأقام الحجة على أناس غيروا التاريخ أو غيرهم ممن يلفق الأمور تبعاً لهواه للتفريق بين المسلمين ، فقد آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب وجمع - رحمه الله - بين العلم والولاية ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف : ٦٥) .

وهنا عزيزى القارئ فى هذا القسم من (التوحيد ودلائل النبوة) وهو قسم من سلسلة (الدين القيم وقضايا العصر) سوف تجد البيان الواضح والحجة الناصعة والناطقة بلسان العقل والحال والتي تعبر عن سماحة الشريعة الإسلامية وبلاغة الرسول العربى الأمين - ﷺ - يعرضها مولانا الإمام الحافظ - رحمه الله - عرضاً يسيراً يقنع العقل ، ويشرح الصدر ، ويطمئن القلب ، وأسوق مثالا على ذلك من حديث رسول الله - ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له » فنرى من بعض مفرقى كلمة المسلمين والذين يوقعونهم فى خلافات مَقِيَّة تصل إلى المبارزة بالكلمات وقد تصل إلى السباب والشتائم ومن ذلك أن منهم من يعتقد أن هذا الحديث دليل على انقطاع وصول الثواب للإنسان بعد موته كلية إلا من هذه الأمور الثلاثة .

وقد بين مولانا الإمام الحافظ أن هناك فرقاً بين انقطاع العمل وانقطاع الانتفاع بعمل غيره ، فعمله الذى كان يعمل فى الدنيا قد انقطع بموته وأما ثواب

الأعمال الصالحة من سعى غيره من الأحياء المسلمين الداعين له بل المصلين عليه صلاة الجنازة فإن الميت ينتفع بصلاتهم وبدعائهم له وترحمهم عليه .

وكذلك الآية الكريمة : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم : ٢٩) لم تمنع الآية انتفاع الإنسان بسعى غيره . وأوضح فضيلته أن اللام في قوله تعالى : ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ هي لام الملكية أى ليس له ما يملك بعد موته إلا ما كان من سعيه ولا تمنع أن ينتفع بسعى غيره - والشواهد في ذلك كثيرة وقد ذكر شيخنا الجليل من كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ نبذة يسيرة من دلائل النبوة التي لا يسعها مجلدات ضخمة ، فالقرآن الكريم أكبر دليل على نبوة سيدنا رسول الله - ﷺ - ومعجزته الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، هذا بخلاف المعجزات وخوارق العادات الحسية والمعنوية التي أجراها الله عز وجل على يديه الكريمتين . وعلى سبيل المثال نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ورؤى جيش المسلمين بأكمله .

روى البخارى فى صحيحه أن جيش رسول الله - ﷺ - فى سفر من الأسفار ولم يكن لديه ماء ، بحثوا عن الماء فما وجدوا ماء ، فأمر رسول الله - ﷺ - أصحابه أن يبحثوا عن الماء ، فذهب على والزيبر يبحثان عن الماء . فوجدوا امرأة على بعير ركبه وعلى البعير مزادتان (أى قريتان) فقالا لها : أجيبي رسول الله ﷺ ، قالت : ذلكما الصابئ (أى الذى ارتد عن دين قومه) وكانوا يسمون الذى يسلم مرتدًا عن الدين .

قالا : هو الذى تعنين . فأبت فأخذاها عنوة إلى رسول الله - ﷺ - فأمر بمزادة أن يحل وثاقها ، فحل وثاقها ، فوضع المصطفى المختار رسول رب العالمين يده على فم القربة ثم نودى فى الجيش : « ألا فاسقوا واستقوا - اشربوا واسقوا إبلكم واملأوا قريكم ، فملأ الجيش القرب ، وشربوا وكانوا ظمأ حتى ارتووا ، والمرأة تنظر وترى ، ربط رسول الله - ﷺ - القربة وقال لها : لقد علمت أننا ما رزئنا من مائك شيئاً ولكن الله أسقانا .» أى ما أخذنا من مائك شيئاً ، ثم أمر لها ،

فحملوا لها على بعير من أقط اللبن المجمع ، ومن دقيق سويق ومما أفاء الله تبارك وتعالى عليها ، حتى حمل أصحابه لها بعيرا ، ثم قال لها : سوقى هذا البعير معك .

رجعت المرأة إلى قومها فقالت : يا قوماء والله ما رأيت كاليوم . أى ما رأيت مثل ما رأيت اليوم ، فإما أن يكون أسحر ما بين هذه وهذه وأشارت إلى السماء والأرض ، أو أنه كما يقول حقا رسول الله - ﷺ - .

يقول مولانا الشيخ محمد الحافظ : السحر شئ والحقيقة شئ آخر . فزوال العطش لا من فرد ، ولكن من جيش بأجمعه يشرب ويملاً القرب ويسقى الإبل ، وهل الإبل تتخيل أنها ارتوت ؟ هذه بركة رسول الله - ﷺ - .

ومنها أيضا الإسراء والمعراج ، وَرَدُّ عَيْنِ قَتَادَةَ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَكَلَامِ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ بَعْدَ طَهْيِهَا ، وغير ذلك كثير وكثير لا تسعه مجلدات ضخمة ، وإنما جمعنا بعض الإشارات والآيات والأحداث والأحاديث التي تدل دلالة قاطعة على نبوة سيدنا محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (البقرة : ١١٩) .

ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

(آل عمران : ١٤٤) .

ويقول أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٤٥) هذا قليل من كثير ، وما من معجزة وقعت لنبي قبل رسول الله - ﷺ - إلا وجاء الله بمثلها لرسول الله - ﷺ - وإكرام الله عز وجل لصحابة رسول الله هي معجزة له ﷺ .

والله يقول الحق وهو يهdy السبيل وبالله التوفيق .

أحمد محمد الحافظ التجاني

## التوحيد والإسلام

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٣) .

والعطف هنا لا يقتضى المغايرة ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾

ووجود المفتقرات أمر مقطوع به ولا يعقل وجود المفتقر من غير وجود من يستند إليه ، فلا يعقل أن يخلو الأمر من غنى تستند إليه تلك المفتقرات فوجوده ذاتي وكمالاته ذاتية - ذلك هو الواجب سبحانه ، ويستحيل أن يكون إلا واحدا وأقل ما يتصور من تعدد الأغنياء اثنان .

فإما أن يمكن لأحدهما أن يخالف الآخر أو لا يمكن ؟ حتى على فرض اتفاقهما فإن كان لا يمكن فقدرفته محدودة فهو عاجز وغناه محدود فهو مفتقر وإن أمكنه مخالفة صاحبه فلن تنفذ إلا إرادة واحد منهما ، فلا يثبت إلا واجب واحد وهو الغنى وحده الغنى الذاتى المطلق ، لا يتصور فيه حد ولا قيد وما سواه مفتقر إليه يستمد منه وجوده وحياته وقدرته وسمعه وبصره وسائر أحواله .

ذلك شأن الوجود كله .

وما لا يصح الإيمان إلا به يشترك فيه جميع المؤمنين ، ويتفاوتون فيما وراء ذلك وهذا الذى قال الله تعالى فيه ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح : ٤) ومن هنا كان الناس فى الإيمان والتسليم تتفاوت مراتبهم حسب الإجمال والتفصيل ودقة المشاهد واختلاف المشارب.. وقد سمعنا أن الكامل يرى الله فى كل شيء ، كما نسمع أن قوما يرون هذا القول ربما كان ضربا من الحلول ، والحق سبحانه منزّه عنه باتفاق .

فإذا علمنا مقصد العارفين فى قولهم هذا فقد زال الإيهام .

وظهور علم العالم فى الكتاب أوضح وأجلى وأثبت من الورق والمداد ، فليس من المعقول أن الورق والمداد كتب الكتاب بلا عالم فمصدر العلم عالم لا الورق ولا المداد وهذا أمر ضرورى يقينى لا يتطرق إليه احتمال وإن شئت فقل ظهور العالم فى الكتاب أظهر من الكتاب .

وظهور الصورة فى المرآة أوضح منه مصدر الصورة فإن الصورة إنما ظهرت وقامت بالأصل لا بنفسها وهذا أمر يقينى كذلك .. ولا أحسبنى فى حاجة إلى بيان أن الحق سبحانه منزّه عن المحسوسات وشبهها فليس المراد قطعاً ما يمت إلى الصورة الحسية بسبب وإنما المراد المعنى الذى أفاضه الحق فإنه سبحانه السميع البصير الحى العليم وظهرت آيات كماله فى الخلق فجعل منها حيا به عليما به سميعا به بصيرا به .

فإذا قلنا إن الحق هو الظاهر فى الكائنات وأن ظهوره أوضح من الكائنات فهذا حق ، لأن العالم الذى كتب الكتاب ما كتبه بنفسه ولكن الله هو الذى علمه ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة: ٦٤) ، فالواجب الذى له الوجود الذاتى هو سبحانه الظاهر إن شئت فنقل علمه ظهر أو قل ظهرت ذاته بعلمها وقدرتها فهو اختلاف فى التعبير والحقيقة واحدة.

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

ومن الناس من رأى الكائنات فوقف عندها ، ورأى أنها الفاعل بذاتها ، وهذا لا شك فى كفره وفى ظلمته وضلاله ولا حجة له .

والمؤمن يتجاوزها ولا ينظر إلا إلى مصدرها الحق ، فلا يرى الكون إلا كتاباً ما كتب نفسه وإنما هو أثر الكاتب . هو علم العالم هو ظهور للعالم بعلمه فيه هو مجلى للذات بوصف من أوصافها وهذا معنى ظهور الحق فى ثياب التشبيه .

ودع من يتصور فى كلامهم رضى الله عنهم ما لا يخطر ببالهم من التصورات الأرضية التى هى من أشد المحالات استحالة عندهم .

ودوام هذا المشهد أعظم من الذكر باللسان فإن صاحب هذا المشهد كله ذكر لأنه فرح بقرب الحق بل قل بقيوميته بالحق.

ومن دام شهوده لقيوميته بالحق وسريان المدد الإلهي فكيف لا يفرح بالله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس : ٥٨).

وأى ذكر يوازي هذا الذكر أن يرى ذكره بالله وشكره بالله وصبره ووجوده بالله حتى شهواته يرى فيها نعمة الله ، رحمة الله وإحسان الله .

وهناك من الأطفال من حمل كلام الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي على غير وجهه في قوله : إن من أعظم مشاهد التوحيد ، رؤية الحق حال الملامسة بين الرجل والمرأة .. نعم من أعظم التوحيد أن تنسب النعمة إلى المنعم الحقيقي والزواج نعمة « وفي بضع أحدكم صدقة » ، وليس من السهل أن ينسى الإنسان بشريته حال مخالطته لحله شاكرا لربه إنعامه عليه أن أبعدته عن الحرام وأنعم عليه بالحلال وزاده ، نعمة بذكره فيه وشكره .

هذا معنى رأى ربه المنعم في جميع أحواله حتى في الحال التي تتقلب الحيوانية على الناس فيها لا أنه عبد امرأته ، فهو تصور من لا مجال له في هذا الوادي ، وادي التوحيد الحق الذي هو حال الصديقين الأطهار.

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٤)

قد خلت : قد مضت ، وأنتم مكلفون بالإيمان والعمل فإن تركتم الإيمان والعمل فلن تنفعكم نسبة إلى العاملين فإن آمنتم وعملتكم ما استطعتم فقد صح عن المعصوم «أنت مع من أحببت» وبذلك يتبين معنى قوله ﷺ . يا صفية عمة رسول الله انقذى نفسك من النار لا أغنى عنك من الله شيئا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الطور : ٢١) فثم فرق بين المؤمن وغير المؤمن.

وسؤال الشخص عن عمل الغير ولم يقره ولم يتسبب فيه غير معقول فى شرعة  
العدالة ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة : ١٣٥) .

إذا سئل اليهود عن إبراهيم عليه السلام قالوا إمام صدق اجتباه ربه وهداه  
وتشهد النصارى له بأنه ممن أحبههم الله ونحن نشهد هذه الشهادة وإذا فنحن  
متفقون على أن إبراهيم عليه السلام على صميم الحق وأنه امام هدى . فلنتبع ملة  
إبراهيم الذى لا خلاف بيننا فى هداه ولنترك كل ما يخالفها فإن ما خالف الهدى لا  
يكون إلا ضلالا وماذا بعد الحق إلا الضلال؟

حنيفا : مائلا عن السبل الباطلة جميعها فهو مستقيم على أمر الدين كله لا  
افراط ولا تفريط والمستقيم أقرب بعد بين نقطتين فهو الطريق القصد .

وما كان من المشركين : نفى أن يكون لله شريك أو ضد أو ند أو ولد أو يشبهه  
شئ أو يشبه شيئا ، وقد ادعى النصارى له ولدا وبعض اليهود كذلك وأكثرهم  
مجسمة يجيزون على الحق سبحانه بعض ما يجوز على الخلق والمجسمون مشركون  
ومنهم من يحمل المتشابه من التنزيل على الأمور المعهودة فى المخلوقات سبحانه  
الله وتعالى عما يشركون ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٦) .

وفى صحيح البخارى قال ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » .

وإذا أصدرت حكومة عادلة حكيمة أمرا مثلا ثم أصدرت أمرا آخر بعده لمصلحة  
الأمة فليس لأحد أن يتبع الأمر الذى غيرته الدولة ، وأولى من ذلك رب العالمين ،  
فنحن مؤمنون بأن السفارات الإلهية كلها حق وقد تقدم أن أصولها واحدة ، ونسخ  
الأحكام فيها إنما أنزل بقدر وهو سبحانه أعلم بمصالح البشر وبالعلاج النقص فيها  
كل زمن بما تقتضيه شئونه والله يعلم وأنتم لا تعلمون، وما من مشرع إلا وتحكم عليه



بيئته فى تشريعہ فلا يصلح فى تشريع للإنسانية عامة إلا ما يصدر من المصدر الأعلى الذى يعلم كنه الحقائق وهو أعلى من أن تصل إليه العادات والتقاليد .

هذا هو الفرق بين التشريع السماوى والتشريع الأرضية . النور والظلمة فكل رسول . إمام هدى . مبلغ عن الله ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الانعام : ١٢٤) . فهم فى المستوى الأعلى من البشرية .

وهل يصح أن يكون إمام هدى إلا إذا زال عنه احتمال مخالفة ما يأمر الناس به؟ وهذه هى العصمة ونحن على يقين أن الرسول مبرأ منزّه عن كل محرم وكل ما يتعارض مع رسالته . لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض بل نؤمن بهم جميعا ، فإن رسالته تحمل الطابع الإلهى فمن آمن بالرسول فقد آمن به لأنه رسول الله وعرف أنه رسول الله بشهادة الله له الشهادة العملية بالمعجزة أنه صادق فهو حقا رسول الله .

وهذا القدر مشترك بين كل رسول فمن كان مؤمنا بالله حقا فلا يردن الأمر الإلهى من أى كوة ظهر وفى أى وجهة بدا .

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ومادنا مسلمين له هو لا لغيره فسنبتع رسالته فى أى عصر مؤمنين بكل ما أنزله .. آمنا بما أنزل على الأنبياء فى وجودهم ، وهو غير ما كتبه غيرهم بعدهم مما لم يقولوه ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة : ١٣٧) وما أنزل على النبى فى حياته شىء وما وضعه من بعده عن تاريخه شىء . الشقاق : المنازعة ، لأن كلا من المتنازعين فى شق : والمراد به هنا مخالفة الحق .

وقد يقبل فى الإيمان العلم المجمل لأنه الذى تستطيعه العامة ، وليس من الضرورى معرفة التفاصيل ، ومن هنا كان التفاوت والتفاضل ، وكل مؤمن يشترك مع المؤمنين فى أصل الإيمان ويزيد الله بفضله من يشاء ، ومن اعتقد أن وراء

سجف الغيب ما ينافى ما عليه العامة من المؤمنين فقد نقض إيمانه وهو جاهل بالله: ليس من الله فى شئ ، وهو من أضل المشركين فإن آمنوا بمثل ما أمنتكم به ، ويكفيهم الإيمان الجملى وإن لم يصلوا إلى ما وصلتكم إليه من التفاصيل ، وفى قراءة ابن عباس بما أمنتكم به والقراءتان مؤداهما واحد .

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة : ١٢٧) وقد كفاه الله كيدهم وما لحق بالرفيق الأعلى حتى استقر أمر الله ودخل الناس فى دين الله أفواجا وخذل الله الكافرين .

ومطمح الأنبياء نجاح الرسالة وهداية الناس .

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٨)

الفطرة الإلهية التى فطر الناس عليها ولولا التقليد الأعمى لما صرف الناس عنها صارف وقد ركزت فى نفوسهم لأن مرجعها إلى البدهيات اليقينية ولا أحد أحسن من الله صبغة . آمنا بما أنزل الله على مراد الله لا على ما نتخيله .

ونحن له عابدون لا لسواه وهو المكلف لا سواه وهو الذى يدين الناس لا سواه أما أنتم فقد جعلتم له ولدا وشبهتموه بخلقه ووصفتموه بصفات الأجسام والمجسم عبد غير الله لأنه صنع صنما خياليا ثم عبده والله منزّه عن الجسمية والشبه .

ومن الناس من جوز على ربه أن يكون متحركا ينتقل من مكان إلى مكان فى السموات والأرض ويزعم أنه سلفى موحد وهو من أكذب المشركين - قل هو الله أحد- ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٩) فلا نتعصب لشخص لذاته فنحن له هو مخلصون وثمرّة الإخلاص للمخلص لا لمدعى النسب والاصطفاء مع كفره وضلاله ، فلا تسألون عن خطئنا ما دمت لم تشركوا فيه ولا نسأل عن خطئكم وقد أنكرناه .

ولا تستطيعون أن تقولوا إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى فوجودهم سابق لوجود اليهود والنصارى وكانوا على الهدى دين

التوحيد فَهَلُمَّ إِلَى ذَلِكَ الْهَدَى ملة إبراهيم ، هلم إلى الملة المجمع عليها فإن ما لا شك فيه أحق بالاتباع .

قل أنتم أعلم أم الله - بل الله - وقد أرسل الرسول بالحق ولديه مما يشهد بصدقه مثل ما آتى الله النبيين من قبل وإنما عرفتم صدقهم بالمعجزات ، وقد أيد بأضعاف ما أيد به الأنبياء قبله من المعجزات الحسية والمعنوية .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٠)

لا أحد أظلم ممن كتم الشهادة التى أمره الله بها وهى الإيمان بخاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واحذروا الله فإنه عليم بما تعملون ، وسيجزىكم عليه .  
وليس الهدى محصورا فيما جاء به موسى عليه السلام ولا ما جاء به عيسى عليه السلام فإن مصدر الهدى موجود .

ولم يقل أحد منهما إنه خاتم الرسالات الإلهية ، بل بشر بمن بعده وهو صادق وقد جاء خاتم النبيين وآخر المرسلين الذى شهد الله له الشهادة البينة الخالدة .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣)

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة : ١٤١)

وهذا تأكيد لكونهم لا ينفعهم انتسابهم إلى آبائهم وقد ردوا الأمر الإلهى .

أخرج مسلم فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :  
« والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

اللهم اجعلنا من أمته وارزقنا الصدق فى محبته ﷺ والمسلمين آمين .

★ ★ ★

## توحيد الفطرة الإنسانية

إنما جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بغاية الحجة على من سألها ما بين الله وأنزل في كتبه إليها ولم يعدوا ذلك إلى غيره ولن تكون حجة أبلغ من حجج الأنبياء عليهم السلام التي بلغوها عن الله تعالى على خلقه ولا أهدى لهم إن قبلوها قال الله تعالى ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم : ١٠) وقال إبراهيم في محاجة قومه ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِي (٨٠) وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء : ٧٥ - ٨١) فدلهم عليه بالقدرة والتدبير.

وقال موسى عليه السلام في مسألة فرعون إذ يقول ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه : ٤٩ - ٥٢) .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء : ٢٣) قال موسى ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (الشعراء : ٢٤) وقال موسى عليه السلام في آية أخرى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء : ٢٨) فلم يتعد موسى عليه السلام في الجواب عند مسألة فرعون إياه غير ما أنبأه الله به في الكتاب ، وفرعون اللعين أعمى العميين وأعتى العاتين وأخبث المتعنتين أجابه موسى عليه أفضل الصلاة والسلام عن الله عز وجل بالدلالة من خلق الله عليه ، وكذلك محمد ﷺ حين سأله قومه عن الله عز وجل إذ يقولون من يعيدنا فأمره الله تعالى بالجواب لهم ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء : ٥١) وقال من لا شريك له ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي

الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿ (يس : ٧٧ - ٧٨) وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (يس: ٧٩-٨٠) فلم يكلف سبحانه نبيه ﷺ من الحجة والجواب غير ما قاله في الكتاب.

وبلغنا أن النبي ﷺ قال له قومه أنسب لنا ربك فنزل جبريل عليه السلام بسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الاخلاص : ١) وهذا أيضاً قول المعتزلة ممن صرح به منهم قاضى القضاة عبد الجبار فانه قال فى المجلد الرابع من المحيط فى النبوات فى ذكر إعجاز القرآن ما لفظه واتفق فيه أيضاً استنباط الأدلة التى توافق العقول وموافقتها ما تضمنه لأحكام العقل على وجه يبهر ذوى العقول ويحيرهم فإن الله سبحانه بينه على المعانى التى يستخرجها المتكلمون بمعاناة وجهد بألفاظ سهلة قليلة تحتوى على معان كثيرة كما ذكره عز وجل فى نقض مذاهب الطبيعيين فى قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ (الرعد : ٤) وفى الآيات التى ذكرها نفى الثانى وفى غير ذلك من الأبواب التى لا تكاد تحصى .

ومنهم الحاكم أبو سعيد المحسن بن كرامة : فإنه قال فى شرح العيون فى الفصل السابع منه ما لفظه فلا شبهة أنه دعاهم يعنى النبى ﷺ إلى هذه الأصول والنظر إلى الأدلة بما تلا عليهم من الآيات فى أدلة التوحيد والنبوات .

ومنهم مختار بن محمود أحد ناصرى مذهب أبى الحسن البصرى فإنه قال فى كتابه المجتبى فى الاستدلال بطريقة الأحوال فى الطريق الرابع من الباب الثانى بعد ذكر الاستدلال وقد جمعها الله تعالى فى قوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة : ١٦٤) .

وقال فى مسألة الأطفال إن التمسك بكتاب الله المبين أقوى أركان أصول الدين وكذلك هو قول سائر الطوائف .

وقال القاضي عياض فى الشفاء فى ذكر إعجاز القرآن ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة معرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والحجج والتنبية على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الأمم ببراہین قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (يس : ٨١) وقوله تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس: ٧٩) وقوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء : ٢٢) إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم .

وقال الفخر الرازى الأشعرى فى كتابه الأربعين فى الكلام على النبوات فى ذكر المعجزات العقلية : بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد فى تقرير الدلائل على ما ورد فى القرآن .

وقال الغزالى وهو من أئمة الطائفة الشافعية فى الفقه والأصول فى الأصل الأول من الركن الأول من الرسالة القدسية فى معرفة وجود الرب تعالى : وأولى ما يستضاء به من الأبواب ويسلك من طريق النظر والاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان ثم ساق الآيات القرآنية .

وقال صاحب الوظائف فى مذهب أهل الحديث والأثر فى الدليل على معرفة الخالق سبحانه ووحدانيته وعلى صدق الرسول ﷺ : وعلى اليوم الآخر ، وأدلة هذه الأمور فى القرآن . أما الدليل على معرفة الخالق فمثل قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ (يونس : ٣١) وقوله ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ

الْحَصِيدِ وَالنَّخْلِ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿ق: ٦-١٠﴾ وقوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبْنَا وَقَضَبًّا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿عبس: ٢٤-٣١﴾ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿النبا: ٦-١٦﴾ وأمثال هذه الآيات وهى قريب من خمسمائة آية ينبغى للخلق أن يعرفوا جلال الله وعظمته بقوله الصادق المعجز ويرجعوا إلى قوله فإن الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير وعن رسوله البشير النذير ﷺ تقنع وتسكن النفوس وتغرس فى القلوب الاعتقادات الصحيحة الجازمة.

وأما الدليل على وحدانيته فيقع بما فى القرآن من قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿(الأنبياء : ٢٢) ونظائرها .

وأما صدق رسوله ﷺ فيستدل عليه بقوله ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿(الإسراء : ٨٨) ونظائرها وأما اليوم الآخر فيستدل عليه بقوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿(يس : ٧٩) وبقوله ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكْ نُطْفِئْهُ مِنْ مَنِيِّ يُمْنِي ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿(القيامة: ٣٦-٤٠) وبقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿الحج : ٥-٦) وأمثال ذلك فى القرآن كثيرة . فهذه أدلة قاطعة جليلة تسبق إلى



الأفهام ببادئ الرأي وأول النظر ويشترك كافة الخلق فى دركها فأدلة القرآن والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان بل كالماء الذى ينتفع به الصبى والرضيع والرجل القوى ، ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جليلة .

ألا ترى أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وأن التدبير لا ينتظم فى دار واحدة بمديرين فكيف ينتظم فى جميع العالم وأن من خلق علم ثم خلق كما قال تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) فهذه أدلة تجرى مجرى الماء الذى جعل الله منه كل شىء حتى إلى آخر كلامه .

وبالجملة فتقصى كلام علماء الإسلام فى مثل هذا يطول والحاجة إلى الاحتجاج عليه من عود الدين غريباً من أدل دليل على عناد المخالف .  
وليس يصح فى الأفهام شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

★ ★ ★

## هو الظاهر والباطن

اعلم أن أظهر الموجودات <sup>(١)</sup> وأجلها هو الله وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلها لمعنى لاتفهمه إلا بمثال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخطط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وإرادته للخياطة عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه ، وكل ذلك لا نعرف وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها ، وبعضها نشك فيه ، كمقدار طوله واختلاف لون بشرته ، وغير ذلك من صفاته .

أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ، ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته . فلو نظرنا إلى كل ما فى العالم سواء لم نعرف به صفته فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ، ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهد وندرك بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا فى حركاتنا وسكناتنا .

وأظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا

---

(١) الوجود الحقيقى لله وحده وما سواه موجود به لا بنفسه كالسمع الحقيقى لله وحده وما سواه جعله الله سميعا بصيرا فالوجود الذاتى انفرد به سبحانه لا يشاركه فيه غيره بحال .

بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد، وجميع ما فى العالم شواهد ناطقة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته ، والموجودات المدركة لا حصر لها ، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور فى الوجود داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فإنها تنادى بلسان حالها إنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وإنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائها وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فإننا نعلم إنها لم تأتلف بأنفسها .

كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق فى الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعترف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان :

أحدهما خفاؤه فى نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كان أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج النور بالظلام أو ضعف ظهوره .

فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية فى نهاية الاشراف والاستتارة وفى غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ على ظهور ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى أنه ما لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ، ولما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإننا نعلم أنه عرض

من الأعراض يحدث فى الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن أنه لا هيئة فى الأجسام إلا ألوانها وهى البسود والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد فى الأسود إلا السواد وفى الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده ، ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرّفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور . هذا مع أن النور أظهر المحسوسات فما هو ظاهر فى نفسه وهو يظهر لغيره أنظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده .

فإنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدركت بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين فى الدلالة . ولكن دلالة عامة فى الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم فى الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب فى قصور الافهام .

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه فى حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس فى الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وإنما للواحد الحق الذى به وجود الأفعال كلها ، ومن هذه حاله فلا ينظر فى شئ من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق . فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر فى شعر إنسان وخطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى . فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث

إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا له وكان الواحد الحق الذى لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا الذى يقال فيه إنه فنى فى التوحيد وإنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال :

كنا بنا ففنيينا عنا فبقينا بلا نحن

فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض إلى الأفهام أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيههم فهذا هو السبب فى قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان فى الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها ولو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة فالناس طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذى يضرب به المثل إذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذا قيل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر  
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

★ ★ ★

## الرحمة الإلهية

(س) تفضل صديقنا الأديب الدكتور حسن حسنون بموافاتنا ببعض مذكراته مع بعض أصدقائنا في كتاب الله الكريم ، وقد فهم بعضهم في قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الاعراف: ١٥٦) أن الرحمة لا تشمل الكافر فلا نصيب له فيها . وفهم غيرهم أن الكفار لا يخلون من الرحمة حتي الذين لا يرفع عنهم العذاب .

وقد طلب بعض الأحباب أن ينشر ما أجيب به في هذا البحث .

(ج) أخى الأستاذ الفاضل حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع إخوانكم وأصدقائكم . وقد تشرفت برسائلكم التى شرحتم فيها سعة الرحمة وشمولها ، بما نور الله به قلوبكم وشرح به صدوركم فجزاكم الله خير الجزاء .

وبيانا لهذا الأمر إننا لابد أن نسأل :

هل خلق الكفار وتكليفهم وعذابهم فى النار وخلودهم الأبدى فيها يمكن أن يخلو

من الحكمة ١٩

والجواب : حاشا وكلا . بل لابد أن يكون هو عين الحكمة ، ومن قال إن ذلك عبث فهو كافر ضال . لأنه سبحانه الحكيم العليم ، والأعمى لا يفترض على البصير فيما يراه البصير ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . وعلى هذا ، فالكافر المخلوق فى العذاب مظهر للحكمة الإلهية فليس عذابه عبثا باتفاق علماء المسلمين . ومن أساء إلى حارس لا تكون إساءته كمن أساء إلى وزير ولا كمن أساء إلى ملك . ومن أساء إلى رجل أجنبى لا يكون كمن أساء إلى أبيه صاحب النعمة عليه وأعظم من هذا أن

يسئ إلى نبي ومن أساء إلى ربه تبارك وتعالى فقد أجرم فى جناب الكمال المطلق،  
الذى لا نهاية له . وبذلك يستحق عذابا لا نهاية له .

وقال تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الانعام : ٢٨) فحكمهم الكفر الأبدى  
وهو إجرام فى حق الله عز وجل لا نهاية له فلا يقال انهم كفروا مدة محدودة .

ومن اتصف بصفة كمال واحدة لا يكون كمن اتصف بصفتين من الكمال ، وكلما  
زاد المخلوق اتصافا بالكمالات الإلهية ، والقدرة والعلم والحكمة والإرادة والرحمة  
كان أكمل ممن لم يتصف بما اتصف هو به . ومن اتصف بصفة واحدة فهو أكمل  
ممن تجرد عن كل الصفات . وكونه معذبا أو منعما أمر آخر لا يتنافى مع هذا  
القرب . واتصاف الممكن بصفة الوجود وإن كان معذبا يجعله قريبا من الحق  
سبحانه لأنه متصف بصفة من صفاته عز وجل ، فهو أكمل من المعدوم .

ومن كان فى درجة من العذاب أقل من غيره ، فقد نالته رحمة نسبية بالنسبة  
لعذاب من هو أشد منه ، قال تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
أُدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر : ٤٦) والكافر يمكن أن يعذب أشد من درجة  
عذابه فالمرتبة التى هو فيها قد نالته رحمة ما بالنسبة لما هو أشد منها .

وعلى هذا فالكفار لا تخلو حالهم من رحمة نسبية فيندرجون تحت تعلق الرحمة  
العامة . وقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ رَحْمَتِي﴾ (المنكبات : ٢٣) أى الرحمة التى طلبوها وهى  
الرحمة التى يرفع بها العذاب ، وبهذا يتبين عظم رحمة الله تعالى على المؤمنين ،  
هذا على مقتضى ما ذهب إليه أهل الحق . وإذا حققنا الخلاف بين الفريقين  
وجدناه خلافاً لفظياً فإن الفريقين مجمعون على أن الكافر خالد فى العذاب، وأنه  
لا يدخل الجنة كما يدخل المؤمنون . ومجمعون على أن تخليد الكفار فى النار حق  
وأنهم يستحقونه وأن لله فى ذلك حكما منها ما نعلمه ومنها ما لا نعلمه .

فالتعبير عن هذه الحكمة بأنهما من الرحمة العامة أو لا تسمى رحمة إنما هو



خلاف شكلى ، أما الحقائق فمتفق عليها وإنما هو خلاف فى التعبير فهو خلاف لفظى فى التسمية فلا يضر .

والحقيقة أن الرحمة مطلقة عامة شاملة كصفات الحق سبحانه . فإنها غير محدودة ، فكل من دخل الوجود فهو مرحوم بنوع ما من الرحمة فإن خلا من العذاب فهذه النعمة الكبرى .

★ ★ ★

## وان من شيء إلا يسبح بحمده

إننا نسبح بحمد الله والثناء عليه وعلى حسن أفعاله وكمال صفاته ، وكذلك يسبح الله ويشئ عليه سائر مخلوقاته ، سواء فى ذلك ناميها وجامدها ، أرضها وسماؤها ولا غرو من ذلك فإن التسبيح والثناء كما يجريان على لسان المقال تنطق بها الأحوال:

ولله فى كل تحــــريكة      وتسكينة فى الورى شــــاهد  
وفى كل شيء له آية      تدل على أنه الواحد

بيد أن تسبيحها بحمده تعالى شتى الطرق .

إننا هنا مختارون أربعا من تلك الطرق . موضحوها بمختلف الأمثلة لتكون نموذجا يمثله من منحه الله الهداية ويحتذيه من أتاه الله التوفيق للنظر إلى ما لله تعالى من بدائع المصنوعات وروائع الآثار والآيات .

١ - الطريق الأولى تسبيحها بحمده بدلالتها على أنه تعالى حى قادر جبار قاهر له القدرة والملكوت والعزة والجبروت .

تلك طريق تسبيح الكواكب فى أفلاكها والنجوم فى مصاماتها وما على الأرض من ماء متلاطم تياره متراكم زخاره ورواس شامخات وجبال راسيات .

خلقها جلت قدرته فى أسرع مدة بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس : ٨٢) ثم جعلها جل شأنه فى الفضاء معلقة بلا سبب مرفوعة بلا عمد تسبح فى أفلاكها وتجرى إلى منازلها التى قدرت لها غير متخطية ولا متقاصرة عنها .

إنها لتتبع هذا النظام العجيب ولسان حالها يقول :

كل ما ترتقى إليه بوهم من جلال وقـدرة وسناء  
فالذى أبدع البرية أعلى من سبـحانه مبدع الأشياء

٢ - الطريق الثانية تسبيحها بحمده بدالاتها على أفضاله علينا وإحسانه إلينا  
وأنة ذو الفيض العميم والفضل العظيم .

يثنى عليه بذلك كل شيء فى السموات والأرض نستمد منه سرورا وانتعاشا  
وحبورا كالسموات فى زرقتها والحقول فى خضرتها والبساتين فى نضرتها  
والأشجار فى حفيفها والمياه فى خريرها والطيور فى تغريدها والشمس فى  
تدرجها وشروقها وغروبها وفيما تكسبه السماء فى أثائها من جميل المناظر وبديع  
الألوان .

٣ - الطريق الثالثة تسبيحها بحمده بدالاتها على أنه الرؤوف الرحيم .

تلك طريق السحب وحركة الأرض حول محورها فى تسبيحها بحمدالله تعالى  
فمن رحمته أنزل من المعصرات ماء ثجاجا ليخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ومن  
رحمته لم يدع الأرض ساكنة ولم يجعل النهار سرمدا إلى يوم القيامة على أقوام بلا  
ليل يسكنون فيه ويداوون متاعب الحياة ببلسم الراحة والنوم ولا الليل سرمدا إلى  
يوم القيامة على آخرين بلا ضياء يزاولون فيه أعمالهم ويبتغون من فضل الله بل  
سير الأرض من المغرب إلى المشرق وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو  
أراد شكورا .

٤ - الطريق الرابعة تسبيحها بحمده بدالاتها على أنه المدبر الحكيم

فما من شيء من مخلوقاته تعالى إلا وفيه شيء يثنى عليه بالحكمة البالغة  
وحسن التدبير تثنى عليه بذلك الأرض إذ جعلها من الشمس على مسافة لا تستمد  
فيها من حرارتها إلا بمقدار ما تصير به صالحة لحياة الإنسان والحيوان والنبات ،  
ولو شاء ربك فجعلها منها على نصف تلك المسافة أو على ضعفها لأصاب أهلها  
من لفحات الحر أو نفحات القر والصر ما لا روية فيه ولا بقية معه .

وإذ تسرع في حركتها اليومية فيه جعل الله النهار اثنتي عشرة ساعة على المتوسط فلم يدع الأرض تحمى حتى يكون في اشتداد حرها أذى لأهلها وكذلك جعل متوسط الليل اثنتي عشرة ساعة ، تستمد في أثنائها الكائنات الحية حرارتها من المدخر منها في الهواء واليابس والماء .

بهذا التدبير الحكيم وقى الله الأرض شر تحولها فجأة من قيظ النهار إلى زمهرير الليل وبالعكس ، ولو شاء ربك أن تبطل حتى لا تتم دورتها إلا في مائة ساعة مثلا لطال أمد النهار والليالي ولمات معظم ما على الأرض من الكائنات الحية أو آذنتها حمارة القيظ وصبابة البرد .

وإذ تدور حول الشمس ومحورها مائل على فلكها بمقدار  $23\frac{1}{2}^\circ$  إلى هذا الميدان يرجع الفضل في تقلب المناطق المعتدلة في الفصول الأربعة وتمتعها بخيراتها المتنوعة وبه امتد العمران شمالي الكرة الأرضية وجنوبها كما ترى .

ولو شاء ربك فدارت حولها ومحورها في مستوى فلكها كما هو شأن أرنوس لكان لكل بقاع الأرض ليال ونهر كليالي المناطق المجددة ونُهرها وكان البرد في الشتاء أضر بالحياة من زمهرير تلك الأقاليم وكان الحر في الصيف نيرانا تضطرم وودائق تحتدم وتلك حال لا تبقى ولا تذر .

ولو جرت حول الشمس ومحورها عمود على فلكها لكانت حرارة بقاع الأرض على الدوام ثابتة ولم يكن ثمة اختلاف في درجة الحرارة إلا باختلاف العروض ولكان ارتفاع الشمس فوق أفق القاهرة دوما ٦٠° ولحرمت مصر ما تخرجه أرضها من خيرات الشتاء والصيف ولكانت الشمس في جهات القطب الشمالي دائما على حافة الأفق أو قريبا منها فلا تستمد تلك الجهات من حرارتها ما يذيب مياهها فتبقى بحارها على الدوام جمدا وأراضيتها طول السنة مغطاة بالثلوج وربما تناولت تلك الحالة أجزاء من المناطق المعتدلة وطفت الثلوج فامتدت جنوبا حتى تستحيل الحياة ببلاد الشمال من انجلترا والبلاد التي معها في إقليم واحد .

وكذلك الأشجار والنبات فى الحقول والمنتزهات تسبح لله بثنائها عليه بالحكمة البالغة وحسن التدبير فقد جعل سم الحيوان لها غذاء وأوحى إليها أن تستخلصه من الهواء لتتركه صالحا لتغذية الحيوان .

وتثنى عليه بذلك النحل إذ ألهمها أن تبنى بيوتها مسدسات منتظمت وأودع فيها قوة على هضم الرطوبات التى تجمعها من الأنوار وثمر الأشجار وورق النبات والأزهار وجعلها غذاء لذيذا وشرابا صافيا ودواء شافيا .

تلك بعض الطرق التى تسلكها مخلوقاته تعالى فى تسبيحها بحمده وإنها لقل من كثر وغيض من فيض ، فتبارك الله أحسن الخالقين سبحانه لا معقب لحكمه ولا حول ولا قوة إلا به وهو العلى العظيم .

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى بعض خطبه :

(ولو فكروا فى عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب غيلة والبصائر مدخولة) .

ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر .

انظروا إلى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تتال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة إلى جحرها وتعددها فى مستقرها وتجمع فى حرها لبردها وفى ورودها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو فى صفا اليابس والحجر الجامس .

ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وضعها تعباً فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبنائها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ويعنه فى خلقها قادر .

ولو ضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شىء وغامض اختلاف كل حى وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوى والضعيف فى خلقه إلا سواء .

كذلك السماء والهواء والرياح والماء انظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف الليل والنهار وتفتجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول هذه الغلال وتفرق اللغات والألسن المختلفات .

فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما ادعوا وهل يكون بناء من غير بان ، وجناية من غير جان .

وإن شئت قلت فى الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمرراوين وجعل لهما السمع الخفى وفتح لها القم السوى وجعل لها نابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها وتقضى منه شهواتها وخلقها كله لا يكون إلا إصبعا مستدقة فتبارك الله الذى يسجد له من فى السموات والأرض طوعا وكرها ويعنو له خدا ووجهها ويلقى إليه بالطاعة سلما وضعفا ويعطيه القياد رهبة وخوفا .

فالطير مسخرة لأمره أحصى عدد الريش منها والنفس وأرسى قوائمها على الندى واليبس وقدر أقواتها وأحصى أجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طائر باسمه وكفل له رزقه .

وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها وعدد قسمها قبل الأرض بعد جفوفها وأخرج نبتها بعد جذبها .

★ ★ ★

## آيات المنعم فى الكون

اعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق ولأنه غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة فى إيراده فى الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته والشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى نجوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (الكهف : ١٠٩).

فالخوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبية لجنسه فنقول أسهل الطريقتين النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى ثم الأفعال الإلهية كثيرة فلننظر أقل المخلوقات هو الأرض وما عليها أعنى بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هى مثل الأرض ألف ألف مرة وأكثر فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذى هى مركوزة فيه فإنه لا نسبة لها إليه وهى فى السماء الرابعة وهى صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة والكرسى فى العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إلى البحار فقد روى عنه ﷺ «الأرض فى البحر كالأصيل فى الأرض» ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة واعلم أن



المكشوف من الأرض عن الماء لجزيرة صغيرة بالاضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى  
الآدمى المخلوق من التراب الذى هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى  
صغره بالإضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات  
البعوض والنحل وما يجرى مجراه فانظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله  
بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو  
أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير  
سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين . وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة  
فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر فى باطنه من أعضاء  
الغذاء وآلاته مادبره فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغذائية والجاذبة  
والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب فى سائر الحيوانات هذا فى شكله وصفاته .

ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان  
ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو  
محدد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه فى واحد  
منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف  
خلق الخرطوم مع دقته مجوفًا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى إلى باطنه  
وينتشر فى سائر أجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة  
الهرب واستعداد آله وخلق له السمع الذى يسمع به حفيف حركة اليد وهى بعد  
بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم إذا سكنت اليد يعود . ثم انظر كيف خلق له  
حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه ، وانظر إلى أن  
حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتل حدقته الأجفان لصغره وكانت الأجفان مصقلة  
لمرأة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتتظر إلى الذباب  
فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه ، وأما الانسان والحيوان الكبير فخلق  
لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق على أحدهما الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار  
الذى يلحق بالحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء

العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار، وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولأجل ضعف أبصارها جعلها تتهافت على السراج لأن بصره ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الموضع المضى فلا يزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه إليه فإذا جاوز ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها فاعلم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الإنكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمى نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيدها ويهلك هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فإنها باغترارها بظاهرها الضوء إن احترقت تخلصت في الحال ، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله ﷺ ويقول إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش فهذه لمحة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليلة من ظاهر صورته فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى .

ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيه غيره فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعبها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء ولو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصا وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى أميرها من العدل والانصاف بينها حتى أنه ليقتل على باب المنفذ

كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجباً آخر العجب إن كنت بصيراً في  
نفسك وفارغاً من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة  
إخوانك .

ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة  
الأشكال الشكل المسدس فلا تبنى بيتاً مستديراً ولا مربعاً ولا خمساً بل مسدساً  
لخاصية في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو أن أوسع  
الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة  
وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضع الزوايا فتبقى فارغة ثم  
لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا  
جمعت لم تجمع متراسة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من  
المستديرة ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس  
وهذه خاصية هذا الشكل . فانظر كيف ألهم تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة  
قدره وعنايته بوجوده وما هو محتاج إليه لينهاً بعيشه .

فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمة اليسيرة من  
محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات فإن القدر الذي  
بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ولا نسبته لما أحاط به علمنا  
إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما  
استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علماً في جنب  
علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقتين  
وبزيادة المعرفة تزداد المحبة . فإن كنت طالباً سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا  
وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها  
بفكر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكاً عظيماً لا آخر له ؟

★ ★ ★

## الإيمان بالله فى عصر الفضاء

إن الله عز وجل وضع فى الإنسان المقومات التى تقوده إلى الإيمان ثم أرسل الرسل مبشرين عن الله الأوامر والنواهى وقد رأينا أن ننقل هنا ما كتب الشيخ عبد الرازق نوفل فى صدر الصفحة الأولى من جريدة الأخبار ما أذاعته وكالات الأنباء واهتمت به كافة الأوساط فى مختلف أنحاء العالم من أن بعض العلماء فى الاتحاد السوفيتى قد أعلن أنه عدل عن إلحاده وأصبح يؤمن كل الإيمان بوجود إله قد خلق هذا الكون ونظمه أبدع تنظيم .

وليس هذا كما يتبادر إلى الذهن أول تصريح لعلماء روسيا عن عودتهم إلى الإيمان بالله فكلما تعمق العلماء فى دراسة فرع من العلوم وجدوا آيات الله واضحة قاطعة تنطق بوجوده سبحانه وتعالى وتؤكد وحدانيته وتشير إلى عظمته فلا يسعهم إلا أن يعودوا عن طريق العلم إلى الإيمان بالله ، فالعلم والالحاد نقيضان لا يتفقان وخصمان لا يجتمعان لذلك فكثيراً ما قرأنا لهم فى نتائج دراساتهم آيات الإيمان بالله ، فهذا العالم الحيوى الكبير أوبارين رئيس معهد الكيمياء الحيوية يعترف بالخالق جل شأنه بعد أن أمضى أكثر من ثلث قرن فى معاملة يبحث فى أصل المادة الحية وتركيبها وصفاتها فيقرر فى هذا الشأن حقيقة قاطعة تؤكد وجود الله وهى أن الحياة لا يمكن إطلاقاً أن تبدأ من العدم وبذلك انهدمت نظرية التوالد الذاتى التى روّج لها الملحدون واستند إليها الماديون وهى أن الكائنات الحية كلها من أصل واحد وأن هذا الأصل كان بسيطاً وأنه تولد بنفسه من نفسه!!).

وبعد دراسة مستفيضة اشترك فيها علماء من الفلك والكيمياء أمثال فسنكوف وشاين قدر هؤلاء العلماء أن الحياة لم تنشأ مصادفة وإنما خلقت بشكل يتفق مع ظروف كل كوكب وجدت فيه وهذا اعتراف واضح يؤكد وجود خالق مدبر حكيم .

ثم كانت دراسة الفضاء التي تعتبر أحدث ما وصل إليه العلم في دراسته فخرج جاجارين في أول محاولة عرفها التاريخ من الأرض فلم يتمالك نفسه وهو في أول مرحلة أن يصيح وهو مازال في مركبته (باللوعة انه شيء جميل إن الألوان لا أستطيع أن أصفها .. انه بديع .. وبديع جدا) لابد أنه سأل نفسه ترى من أبداع هذا؟ ، وكل من سيخرج بعده ويرى هذا الإبداع سيسأل كذلك فياترى هل من جواب غير ما أجاب به القرآن الكريم في مثل الآية الشريفة ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة : ١١٧) ٩

وانطلق بعده تيتوف الذي جاوز بمركبته ما وصل إليه جاجارين فيعلن أمام مؤتمره الصحفي الذي ضم مندوبين عن صحافة العالم بعد عودته بأنه عندما رأى الأرض فوق رأسه في الفضاء تسبح وتدور سأل نفسه ترى ماذا يمسك الأرض فيجعلها معلقة ولا تسقط .. ألا يعتبر هذا السؤال وأمثاله بداية طريق الإيمان ؟ ، فهل هناك من رد على ذلك غير ما تقرره آيات القرآن الكريم مثل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (فاطر : ٤١) وكذلك ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج : ٦٥) ٩

ويخرج جلين الأمريكي إلى الفضاء منذ أيام فتعلن الأنباء أن أهم ما اكتشفه أثناء رحلته وجود حزام مضى على ارتفاع ١٢٥ ميلا فوق سطح الأرض بالإضافة إلى حشرات النار التي شاهدها تسبح في الفضاء بجوار نافذة كبسولته .

ويتملك العلماء الحيرة فإن هذا الحزام حول الأرض كان متوقعا إذ أكدت الأبحاث العلمية وجوده ولكن ما شأن هذه الحشرات من النار ؟. وقبل أن يصل العلم إلى وجود مثل هذا الحزام تقول الآيات الشريفة عن السماء ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ (الأنبياء : ٢٢) وكذلك ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (الجن : ٨) .

كل هذا والعلماء مازالوا حول الأرض ولم يغادروها إلا إلى مسافة لا تكاد تذكر فكيف بهم لو توغلوا بعيدا عنها في هذا الكون العجيب؟

لقد قرر القرآن الكريم أن آيات الفضاء التي سيوفق الله سبحانه وتعالى إليها العلماء ستكون آيات قاطعة تشهد بوجود الله جل شأنه وتقرر أن القرآن الكريم هو الحق وذلك بالنص الشريف ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وعلى المسلمين الآن أكثر من أى وقت مضى أن يكشفوا للعالم ما جاءت به آيات القرآن الكريم فى مختلف العلوم وأن ينشر ذلك بمختلف لغات العالم حتى يتبين للعلماء أينما كانوا أن كل ما يصلون إليه قد سبق القرآن إلى إيراده أو وجه النظر إليه فى أكثر من سبعمائة آية علمية إذ سيتجه العلماء إلى الأديان المختلفة يدرسونها بعد أن يشفيهم العلم من إلحادهم .

فالسنة الجيوفيزيكية التى اجتمع فيها أكبر حشد من العلماء عرفه التاريخ يمثلون أكثر من ثلاثين دولة لدراسة السموات وما فيها والأرض وأحوالها وكانت موضع اهتمام كافة دول العالم كأنها استجابة لداعى القرآن الكريم إذ دعت كثير من الآيات إلى ذلك مثل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران : ١٩٠) وكذلك ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس : ١٠١)

أما الأحياء فى السماء فمازال العلم يجد فى البحث فيها وتتوالى الأدلة كل يوم لتؤكد وجود حياة فى الكواكب الأخرى وقررت ذلك بعض المراصد ومنها مرصد خاركوف وقسم الفلك التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية وقبل أن يقرر العلم قراره فى هذا الشأن يسبقه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ليقرر وجود أحياء فى الكواكب الأخرى وذلك فى أكثر من عشر آيات مثل ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعْيُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (الإسراء: ٤٤) وكذلك ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الاسراء: ٥٥) وأن هذه الأحياء تتكلم إذ تصدر عنها الأقوال بالنص الشريف ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ

فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿ (الأنبياء : ٤) وَأَنهَا تَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ بِنَصِ الْآيَةِ ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿ (الرحمن : ٢٩) .

هذا غير ما وصل إليه العلم من حقائق في هذا الوجود وسبقه القرآن إلى إيرادها في وقت كان المعروف المتواتر هو عكس ما وصل إليه العلم وقال به القرآن مثل كروية الأرض ودورانها وحركة الشمس وتكوّن الأمطار ومختلف فروع العلم من كونية إلى طبية أو حيوية أو نباتية وغيرها .

إن التقدم العلمى الذى أظّل سماء الأرض فى هذه الآونة لهو البشير بحلول عهد جديد من الإيمان بالله عن طريق العقل والعلم وستكون الإيجابية المادية سبيل الإيمان بما يراه العلماء من آيات صارخة وأدلة أكيدة عندما يخرجون إلى الفضاء إلى الحد الذى أراده الله سبحانه وتعالى يعرفون ما شاء الله لهم وسيعود العلماء دعاء لله .

(س) كيف تكونت الأرض؟ وما معنى : دحاها؟ وكيف تكونت السماء؟

(ج) قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ (النبا : ٦) فى القاموس المهد: الموضع الذى يهيا للصبي كالمهاد، جعلها فراشا وبساطا ممهدا .

وكل سطح محدودب إذا كان الفرق بين أجزائه يسيرا لا يشعر من يسير عليه باختلاف بين أجزائه ، وخصوصا إذا كان السائر نسبته إلى الجرم الأصى ضئيلة ، ويمكنك أن تقارن بين حجم إنسان وبين حجم جبل فنسبته إليه لاتكاد تذكر فكيف بالفيافى والوهاد فى الأرض كلها .

فإذا كان الفرق فى كل خمسة أمتار جزءا من مائة من المتر أى «سنتى ففى كل خمسين مترا « ١٠ سنتى» وفى كل خمسمائة متر ، متر وفى كل ألف متران ، وهذا فرق لا يميزه الإنسان إلا بملاحظة وميزان ، ولا يخرج سطح الأرض مع هذا عن كونه مهادا وبساطا ومسطحا .



وقد مهدت الأرض للإنسان فليست مغطاة بالطين الرخو ولا بالرمال المنهالة  
التي يغوص فيها حتى تبتلعه ولا مغطاة بالصخور المحدودة كالخناجر فأعدها الله  
برحمته وحكمته صالحة لسير البشر وجلوهم ونومهم وزراعتهم وحياتهم.

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (النبا: ٧) وقد قرر الباحثون من العلماء فى العلوم الكونية  
فى عصرنا الحديث أن الأرض والشمس مع عدة كواكب كانت كتلة واحدة نارية  
ملتهبة تدور سابعة فى الفضاء ، وليس الفضاء معدوما وإنما هو وجود خارجى له  
كيان تسبح فيه الكواكب وأصولها التى تتكون منها والتى يسمونها الدم .

ثم انفصلت أجزاء من هذه الكتلة فكانت كرات نارية دائرة فى الفضاء لأن  
الأصل الذى انفصلت عنه كان دائرا . والأرض من هذه الأجزاء المنفصلة .

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠)

والأرض بتأثير العوامل أخذت تبرد شيئا فشيئا فبردت قشرتها التى تحيط  
بها واشتدت صلابتها فكانت طبقة صوانية نشأ منها الليل والنهار ، فإن الليل  
والنهار لا يظهران فيها وهى كتلة نارية . ونسب الليل والنهار للسماء لأن منشأهما  
على الأرض الضوء الواصل إليها من الشمس وهى فى السماء ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ  
ضُحَاهَا﴾ (النازعات : ٢٩) ثم تكونت الجبال من تلك القشرة الصوانية الضاربة فى  
طبقات الأرض وارتفعت فوقها حافظة لها من أن تميد وتضطرب بفعل المواد  
الملتبهة والمعادن المنصهرة فى باطنها ولذلك إذا انفتحت فتحة صغيرة فى القشرة  
خرج منها اللهب فأتى على ما حوله فتصور كيف يكون الحال من الاضطراب لولا  
حفظ الله عز وجل الأرض بالجبال.

وقد جعلها سبحانه وتعالى مخازن للمعادن وللمياه وحابسة للسحاب وللتيارات  
الهوائية وهى بمثابة حلقة من معمل لصنع الماء العذب من الماء الملح الأجاج .

﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (الغاشية : ١٨) .

ولينظروا إلى السماء ونظامها وإحكامها ، وكيف أنها شيدت متوازنة النسب

بين كواكبها وأبعادها بمقادير منضبطة.. لا يتطرق إليها خلل . تؤدي ما سخرت له وما صنعت لأجله بترتيب بديع وتناسق محكم ولم يصل بعد إلى ضبط موازينها جماهير العلماء مع تضافرهم على البحث والتفكير . وإنما كشف لهم عن لمحة من أسرار لا تحد ولن يزالوا فى سياج ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء : ٨٥) .

﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ (الفاشية : ١٩) .

ولينظروا إلى الجبال وما فيها من المنافع وقد جعلها الله مرتفعة ضاربة فى السماء مانعة للصواعق . مجتذبة للمياه العذبة من السحب من الماء الملح وهى مخازن للمياه العذبة ومانعة من انفجار باطن الأرض بالنيران الملتهبة وإلا لمادت الأرض بما عليها وغرقوا فى اللهب . وفيها ما لا يحصى من المنافع .

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الفاشية : ٢٠) .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ (النبا : ٦) ولو جعلت الأرض حزونا صلبة لشقت الحياة على أهلها فمهدها لهم برحمته وحكمته .

وقد اعترض بعض الجهلة ممن يظن فى نفسه العلم . مع أن العلماء والمخترعين والمكتشفين يقررون أنهم مازالوا فى بداية طريق المعرفة اعترض كيف أن الأرض سطحت وهذا ينافى كونها كرة . ولم يدرك هذا المسكين أن قوله تعالى ﴿ سطحت ﴾ لا شأن له بالبحث الذى يبعثه هؤلاء . فإن هؤلاء يطلقون الأرض على مجموع اليابس مع المياه المتفرقة فى المحيطات . وهذا الاطلاق اصطلاحى حادث لا يعرف فى لغة العرب التى نزل بها القرآن وإنما يطلق فى التنزيل على الأرض اليابسة فحسب ولا يتناول المحيطات ولا يقول عاقل إن اليابس من الأرض وحده كرة . فكلام الله عز وجل حق لا مرية فيه .

والمقابلة واضحة بين ارتفاع الجبال فى السماء وبسط الأرض وتمهيدها للحياة فينزل الله من الجبال ماء يسقى به الأرض . فجعل الجبال عالية لحكمة وبسط الأرض وخفضها لحكمة . كل ذلك رحمة بالانسان واستيفاء لأسباب الحياة .

وقرر الباحثون فى علوم الكون : أن السبب فى إمساك المياه على سطح الأرض وعدم سقوطها فى الفضاء ، الجاذبية التى أودعها الله عز وجل فى الأرض ، والضغط ، ولذلك إذا رمى أحد حجرا فى الهواء فإنه يعود إلى الأرض ولا يذهب فى الفضاء المحيط بالأرض . فإذا تصورنا فقدان الجاذبية المودعة فى الأرض والضغط فستنفجر المياه وتتأثر فى الفضاء .

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات : ٢٧) ، بناها وأحكم النسب التى بين أجزائها ورفعها بغير عمد ترى ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (النازعات : ٢٨) وسمك الشئ سموكا ارتفع وإذا لوحظ ارتفاع الجسم من السفلى إلى العلو فسمك فإذا لوحظ من العلو إلى السفلى فعمق كالدرج والدرك ﴿فسواها﴾ التسوية الأولى فلم تكن سويت سبع سموات بعد .

ويقول المعنيون بعلم الافلاك والكواكب إن الأرض انفصلت عن الشمس كما أخبرنا الله تعالى أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما بقدرته . ثم بردت قشرتها فظهر على سطحها الليل والنهار ، إذ لا يظهر عليها وهى ملتهبة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (النازعات : ٢٩) قال الراغب الضحى هو انبساط الشمس وامتداد النهار فسمى الوقت به . ونسب الليل والنهار إلى السماء لأن سببهما الشمس وهى فيما علانا .

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (النازعات : ٣٠-٣٣) ، فلما صلحت الأرض لتكون متاعاً لبنى الانسان وما يحتاجون من أنعام وغيرها أعد البارئ الرحيم سبحانه لهم ما يصلحهم من ماء ومرعى قبل أن يخلق عليها الحيوان وإذا كانت الشمس لا تزال ملتهبة إلى الآن فكيف بها فى التاريخ الماضى قبل خلق الحيوان والسدوم تملأ الفضاء وصورتها كالدخان قال تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت : ١١) ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (البقرة : ٢٩) وهذه هى

التسوية الثانية سبع سموات وطاعة الأرض والسموات نفوذ تدبير الحق فيهما ومن فهم الكتاب وقارن بين آياته وجد بعضها يفسر بعضا ووجدها مطابقة للعلم الصحيح ومن ظن فيها اختلافا فما فهمها وقد كون الباري سبحانه وتعالى الجبال من قبل وجعلها كصمام لمنع المواد الملتهبة والمعادن المنصهرة فى باطن الأرض من الخروج فتزلزل الأرض المواطن التى تخرج منها وهى كمخازن ومرشحات فى تحويل المياه الملحة إلى مياه عذبة ومانعات للصواعق فإن السحب باحتكاكها بالجبال تتجذب الكهرباء التى فيها رويداً إلى الأرض فتفرغ شحناتها ولولا الجبال لكثرت الصواعق وماد الكثير من سطح الأرض بأهله كل ذلك خلقه الله وجعله متاعاً لكم ولأنعامكم .

★ ★ ★

## مراتب الوجود

الكمال والنقص كالوجود والعدم ، والحياة والموت ، والعلم والجهل ، والقدرة والعجز والكرم والبخل ، والحكمة - وهى الإصابة - وما يقابلها من الخطأ والعبث والظلم ، لا يختلف عقلاء البشر فى التفريق بينها وفى أن الكمال محمود وأن النقص مذموم وإن اختلفوا فى وجوه تطبيقها .

وانظر بعين الفكر إلى الموجودات مجتمعة ثم تصور أنك تجاوزت دائرتها فسترى العالم الحكيم المبصر منها الذى انكشفت له سجد الحقائق فأبدت له ظواهر الأشياء وبواطنها وعاش على أساس علمه الواسع وحكمته الصائبة لا يقول ولا يعمل إلا ما تقتضيه الحكمة والعلم الحق على بصيرة وبينة من ربه على أحسن الوجوه وأحكمها ثم من هو دونه حتى تصل إلى عالم غير حكيم فلا يعمل بعمله وجاهل يضرب على غير هدى - هذا فى البشر .

ثم عد فانظر فى دائرة المحسوسات إلى مرتبة الانسان تجده يشترك مع الحيوان فى خصائص مرتبته ويمتاز باستعداده الخاص واصطلاح السابقون على تسميته بالنطق وتشارك جميع الحيوانات مع النبات فى خصائصه كالنمو وتمتاز باستعدادها الخاص ويشترك النبات مع الجمادات بكونه جسما يأخذ قدرا من الفراغ ويمتاز باستعداده الخاص والجسم منه جوهر وهو ذات الجسم وعرض وهو ما يتصف به ذلك الجوهر من طول وعرض وعمق وحركة وسكون وسواد وبياض ونعومة وخشونة وكبر وصغر إلى غير ذلك .

ثم انظر فسترى أنه لا حرج فى وجود جوهر غير مادى أى لا يأخذ قدرا من الفراغ وسل العقل - العقل البرهاني ، ماذا يترتب على ذلك من محال ؟ فسيفتيك العقل أنه لا يترتب عليه محال وحتى الذين لا يؤمنون إلا بما يقع تحت حواسهم مع

أنهم يبحثون عن مالم يقع تحت حسهم بعد ، وهذا بالضرورة تسليم وإيمان بأنه ثم وجود لم يدركوه بحواسهم - بدأوا فى التشكك فى الأسس التى بنوا عليها معارفهم، وخصوصا بعد تفتيت الذرة ، ومنهم من كتب فى أن الجمود الظاهرة على المادة إنما هو وهم محض . وإن قصر الخيال البشرى عن تصور وجود مجرد - فليس للخيال حكم فى معرفة الجائز والمستحيل . وإنما يتصور ما يستمد من المحسوسات، ولنمثل بمن ولد فاقد البصر فإنه لا يستطيع تصور الألوان ولا يمكن لخياله أن يدركها .

ولم يمنع ذلك من أن العقل الصحيح فيه آمن بجواز وجودها وصدق .  
فالخيال وظيفته مختصة بما وقع تحت الحس بالفعل . وهذا غير المعقولات المحضة كاستحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما .  
وأنت لاتستطيع أن تعرف صحة مسألة حسابية أو نظرية هندسية باللمس أو بمجرد النظر إليها من غير تفكير وأنت على حالك العامة التى أنت عليها .  
فإذا صح فى العقل وجود جوهر غير مادی فصفاته بالضرورة غير مادية .

وقد قال تعالى فى طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (البقرة : ٢٤٧) وبسطة الجسم يمكنك أن تعبرها بالذراع والإصبع ويمكنك أن تزنها بالمثقال والخردلة . ولكن بسطة العلم لها معيارها المعنوى وهو غير الذراع والخردلة .

ومن قام بمخيلته أنه لا يوجد إنسان عاقل إلا هو فى الدنيا فخطؤه واضح وليس ببعيد منه من جزم أن هذه العوالم المترامية الأطراف خلو من كائنات تعقل وتدرک وهما هو دليل جواز وجود العاقل المدرك ووقوعه فعلا فى الانسان فجوازه فيما لم يدركه ثابت وإن لم يقع تحت حواسنا وإذا تنزلنا فمن الممكن أن يكون ذلك العاقل المدرك فى طور من أطوار المادة أرق وأصفى من الأطوار المحسوسة .

ولقد قام البرهان الحسى القاطع على أن من الناس من أدرك أمورا لم يسبق له علمها بأية حاسة من حواسه المادية المعروفة وبذلك تحطمت نظرية حصر المعنويات فى هذه المادة تحطيما واقعيا بطريق المشاهدة المحسوسة .  
بذلك يسهل عليك ويقرب من ذهنك أن تسلم بأنه ثم عالم أو عوالم تسمو على هذه المادة .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن كنه الروح - ويصح أن تكون هذه العوالم جواهر لا تقاس بالذراع والأصبع ولا توزن بالمتقال والخردلة.

وقد كفر وضل ضلالا بعيدا من طاف بذهنه وصف مكون الكائنات سبحانه بأية صورة من الصور المادية أو الصور المجردة عن صفات المادة فى الكائنات الملكوتية .

وبرىء من الإيمان وبرىء الإيمان منه من لم يحقق تحقيقا يقينيا معنى قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص : ١) وقد فسرها بقوله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١١) .

ولا فرق بين الوثنية المادية التى تصور الحق سبحانه بالصورة المادية . وبين الوثنية الروحية ، التى تصور الحق سبحانه بالصور الروحية . فالكل جاهل بالله كافر به ، لم يحقق فى اعتقاده كونه تبارك وتعالى لا مثيل له فى ذاته ولا فى أى وصف من صفاته - سبحانه ربك رب العزة عما يصفون .

وكل ما ورد من وصفه سبحانه بما ضل فيه الجاهلون بالله - كالنزول والمجىء والارتفاع والاستواء والمشى والهرولة والعين واليد والقدم يستحيل عقلا ونقلا أن يكون كالمعهود فى الماديات ولا فى المجردات من المخلوقات وقد قال تعالى: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ (السجدة : ١٤) ونسيان الخلق معروف ولا خلاف بين علماء المسلمين فى أن من نسب النسيان المعهود فى الخلق للحق سبحانه ، كافر بالله ، وأن ذلك محال عليه جل وجهه وعز شأنه .

وإذا فهذه الأمور من الواضح أن نؤمن بها ونعتقد بها على ما يليق بالمنزه سبحانه عن المماثلة بكل وجوهها فكما أن ذاته منزّه عن شبه خلقه فليس سمعه سمع الخلق ولا بصره بصره ولا علمه علمه فقل ذلك في نزوله ومجيئه وما إلى ذلك فهي على غير الوجه المعهود للخلق في الخلق كلهم في الملك والملكوت ومن ذلك خطابه تعالى لخلق من في الشهادة ومن في الغيب ومن لم يعرف ذلك فهو جاهل بالله ومن لم يؤمن بذلك فهو في الضلال المبين فإنه آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فلم يؤمن بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص : ١) نعوذ بالله من الجهل ونسأله الهدى والتوفيق والحمد لله رب العالمين .

فالمبدع الذي له الكمال الذاتي المطلق عن القيود والحدود - الله عز وجل - تعالى العلو الذاتي ونعوذ بالله من ضلال من عمى فأدرجه في علو المحسوسات أو سائر المخلوقات .

ولقد ضل قوم فنافقوا أنفسهم ونافقوا المؤمنين ونافقوا الكافرين وظنوا أنهم يتقربون إلى الملاحدة الذين يزعمون كذباً أنهم لا يؤمنون إلا بما وقع تحت حواسهم ولا ندري ماذا أدركت حواسهم المحصورة من حقائق الكائنات الواسعة ؟ ولن يجديهم هذا التقرب من أولئك المظلمين شيئاً - إلا أنهم لم يرضوا الله ولم يرضوا رسوله ﷺ المبين للكتاب المبين ولم يرضوا أولئك الملاحدة فإنه تعالى قال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ (البقرة: ١٢٠).

نافق أولئك القوم أنفسهم والمؤمنين والكافرين فخلطوا بين القوى المغناطيسية والكهربائية وبين الأرواح الطاهرة ولا يمنع وجودها عقل ولا حس العاقلة فكانوا لا مع المؤمنين ولا مع الكافرين وإنما عداهم في المنافقين وقانا الله بفضله آمين .  
والملائكة أرواح عاقلة لها أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة أو أنوثة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .



وأهل الأديان جميعاً يؤمنون بالملائكة ، على الوجه الذى جاء به الأنبياء عليهم السلام «وخاتمهم ﷺ» ، فلم يبق إلا الهمج ، ومنهم عباد الصنم المادى الجاهل وقد امنوا بالمستحيلات ، فكيف نعبأ بهم فى الإيمان بما هو جائز وقد قام عليه الدليل .  
ومن أعجب العجب أن يجامل بدينه عالم ، يجامل عدو الدلائل الصحيحة والبراهين الواضحة .

فلنعلن كلمة الحق التى جاء بها سادة العقلاء وعلماء العلماء - الأنبياء عليهم السلام ولا نعبأ بمن يحاج لمقاصد لا تمت للعلم البرهانى بصلة - يحاج بغير دليل بغير بينة ولا هدى ولا كتاب منير .

وهاهو ذا كتاب الله الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يعرفنا بالملائكة عليهم السلام .

١ - ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٩٧) .

٢ - ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٩٨)

٣ - ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ (مريم : ١٧- ١٩) .

٤ - ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الانفال : ١٢) .

٥ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت : ٣٠) .

٦ - ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران : ٣٩) .

٧ - ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : ١٨) .

٨ - ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٢) .

٩ - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٥) .

١٠ - ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِئِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ (هود : ٦٩) .

١١ - ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر : ٧) .

١٢ - ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الانفال : ٩) .

١٣ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النساء : ٩٧) .

١٤ - ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء : ١٦٦) .

١٥ - ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى : ٥) .

١٦ - ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (الحج : ٧٥) .

١٧ - ﴿جَنَّاتٌ عِدْنَ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (الرعد : ٢٣) .

١٨ - ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا : ٢٨)

١٩ - ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم : ٢٦) .

٢٠ - ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار : ١٠-١٢) .

٢١ - وقال تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

أوليس من أخطأ الكافرين من يؤمن بالمغناطيسية الكهربائية ويكفر بالملائكة وأما الأحاديث التي جاء بها مبین الكتاب ﷺ ، شارحه وموضحه في الصحاح والسنن فشيء كثير.

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله تعالى بإذنه فقال له ربه يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم رجع إلى ربه فقال « إن هذه تحيتك وتحية نبيك بينهم » .

«إن أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض» .

وفى الصحيح أيضا «كتابة الملائكة يوم الجمعة الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر» وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها «أن النبی ﷺ قال لها هذا جبريل يقرأ عليك السلام» وفى الصحيح «فنادى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبی ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً» وفى الصحيح حديث عائشة «ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وإنه أتاه هذه المرة على صورته التى هى صورته فسد الأفق» .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « رأيت على يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام » أخرجه الشيخان .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال ﷺ عن أبيه تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما رجع النبی ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفذ على رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج إليهم فقال إلى أين قال هاهنا وأشار إلى بنى قريظة . فخرج إليهم فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد بن معاذ . ورؤية بعض الصحابة جبريل فى صورة دحية بن خليفة ، ثابت . ورؤيتهم لجبريل فى صورة أعرابى ثابت فى الصحاح كذلك .

ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . آمنا بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین والحمد لله رب العالمين .

(س) ما حكم من يكره علي قول أو فعل الكفر إكراهاً شديداً؟

(ج) المخاطر بحياته دون المخاطر بسعادة الأبد ، فإن المخاطر بحياته قد يجد عوضاً فى حياة أخرى . والمخاطر بالحرمان من سعادة الأبد دون المخاطر

بالسقوط فى مهلكة شقاء الأبد ، فإن الحرمان من السعادة يصح أن يكون مع تنغيص محتمل .

وإذا عرض للعاقل طرق ثلاث : طريق علم بالدليل القطعى أن من سلكها فهو آمن ، وطريق علم فيها الهلاك بيقين ، وثالثة لا يأمن سالكها على نفسه لاحتمالها الهلاك والنجاة .

فالعاقل لا يسلك طريقا يعرض نفسه بها للشقاء وهو يستطيع ألا يسلكه .

وهذا الدين وضحت دلائله وبراهينه فبلغ وضوح الحق فيه مبلغا لا يسع العاقل الذى لم تتدنس فطرته بعناد أو تقليد إلا أن يتبعه مختارا مع انشراح الصدر ، لضمان السلامة والأمن فيه ، لأنه الذى تقوم عليه الدلائل الصحيحة البينة .

وغيره لا يمكن أن يقام عليه دليل بل الدلائل قائمة على بطلانه .

فهذا الدين هو الرشد وما خالفه غى .

والغى مصدر غَوَى يَغْوِي إذا لم يصب الحق فى معتقد أو رأى فكل من غلب عليه الوهم فظن الباطل حقا فقد غوى .

روى أبو داود والنسائى وابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦) قال أبو داود المقلاة التى لا يعيش لها ولد وفى رواية : إنما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه ، وأما إذا جاء الله بالاسلام فكرههم عليه فنزلت ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) من شاء التحق بهم ومن شاء دخل فى الإسلام .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية أسلمى أيتها العجوز تسلمى إن الله بعث محمداً بالحق قالت أنا عجوز كبيرة والموت إلیّ قريب فقال عمر اللهم اشهد وتلا ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة : ٢٥٦).

ومن العلماء من رأى أن هذه الآية من آيات المودعة نسختها آية السيف ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (التحریم : ٩).

ومنهم من يقول هى محكمة غير منسوخة ولكنها خاصة بأهل الكتاب إذا وفوا بشروط العهد ومذهب مالك الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش .

وقال الكلبي لا إكراه بعد إسلام العرب وتقبل الجزية .

وقال الزجاج لا تتسبوا إلى الكراهة من أسلم خوفا من القتل فإن الإيمان موكل لله وفى ذلك حديث أسامة رضى الله عنه - يقال أكفره نسبه إلى الكفر .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ عرض الاسلام على ثمامة بن أثال مرارا وكان كافرا فأبى فأطلقه ﷺ فذهب إلى بئر فاغتسل ثم جاء مسلما وذكر أنه أبى أن يسلم أول الأمر حتى لا يقال إنه أسلم خوفا من القتل .

وروى ابن قاسم عن مالك أن أسرى المحاربين من المجوس والوثنيين يضطرون لدخول الاسلام صفارا وكبارا .

★ ★ ★

## رؤية الله في الدنيا

الكل عين والكل غير فالأمر خلق والخلق أمر فسبحان من ظهر في بطونه وبطن في ظهوره وهو الظاهر في كل المظاهر ظهوراً أوضح وأظهر من ظهورها - الذي أدهش بشهوده كل شيء فكل شيء يراه ولا يراه هو هو كما هو ما عرفه إلا هو سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فالوحدة ذات الحق من حيث ما ظهرت به في الذات المحمدية . وبعضهم يسميها بالحقيقة الأحمدية ووجه المناسبة لهذه التسمية كون الذات حقيقته ﷺ . كما أنها حقيقة كل شيء . إلا أنه المختص بهذه الحضرة لا شريك له فيها . وأنه ﷺ أحمد الخلق لله عز وجل وظهرت فيه المحامد بحذاقيها وهذه المرتبة لم يحمد الحق مرتبة كما حمدها وأثنى عليها وعلى من ظهر به فيها ﷺ .

فإن أريد بالحقيقة الأحمدية وحدة الحق من حيث ذاته لذاته بذاته مطلقة عن كل قيد حتى عن قيد الظهور فيه ﷺ . فهذه واجبة لواجب الوجود لا يدركها ﷺ إلا بحسب مرتبته هو لا مرتبة الذات المطلقة إطلاقاً كلياً . وإن ظهرت الذات بهذه المرتبة فيه وبه وله . وإنما كان ذلك على قدر مرتبته ﷺ وهو ليس بواجب الوجود إلا من حيث التعلق الأزلي بوجوده . وإن كان هو هي من حيث إنها قيومه فالكل كذلك .

وإن أريد بها الذات المحمدية المخلوقة لله عز وجل المستمدة من الذات بلا واسطة التي تنظر الحق كفاحاً بلا ستار ولا حجاب . التي مرتبتها وحدة الحق .

فهذه الذات هي الحقيقة المحمدية ، إلا أن لها وجه تلق عن الحق ووجه إفاضة على الخلق ، فوجه التلق هو الحقيقة الأحمدية في أكثر ما يدور على السنة العارفين .

واعلم أن الإنسان لا يخلو إما أن يكون مغالياً في الرسول ﷺ فيخرجه عن العبودية لله سبحانه وتعالى فهذا ليس بمسلم . فضلاً عن أن يكون من العارفين .

وإما أن يكون مضطرباً لا يقدر الرسول حق قدره ﷺ وهؤلاء هم أهل الحجب الكثيفة ويخشى عليهم من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى إلا إذا تداركهم الحق بلطفه فربط على قلوبهم فاستمسكوا بحبل الجهل بالذات المحمدية ولم يحكموا على كنهها بعقولهم ويتحكموا فيها بأهوائهم ولم ينكروا فضيلة ممكنة من فضائل الذات الشريفة التي لا نهاية لها . آمنا بالرسول على حقيقة ماهو عليه عند الله عز وجل . واعترفنا بالعجز عن الإحاطة به ﷺ ولو تدبروا في أنفسهم لوجدوا أنهم أعجز من أن يحيطوا بحقيقتها فما بالك بمن وقف سيدنا الأمين عليه السلام وعلى سائر الملائكة والنبيين والمرسلين وعلى عباد الله الصالحين . دون ذهاب ذاته الترابية في الله عز وجل بغير كيف ولا حد ولا مثل . وقد تقدم أن الجسم الشريف كان إذ ذاك له ما للروح من اللوازم التي يتحمل بها ما تشهده الروح في إطلاقها فكان لغزاً وسراً كما أن الروح لغز وسر . وإذا رأى في كلام العارفين ما لا يلائم ظاهره العقيدة سلم الأمر فيه لله عز وجل ولم يأخذه على ما يخالف الإيمان ، وقال لعل له وجهاً لا أعرفه ، وقد آمنت بالحقيقة كما هي في الحقيقة . وإما أن يكون وسطاً بين الإفراط والتفريط فهذا لا يكون إلا عارفاً أو فيه الاستعداد لبلوغ مقام العارف ، وهذا مهما كوشف بالحقائق وانجلى له من الرقائق ، ولا يرتاب في أن هذا من بركته ﷺ وفضل الله به ، ومهما وصف الواصفون ومدح المادحون مما لا يخرجه ﷺ عن العبودية الكاملة ، لا يرى ذلك يبلغ قطرة من كماله ﷺ . وإذا كان وصف الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فما بالك



بمن الجنة جزء من كماله ﷺ ، ولا نسبة بينها وبينه إلا كنسبة قطرة أخذتها من محيط وناسبت بينها وبينه مع أنها منه . فلو نظرت لألفيت خبر الثقة الصدوق هو الأصل في نقل الشريعة إلينا أمة عن أمة إلى أن وصلت إلينا ، ولو سألنا كل العارفين الذين قد شهد لهم بالكمال والعدالة والخصوصية العظمى بينهم وبين الحق وكثيرون منهم كانوا واسطة في تبليغ الشريعة ومنهم من كان يخنع لديهم من وصلوا الشريعة لبلغ خبرهم بيقينهم بذلك عن شهود ومعاينة حد التواتر القطعى الذى ما يذر شكاً ولا ريباً فى أى نفس متى اتصفت ، ويا عجباً كيف لا يصدق إنسان خبر جموع لا تكاد تحصر وهم أئمة العدالة والثقة وذوات الصدق وكمل الصديقين والشهداء والصالحين فى أمر ممكن ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ (الانباء : ٧) ومن هم إلا هم - ومع ذلك فهذا هو الأمر فى حقيقته وجهل الجاهل ليس بحجة ، ولن يزال العارف مثلوج الفؤاد كامل اليقين ظاهراً على الحق لا يضره من خالفه إذ قد عاين الأمر على حقيقته فلن يزداد إلا إيماناً و يقيناً بما رأى ، أفيما رى هذا على ما يرى ٥.

ولن يزال الجاهل مرتباً مهما عرف من الأقوال إذ علمه ظن وأين الظن من اليقين ؟ ومن لم يبلغ مرتبة يكون كل علمه عن شهود قطعى لا ظن فيه فهذا ظان وقد روى عنه ﷺ أنه قال «تعلموا العلم قبل الظانين» وقد ذم الحق قوماً بنوا معرفتهم بالحقائق على الظن فقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية : ٢٤) وقال تعالى ﴿ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ (الذاريات : ١٠) .

روى البخارى حدثنا عمرو عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ (الاسراء : ٦٠) قال : هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس قال : والشجرة الملعونة فى القرآن قال : هى شجرة الزقوم .

قال الحافظ ابن حجر : إيراد هذا الحديث فى باب المعراج مما يؤيد أن المصنف يرى اتحاد ليلة الإسراء والمعراج بخلاف ما فهم عنه من أفراد الترجمتين، وقد قدمت أن ترجمته فى أول الصلاة تدل على ذلك حيث قال : فرضت الصلاة على النبى ﷺ ليلة الإسراء ، وقد تمسك بكلام ابن عباس هذا من قال الإسراء كان فى المنام ، ومن قال إنه كان فى اليقظة ، فالأول أخذ من لفظ الرؤيا قال لأن هذا اللفظ مختص برؤيا المنام ، ومن قال بالثانى فمن قوله أريها ليلة الإسراء والإسراء إنما كان فى اليقظة وكان المعراج فى تلك الليلة تعين أن تكون فى اليقظة أيضاً إذ لم يقل أحد أنه نام لما وصل إلى بيت المقدس ، ثم عرج به وهو نائم ، وإذا كان فى اليقظة فإضافة الرؤيا إلى العين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن فقال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم : ١١) . ورؤيا العين فقال : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (النجم : ١٧-١٨) .

وروى الطبرانى فى الأوسط بإسناد قوى عن ابن عباس قال : « رأى محمد ربه مرتين » ، ومن وجه آخر قال : نظر محمد ربه . جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمد ، فإذا تقرر ذلك ظهر أن مراد ابن عباس هنا برؤية العين المذكورة .

وفى الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (النجم : ١٣) فقال ﷺ : « إنما ذاك جبريل » .

وهذا لا يمنع أن رسول الله ﷺ قد رأى ربه . فإن من سأل رسول الله ﷺ عن الآية فبين له المراد أنه جبريل عليه السلام . فجوابه ﷺ بيان المراد من الآية .

وحديث أبى ذر رضى الله عنه الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه قال : نور أنى أراه . وفى رواية أخرى رأيت نورا فهنا رواية ثالثة : رأيت نورا أنى أراه . رواه الإمام أحمد فى المسند بسند صحيح .

وإذا روى الحديث برواية كاملة جامعة وروى برواية هى جزء من تلك الرواية فالأصل أن يأخذ بالرواية الكاملة .

وحيث إن رؤية الله عز وجل ثابتة في الدار الآخرة فما يجوز على الله عز وجل هو جائز في حقه تعالى في كل زمان ، وإنما القصور فينا ، فتجوز رؤيته عز وجل في الدنيا والآخرة .

ولكن الرسول ﷺ أخبرنا أنها لا تقع لنا في الدنيا بقوله ﷺ : «واعلموا أنكم لن تتروا ربكم حتى تموتوا» ولم يقل : لن نرى ربنا حتى نموت . فتصح له ﷺ ، وتجوز في حقه ﷺ في الدنيا والآخرة عقلا وشرعا . وحيث صحت الرواية بذلك فالإنصاف أن نثبتها له ﷺ كما وردت ونكل علمها إلى الله عز وجل . رواه مسلم في الصحيح .

وقد أثبتتها من لم يتهم في دينه ولا في رأيه من العلماء ومنهم الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : «إني لم أر الله عز وجل» ، بل أخرج الإمام أحمد قوله ﷺ : رأيت ربي عز وجل ، ولم يقل في هذه الرواية رأيت في النوم ، وإنما رواية رؤيته ﷺ في النوم معروفة وفيها التصريح بأنها كانت رؤيا منامية .

والسيدة عائشة عندما نفت الرؤيا نفتها بفهم في آية من كتاب الله وهي قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام : ١٠٣) .

ورؤية الله عز وجل ثابتة في الآخرة ، ومع هذا فلن يدرك أحد حقيقة كنهه تبارك وتعالى ، لن يزال سبحانه على علوه ونزاهته من إدراك الأبصار والعقول ، فلا تحيط به ، فسيراه المؤمنون في الدار الآخرة وهم لا يدركون كنهه وهي رؤية غير مكيفة . فكما رؤيته تبارك وتعالى لا تستلزم الإدراك في الدار الآخرة . فرؤيته ﷺ لا تستلزم الإدراك كذلك . والمنفى في الآية إنما هو الإدراك .

(س) هل نرى ربنا يوم القيامة؟

(ج) قال تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة : ٢٢-٢٣) ناضرة : زاهية مشرقة من أثر النعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة : ٢٣) أى تراه عيانا ، كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحة «إنكم سترون ربكم عيانا» .

ورد الثعلبي على من توهم أن ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة : ٢٣) بمعنى منتظرة ثواب ربها ، وقال فيه إنه تأويل مدخول ، لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا نظرت ، كما قال تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ (محمد : ١٨) ، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ (الاعراف : ٥٣) و ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (يس : ٤٩) وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا : نظرت فيه ، فأما إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى ، وذكر الوجه ، فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان .

وقال الأزهري : لا يقال نظر إلى كذا بمعنى الانتظار ، وإن قول القائل نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، كذلك تقوله العرب ، لأنهم يقولون نظرت إليه إذا أرادوا نظر العين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرت ، قال :

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفني لدى أم جندب

لما أراد الانتظار ، قال : تنظراني ، ولم يقل تنظران إليّ .

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين : أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال : «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب؟» قالوا : لا ، قال «إنكم ترون ربكم كذلك» .

وفى الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا» .

وفى أفراد مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال «إذا دخل أهل الجنة قال : يقول الله تعالى (تريدون شيئا أزيدكم) ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة ، ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس : ٢٦) .

وفى أفراد مسلم عن جابر فى حديثه «إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك» يعنى فى عرصات القيامة .

ففى هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل فى العرصات وفى روضات الجنات .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبهر ، حدثنا يزيد ابن أبى فاخته عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين» .

وأخرج أبو داود عن أبى رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله : أكلنا يرى ربه؟ قال ابن معاذ مغلها به يوم القيامة ، قال «نعم يا أبا رزين» قال وما آية ذلك فى خلقه؟

قال «يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر؟» قال ابن معاذ ليلة البدر مغلها به ، قلنا : بلى . قال «فالله أعظم» قال ابن معاذ قال فإنما هو خلق من خلق الله ، يعنى القمر ، فالله أجل وأعظم .

وهذه الرؤية لا تشبه رؤية الخلق للخلق ، فإنه سبحانه منزله عن القيود والحدود ، فهو كما قال عز شأنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام : ١٠٢) .

قال عطية العوفى : ينظرون إلى الله تعالى لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم ، ونظره يحيط بهم .

وقد عاب الله عز وجل قوما يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . وقد أثبت الله عز وجل رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة ، وبينها رسول الله ﷺ الذى عهد الله عز وجل إليه ببيان كتابه . ونفى الادراك . فآمناء بالأميرين .

ومن قاس رؤية المؤمنين لربهم على رؤيتهم للخلق فقد أخطأ فإنها رؤية لا تناسب المعهود في الخلق . سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

(س) هل الملائكة لديها علم وعقل؟ وكيف تكتب أعمال بني آدم؟

(ج) وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون».

وقال عبد الله بن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر ، فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء .

وعن أم عصمة العوسية رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنبه لم يكتبه عليه ولم يعذبه الله يوم القيامة» صححه الحاكم وأقره الذهبي.

﴿لِحَافِظِينَ﴾ (الانفطار : ١٠) وهذا الجمع يطلق على العقلاء في لغة العرب . وقوله تعالى ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار : ١٢) نص قاطع على اتصافهم بالادراك والعلم . فمن اعتقد أنهم مجردون من العلم والعقل فقد خالف الدين والعلم والعقل .

وأما كيفية الصحف ، وكيفية الكتابة ، فليست صحفا وكتابة بشرية ، وإنما هي أمور ملكية لا يعرفها إلا من أشهده الله إياها .

(س) ما الفرق بين الكلام والتكلم؟ وطلب الدعاء من العبد الصالح وطلب المؤمن الدعاء من أخيه مطلقا؟

(ج) الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن ولاء

صاحب الفضيلة مولانا الشريف الحاج محمد طه من أكرمه الله بالخصوصية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع من هو منكم وإليكم وخصوصا ساداتنا العلماء وقد تشرفت بكتابكم الكريم المنبئ عن صحتكم وعافيتكم .

وأما الفرق بين الكلام والتكليم فيوضحه أن الكتب المنزلة مسطورة فى اللوح المحفوظ قبل أن يكلم الله الأنبياء فالكلام موجود قبل تكليم الحق سبحانه لأنبيائه وتكليم الحق لسيدنا موسى عليه السلام ليس بإحداث لكلامه سبحانه وإنما هو إبلاغ كلامه تعالى لسيدنا موسى عليه السلام والكلام موجود قبل ذلك بلا خلاف. ولنرجع إلى كلام الحق سبحانه قبل وجود اللوح المحفوظ فإنه وصف للذات منزّه عن شبه كلام الخلق . واللوح المحفوظ حادث والتسطير فيه حادث والكلام القدسى موجود قبل خلق اللوح المحفوظ وقبل تسطير الكلام فى اللوح المحفوظ وموجود قبل خلق سيدنا جبريل عليه السلام ، وكما أن سمع الحق قديم ، ولكن إسماع الخلق حادث فكذلك الكلام قديم ولكن إبلاغ الكلام للخلق حادث .

والقاعدة أن كل ما فى دائرة الخلق حادث وكلامه تعالى وسمعه وبصره وعلمه وتجلياته كلها قديم . فإن الحق سبحانه متجل أزلا وأبدا بالجلال والجمال والخلق معدومون ، فلما أنعم عليهم بنعمة الوجود تحققوا بآثار التجلى الأزلّى فظهر فيهم التجلى الجمالى أو الجلالى وليس التجلى بحادث وإنما اتصافهم بآثار التجلى هو الحادث والذات بأوصاف كمالها لا شائبة فيها للحدوث.

وأما طلب الدعاء من عبده صالح إذا كان متحققا بالفتح الروحى الصحيح ووصل إلى مقام المحبوبة فأمدّه الله عز وجل بالمدد الربانى والإفاضة القدسية فى سمعه وبصره وجوارحه فإن سمعه لا يقف عند الحدود الضيقة المعروفة بين الناس وحسبك بما وقع لسيدنا عمر وسارية والرواية فى ذلك صحيحة. ويمكن لنا أن نضرب لذلك مثلا النائم تنوينا مغناطيسيا فإنه يرى الذى فى المشرق والمغرب ويقرأ فى أى كتاب ولو كان فى آخر الدنيا فكيف يرى ؟ لا شك فى أنه يرى غير الرؤية المعهودة فإننا إذا وضعنا عصا على عينيه فإنه يرى ويقرأ فهذه رؤية روحية وكذلك سمعه .

فمن كان مدركا بالنور الذى أعطاه ربه للقريب والبعيد فهو قريب . أما حى وميت فله تعالى أن يمنح العبد ما شاء بما شاء ، ولا شك فى أن كل هذه الصور داخل فى

متعلقات القدرة الشاملة والله عزوجل يقول ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة : ١١٠) فيسمع من شاء الله أن يسمع بإذنه ويتوجه إلى ربه بإذنه ويستجيب الحق سبحانه وقال عز شأنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة : ٢٧) .

وأما التجاء العبد لعبد مثله ليدعو ربه ، وَلَمْ لَا يَلْتَجِءَ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى مباشرة وقد قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) فليس في ذلك نهى عن طلب المؤمنين الدعاء بعضهم من بعض فإنه أفضل لأنه فيه أنه دعاء لله مباشرة وتعاون مع إخوانه في التوجه إلى الله عز شأنه وليس في ذلك أى خدش للعقيدة ما لم يعتقد فيه عقيدة فاسدة وهو لا يعتقد فيهم أى وجه من وجوه الاعتقاد الفاسد . فليس في ذلك أى مساس بالإيمان بل هذا هو الإيمان وما ضرورة الصلاة في الجماعة واتخاذ إمام والإمام شافع لمن معه ومثل هذا كمثل من يقول ليصل كل وحده فإن ربه أقرب إليه من حبل الوريد ، وفي طلب المؤمن الدعاء من أخيه المؤمن تخلص من الكبر في شعوره بحاجته لمن يشفع له عند ربه وذلك من الأمور المطلوبة ما دام جاريا على القواعد الشرعية وحسبك أن رسول الله ﷺ قال لعمر «يا أخى لا تنسانا من صالح دعائك» وحديث أويس مخرج في الصحيح . رواه مسلم وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يطلبوا منه الدعاء .

والرؤية تصح بغير إدراك . وحيث إن ابن عباس وجماعة أثبتوها فال مثبت مقدم على النافى لأن لديه علما زائدا .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتعجبون أن يكون الخلعة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ . وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ، وأقره الحافظ الذهبي وله شاهد ورجاله رجال الصحيح .

عن ابن عباس أنه كان يقول : إن محمدا ﷺ رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده . رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(س) هل رأى رسول الله ﷺ ربه في الإسراء والمعراج؟

(ج) خصه الله عز وجل بالمقام المحمود فى الآخرة والشفاعة العظمى يحمد



الخالق والمخلوق ، وخصه الحق سبحانه بالمعراج بروحه وجسمه إلى الملاء الأعلى حتى حياى بجسده الشريف حياة الملائكة فى الملكوت ، ورفعت دونه الحجب حتى تجاوز حدود الملاء الأعلى وكلمه ربه كفاحا بلا واسطة ورأى فى هذه الحياة الأولى ربه عز وجل فعجل له أعلى النعيم فى الجنة رؤية البارى عز وجل ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣) وقد ثبت هذا عنه ﷺ وقوله ﷺ مقدم على قول غيره . رواه الإمام أحمد فى المسند ، عن ابن عباس مرفوعا .

وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال : ما تعجبون أن تكون الخلّة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ وسنده على شرط الشيخين وأقره الذهبى .

(س) هل يمكن رؤية الله عز وجل جهرة كما يدعى بعض الصوفية ؟

(ج) وقد أجاب فضيلة مولانا العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه بالآتى: رؤية الله عز وجل قد - سألها سيدنا موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ (الاعراف : ١٤٣) .

وقد فهم أهل السنة من سؤال الكليم عليه السلام ، أن رؤية الله عز وجل بوجه لا يلزم منه وصف الحق بصفة لا تليق به عز شأنه - كالجبهة والحدود واللون والصورة المعروفة فى المحسوسات - أن الرؤية بهذا الوجه المنزه جائزة بغير كيف ولا مثل . فإن نبي الله ورسوله الكريم ، لا يعقل أن يعلم أن هذه الرؤية مستحيلة ويسألها . فلا بد أن يكون قد سألها على الوجه الجائز ، وإن كنا لا نتصوره لأن معارفنا وتصورنا محدود .

وحيث إن الحق سبحانه وتعالى لا يتقيد كماله بزمان ولا مكان ، فالجائز فى حقه جائز فى الدنيا والآخرة ، والمستحيل فى حقه مستحيل فى الدنيا والآخرة .

فرؤيته عز وجل على هذا الوجه المنزه ، جائزة فى الدنيا والآخرة ، من حيث النظر العقلى، إلا إذا جاء الشرع بمنعها .

وقد اختلف السلف الصالح من علماء المسلمين فى كون النبى ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء أم لم يره .

وجمهور أهل السنة على أنه رآه بغير كيف رؤية لا نعلم كنهها . وأن هذه الرؤية مختصة به ﷺ . ولذلك منع منها الكلیم سيدنا موسى عليه السلام .

فمن يدعى هذه الرؤية لغيره ﷺ ، فقد ثبت فى الصحيح ما يمنع دعواه . وهو ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه من قوله ﷺ «واعلموا أنكم لن تتروا ربكم حتى تموتوا» .

وتأويل الموت فى هذا الحديث بأنه موت هوى النفس ، هو اصطلاح حادث بعد العصر الأول . والقرآن والحديث لا يفسر بالاصطلاح الحادث بعد زمن النبوة . وإنما يفسر بما جرت عليه العرب فى لغتها وقت التنزيل . أو بالعرف الشرعى الذى جاء على لسان النبوة لأن القرآن نزل باصطلاح العرب ، وكذلك الحديث إنما يفسر بالمعروف الذى جرى عليه العرب . وكثير من الناس يخطئ فى تفسير كلام الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ وكلام أصحابه رضوان الله عليهم بالاصطلاحات الحادثة ، وهذا تساهل وذهول عن التحقيق .

وما ينسب إلى النبى ﷺ ويذكر على أنه حديث «موتوا قبل أن تموتوا» ليس بحديث كما قرره علماء الحديث . وإنما هو من كلام بعض الصوفية .

فالموت الذى فى الحديث هو الموت المعروف ، وهو الانتقال من دار الدنيا إلى الدار الآخرة .

وأما كلام المحققين من أهل الله عز وجل فى أنهم يرون الله قبل كل شئ وعند كل شئ ، فهى رؤية مجازية أى يستحضرون رحمة الله تعالى وحكمته وقدرته ،

وحكم الله فيه ، إن كان حراما تركوه ، وإن كان واجبا أسرعوا إليه ، وإن كان مباحا تصرفوا عنده بحسب حالهم . مع مراقبته عز وجل فى حركاتهم وسكناتهم ودوام شهود فضله ومنته .

هذا الذى قرره المحققون من الصوفية فى كتبهم . ومن يدعى عليهم غير ذلك من الرؤية الحسية المعروفة فهو كاذب عليهم فإنها مستحيلة فى الدنيا والآخرة (أى الرؤية الحسية) وكذلك الرؤية الخاصة برسوله ﷺ فإنها لا تتبغى لغيره فى هذه الحياة .

أما رؤية الله عز وجل فى النوم فهى رؤيا مثالية . كمن يرى النبى ﷺ بلون غير اللون الذى كان عليه ، أو يرى عضوا منه ناقصا . فقد رأى النبى ولكن الصورة التى رآها بها تنبه الرأى إلى النقص الذى فيه هو . فإن رأى إصبعاً من أصابعه ﷺ أو يداً لا تتحرك . فإنه ينبهه أن يتصدق أو يكون كريماً . وإن رأى لونه أسود فإنه ينبهه إلى أن قلبه فيه نور ولكن عليه حجاب ، فليسع فى إزالة هذا الحجاب . وهذه الصورة خطاب رمزى بالصورة ، يعرفه أهل التأويل .

وكذلك من رأى الله رب العزة فى النوم بصورة ، فهذه الصورة تقوم مقام الكتابة فهى خطاب رمزى يحتاج لمن يفسره ، ويسمى التجلى من خلف حجاب الصورة . أى أن الحق يخاطبه من خلف حجاب الصورة ، فهو تبارك وتعالى منزّه عن الصور والأمثال . وقد يسمع خطاباً من الدلالة على الخيرة ، أو تحذيراً أو تبشيراً ، مما هو من قبيل اتباع رسول الله ﷺ . وأما التشريع من حلال وحرام وغير ذلك فهو مستحيل لأنه انقطع بعد النبى ﷺ .

﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ (الانعام : ١٠٣) .

ونزل فى اليهود ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (البقرة: ٥٥) .

إذا أردت حل مسألة حسابية أو جبرية أو هندسية - مهما قلت فى الانسان وحقيقته بأى رأى هل هو مادة أو روح أو هما معا - فلا يمكنك أن تصل إلى النتيجة

بحسبك لا بالعين ولا بالسمع ولا بأى حاسة ظاهرة ، وإنما تحتاج لقوة أخرى هى قوة حاكمة على كل ما يدرك بالحس الظاهر ، وهى التى يسمونها بالعقل . إذ الفرق واضح بين معرفتك لثون شىء أو حرارته أو نعومته أو ريحه أو طعمه أو كيفية صوته . وبين كون هذا الجماد قابلاً لأن يكون يوماً ما بدنًا لحى لحماً ودماً تظهر فيه جميع خواص الحياة . أو أن مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتين . وما إلى ذلك .

ومن ذلك ، الحكم بالفرق بين الأمر الواجب والممكن والمستحيل والتميز بينهم . فللعقل وظائف وللحس وظائف . فإذا قلنا إن الحياة ظهرت فى الأرض ، أو فى كوكب آخر ، ثم أتت منه إلى الأرض ، فكلاً الأمرين ممكن . وكون الإنسان أصله حيوان ترقى حتى بلغ الانسانية ، وكون الحيوان أصله إنسان تهقر حتى بلغ البهيمية ، أو لا هذا ولا ذاك ولكن أمراً آخر ، أمراً يحكم العقل بإمكانه .

وكون زيد ولد له ولد أو لم يولد ، كذلك . فإذا صح الخبر بعد ذلك بأن ولد له ولد فإنه الانسان يثبت وقوع هذا الأمر .

ففرق بين الحكم بجواز الشىء ، وبين الحكم بوقوعه .

فالحكم بأن هذا الشىء جائز الوقوع أو غير جائز ، حكم عقلى .

والحكم بأنه وقع أو لم يقع قد نراه أو نسمع ما يدل على وقوعه أو عدمه . فإذا كلفت العقل وحده من غير وساطة الحواس بإدراك ذلك تكون قد كلفته بما لا قبل له بإدراكه .

وحيث إن كنه المادة إلى هذه اللحظة لم يعلم . وأن علل الأفعال الظاهرة فيها لم تعلم حتى الآن حتى عند الماديين على سبيل القطع - وفى كل يوم يظهر رأى جديد يخالف سابقه . فالحكم بأن المادة تفعل أفاعيلها وحدها مستغنية عن «علم مدبر» لا يمكن أن يكون يقينياً . ومن قال بذلك من الماديين فهو بنفسه لا يمنع كون هذا المدبر موجوداً .

وعلى فرض التسليم جدلاً بكل ما يقول الماديون فى مبدأ المادة ، على اختلاف نزعاتهم ، فليس فيما يعتبر قطعياً عندهم ما يوجب نفى وجود مدبر مختار للكون سواء قيل بقدّم المادة والحركة ، أو المادة والصورة ، أو الذرات أو غير ذلك .

فإذا أمكن إثبات المدبر المختار بالدلائل العقلية ، على نحو من إثبات القضايا الهندسية - فكما أن النتيجة للمسألة الهندسية لا يمكنك أن تدركها بتحليل كيماوى ولا بأى حاسة من الحواس الظاهرة ، ولكنها تدرك بالسير على نحو خاص من الاستنتاج العقلى - فإذا طالبك أحد بأن تريه بعينه هذه النتيجة أو تسمعه بأذنه أو بحاسة من الحواس - كان ذلك الرجل متعنّتا مبطلاً أو غير عاقل ، لأن هذه النتيجة ليس من شأنها أن تدرك بتلك الحواس .

فكذلك الذى يطالبنا بأن نجعل ذلك المدبر تحت متناول حسه - إذا أقمنا الدليل العقلى على أنه ليس مما يدخل تحت الحواس - يكون غير عاقل أو متعنّتا مبطلاً . وكما أن ثبوت كون مجموع زوايا المثلث يساوى قائمتين ليس من خصائص التحليل الكيماوى أو الطبيعى . فالقضايا العقلية ومنها إثبات الصانع كذلك .

فاليقينيّات المادية بعد تفصيل ما يقطع بثبوتها أمر يقينى عند حاكمها المادى - والمعقولات اليقينية أمر يقينى عند حاكمها العقلى . ولا يصح أن ترفع قضية إلا عند محكمة اختصاصها .

ومعرفة المدبر - لمن لم يعرفه - يلزمه أن يبحث أولاً من أى اختصاص بحثها . فإذا أراد معرفته فليهرع إلى الطريق التى تؤدى إلى معرفته «وإذ ذاك فلا مناص من بحثه بحثاً عقلياً . والتعنّت فى جعله بحثاً حسياً يكون كما لو أردت أن تدرك المسموعات بغير السمع والمبصرات بغير ما يبصر . فالتحليل المادى إنما يكون فى المحسوسات المادية ، وأما بحث القضايا كون ذلك جائزاً أو مستحيلاً فهو بحث عقلى .

ولا ينبغى تكليف بحث خاص ما لا قبل له به ، كما أن العقل لا يمكنه - وليس من

شأنه فى استقلاله بغير الحواس - أن يدرك كون هذا الشئ قد وقع أو لم يقع .  
ولكنه - بغير الحواس - يمكنه معرفة نتيجة حسابية ، أو استخراج أمر مجهول  
بواسطة بعض المعلومات .

فليبحث من لم يعرف هل هذا الكون مرتب منظم بعلم ومقادير خاصة لحكم  
خاصة وفوائد معقولة وغايات لا تتحقق نتائجها إلا بهذه المبادئ المرتبة .

إن العقل لينكر إن العقل ليرفض أن يكون الجهل هو المدبر الصانع لذلك ،  
وسواء فى ذلك سميت الجهل طبيعة أو سميته مادة أو صدفة فالجهل جهل .

وليبحث من لم يعرف فى كل عضو من نفسه ، وكيف وضع فى موضعه ، ولم  
وضع ، وارتباطه بالأعضاء الأخرى ، والتكافل بين الجميع ، والتكافل بين أجزاء  
الكون ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) - ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا  
تَبْصُرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢١) .

(س) رسالة ٢٣٥٥ من نيجيريا . هل يوجد بعد النبى ﷺ من يرى الله  
يقظة لا مناما ؟

(ج) لا يوجد هذا لأن النبى ﷺ قال «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»  
والمراد بالموت الموت الحقيقى المعروف فى لغة العرب وأما الموت بمعنى  
الفناء أو موت النفس فهو اصطلاح حادث بعد النبى ﷺ ويفسر كلام النبى ﷺ  
بما جرى عليه عرف العرب فى اللغة لا بالاصطلاح الحادث .

(س) هل هناك نوع من الدعاء يمكن أن يرى الانسان ربه بالعين  
المجردة ؟

(ج) قال رسول الله ﷺ «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» أخرجه مسلم فى  
الصحيح . فرؤية الله فى الدنيا بالعين الحسية فى اليقظة لا تصح ولا تقع .  
ورؤية الحق عز وجل فى النوم لها تأويل وتعتبر خطابا رمزيا للرأى والله عز

وجل منزّه عن الرسوم والصور. فهو خطاب للرأى من وراء حجاب الصورة .  
والصورة تعتبر كالكتابة ولا نبوة بعد الرسول ﷺ وإنما تكون بشارات ودلالة على  
اتباع الرسول ﷺ ولا تشريع فيها .

(س) قال رجل إنه رأى الله على شجرة فهل يمكن رؤية الله على تلك  
الحالة ؟ (١)

(ج) إن كان الرأى صادقاً فهى رؤيا منامية توهم أنها فى اليقظة وكثيراً ما يقع  
للإنسان نوم خفيف يرى فيه رؤيا يظنها فى اليقظة ولكنها حقيقة رؤيا نوم .

★ ★ ★

---

(١) ورد فى كتاب تعطير الأنام فى تفسير الأحلام بالهامش المسمى . بمنتخب الكلام فى تفسير  
الأحلام لابن سيرين الجزء الثانى ص ٦٦ باب رؤية الله عزوجل : أن من رأى الله تعالى نزل على  
أرض أو مدينة أو قرية أو حارة ونحو ذلك يدل على أن الله تعالى ينصر أهل ذلك المكان ،  
ويظفرهم على الأعداء فإن كان فيها قحط يدل على الخصب ، وإن كان فيها خصب زاد الله  
خصبها ويرزق أهلها . والله أعلم .

## الإيمان بالحكمة والتدبير

مما لا يرتاب فيه العاقل الذى سار فى مهيع الاستدلال الصحيح . وسلم من العنت فإنه الحكمة الممحصنة التى ترجع إلى اليقينيات البديهية التى يستوى فيها العقلاء من النوع الانسانى وما كان برهانه من نفسه فلا يحتاج إلى برهان ، ذلك لأنه يدعو إلى الايمان بالحكيم المدبر الذى أسبغ على العوالم ما لم تكن متصفة به من وجوه الكرم وأنواع النعم من محض الجود والفضل .

وكل إنسان يوقن بأنه كان فاقدا للسمع والبصر والحياة والعلم ثم أسبغت عليه ومن أكرم بنعمة ممن لا يعرفه ، بحث عنه ليشكره إن كان فيه عقل وفيه خلق ، وإن لم يره فانه يشكره كذلك وهذا مما تهدى إليه فطرة من لم يمرض بعقله أو بقلبه وهذه النعم البادية فى نواحي الكائنات عظيمها ودقيقها بما فيها من حكم ونظم ودقائق وإحكام بديع ، إما أن يفرض أنها أثر جهل مطلق مما لا شعور له ، أو أنها أثر العلم والحكمة ، وكونها أثر الجهل أمر لا يمكن أن يقام عليه دليل ولو اجتمع عليه من اجتمع ، وستظل دعوى عارية لا تؤيد إلا بنفس الدعوى العارية ، فهى تكرر للعرى المزيف وهى عنوان فقدان الحجة والعار أبدا - وهى خلاف المعقول - وقد آمنت الانسانية بحقائق لم ترها لثبوت آثارها وإن لم تر ذاتها كالكهرباء والمغناطيسية وغيرها . فلم يبق إلا أن يكون العلم أثر العلم والحكمة أثر الحكمة . وهذا هو الأمر المشاهد بالفعل فى الحس فلا يتعلم الجاهل من جاهل وإنما يتعلم المتعلم من عالم وإن بمسألة واحدة وكل ما وصلت إليه الإنسانية أو تصل فإنما مصدره العلم وهو محوط بقوله تعالى ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ٥) فما جاء به سيدنا محمد ﷺ لا ينبغى لعالم أن يرتاب فيه ولهذا قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ (البقرة : ٢١) وأنتم على يقين لا يتطرق إليه الريب بأنكم لم



تكونوا على هذه الصورة فلا بد من مصور لكم أى مصور وقد قام الدليل على أن هذا الخالق عليم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك : ١٤) .

## خطأ عباد المخلوقات

وقد ضل من تصور أن مصدر هذه النعم بعض المخلوقات مع كونها ذات مبدأ زمنى كمن عبد الحيوان أو البشر أو عبد الماء أو الشجر أو الشمس أو القمر مع أن لكل منها زمنا صور فيه فله قدر محدود من العمر .

وهناك من هو أسبق منها وجودا - ولابد أن ترجع سلسلة الحادثات إلى مبدأ له الوجود من ذاته فلم يسبقه عدم ، والوجود الذاتى ، لا يصح عليه عدم بوجه من الوجوه - فالأول الذى أفاض النعم على الوجود عليم قديم لا أول لوجوده ولا نهاية ولا يصح أن تنسب النعم إلا إليه ولا ينبغى أن يشكر الشكر الذاتى سواء بحال وهذا اساس الإيمان وهو الحق فى نفس الأمر على ما هو عليه فى حقيقة الوجود وهو وحده الذى يمكن أن يقام عليه البرهان القطعى ، وكل ما عداه هباء فى هباء ويأتى بعد أمر الرسالة .

## التبليغ عن الحق سبحانه

ولما كان خصوم الحق قد زعموا أن الله لا يرسل البشر قرعهم بقوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ (الانعام : ٩١) لأن فى ذلك تعجيزا للقدرة الإلهية وهو تعالى قادر على أن يعد من شاء لتبليغ كلامه تعالى ولا حد للقدرة فى تعلقها بالممكنات ومن أقر بجواز إرسال الملك فالحجة أشد قياما عليه فإن الذى أقدر الملك على الرسالة وهو مخلوق ، له أن يقدر من شاء من البشر ، وهو مخلوق كذلك فإذا تحققنا جواز إرسال البشر فمن السهل معرفة صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ ومن أثبت رسالة بالفعل لقوم بدليل ما ، يجب عليه أن يسلم برسالة سيدنا محمد ﷺ ، حيث قد صحبها نظير للدليل الذى أثبت الرسالة لمن كان قبله ﷺ .

وعلى هذا فالحجة قائمة على من آمن بتزليل سابق ومن لم يؤمن فالذى أنزله الله. على رسوله ﷺ هو الحق فى نفسه من حيث العلم أما من حيث العمل فقد حرم الظلم وجاء بالعدل والفضل فى المعاملة بين الناس ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل : ٩٠) وحقق ما طمحت إليه أفكار أهل الحق من الحكماء فى كل زمان وركز الأسس لأعلى مكارم الأخلاق فى الفرد والأسرة والمجتمع فى حالتى السلم والخصومة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة : ٨) ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٠) وكشف عن سبحات النور وقشع غياهب المادة عن حقائق الأرواح التى قدسها بفضل الفيض الربانى حتى كانت فى الملكوت الأعلى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٥٥) ترى بالمدد الإلهى وتسمع وتتحرك وتأخذ وتترك..

★ ★ ★

## إقامة الحجة بالتنزيل

هذه الحقائق أنزلت على هذا العبد وهو عبد لن يزال عبداً ولكنه عبد أنعم الله عليه وهو الذى حارب دعوى الألوهية للمخلوقات ونفى أن يكون لله ولد سبحانه وتعالى عما يشركون ، وليس بالملك بل هو بشر منكم تربي فيكم ويتكلم بلغتكم التى تتألف من الحروف ألم كهيعص والمفردات التى تنطقون بها ، فان زعمتم أن هذا التنزيل من قول البشر ، الريب فى قلوبكم من أثر التقليد أو الوهم أو الفرض العنادى - مع أنه لا مجال عند العقول المنصفة الصحيحة للريب فيه ، لظهور الدلائل البينة المتضافرة على أنه لا نسبة له إلى البشر - فأتوا بسورة (طائفة) كسور القرآن لاحتوائها على عقائد وعلوم وأحكام ودلائل كاحتواء السور على ما بداخله - من مثله - مما يماثله بعض المماثلة إن كنتم صادقين فى زعمكم الباطل .

ولا يوجه هذا التحدى لكم وحدكم فهو موجه لكل من استصرتكم به من العاملين من الجن والإنس ليعينوكم ويؤازروكم .

وليس من المعقول أن يتكلم فرد من البشر بكلام من عند نفسه هو عادة قومه التى نشأوا عليها ، ثم يعجز الكل عن أن يأتوا بمثل ما تعودوا أن يتكلموا به طول حياتهم وهب أن إنسانا انفرد بقصيدة أو أسلوب بلغ فيه نهاية الإجادة ، فثم من يقاربه فى تلك الاجادة حتى لا يكون الفارق معجزا .

كمن يحمل مقدارا من الحديد أكثر من غيره بأوقية مثلا فإن عجز أهل بلده عن مساواته فى الحمل فليس هذا من الإعجاز حتى يكون الفارق أمرا ناقضا للعادة - وهذا هو الحال فى القرآن .

ولا يصح كون المعجز أن صرفوا عن الاتيان بمثله ، أو بسلبهم العلوم التى لا بد منها للمعارضة ، لأن المعجزة لا بد أن تعرف لهم ولو للمنصفين فى الجملة منهم ،

فيعرفوا أنه كان في قدرتهم الإتيان بمثله ثم صرفوا عنه ، حتى تقوم عليهم الحجة ، وقد اتفقت كلمة علماء الأمة العارفين باللغة وأساليبها من قبل على أن المعجز هو القرآن لا الصرفة وذكر الشيخ الألوسي في رد هذا القول .

إن التحدى وقع بالقرآن على كل العرب فلو كان الإعجاز بالصرفة لكانت على خلاف المعتاد بالنسبة إلى كل واحد ضرورة تحقق الصرفة بالنسبة إليه ، فيكون الاتيان بمثل كلام القرآن معتادا له ، والمعتاد لكل ليس هو الكلام الفصيح بل خلافه فيلزم أن يكون القرآن كذلك . وأيضا - أنه تستلزم أن يكون مثل القرآن معتادا من قبل ، لتحقيق الصرفة من بعد فيجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها وذلك بين البطلان قال تعالى ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الاسراء : ٨٨) .

والآية تدل على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لأنه بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره . ا هـ . والآية واضحة الدلالة على أن الهاء في مثله تعود على القرآن وفيها الدلالة على أن الهاء من مثله في سورة البقرة عائدة على القرآن كذلك .

ولو كان في استطاعة أولئك البلغاء الفصحاء المجيء بسورة من مثله لما عدلوا عن مخاصمته بالقول وهو هين إلى الحرب والقتال وسفك الدماء وسبى الاعراض وليس أشد منه على نفس العربى وقد شهد أعداء سيدنا محمد ﷺ من فصحاء العرب بانقطاع الناس وعجزهم دون القرآن .

أخرج الحاكم وصححه والبيهقى في دلائل النبوة : عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة جاء للنبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، قال وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ،

لا يبرجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه هذا الذى يقول شيئاً من هذا  
 والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله  
 لمغدق وإنه يعلو وما يعلو وإنه ليحطم ما تحته أ. هـ. ومن عرف اللغة واساليبها  
 والجمع بين المعانى المطابقة للحقائق بادية فى الأسلوب الرائع الجامع للجزالة  
 ونصوع الألفاظ وبين تناسق المعانى وحلاوة الحس الروحى الذى ينساب فى قرارة  
 النفس فيصب فيها المعانى العالية صبا ، يدرك البون الشاسع بين القرآن وبين  
 ما عدا القرآن .

وإذا صنع الصائغ الماهر تحفة تحدى بها أمهر الصناع فى دقة الصنع فعجزوا ،  
 فغير أهل الصناعة أشد عجزاً . ولا عبرة بمن لا يعرف الصناعة والصياغة ممن  
 نشأ فى العجمة فتملكته وأماتت روح التمييز فيه .

وقد كانت حياة الأمة العربية يسودها التنافس فى البيان والمباراة فى الفصاحة  
 والتبيان فإذا عجز أهل اللغة المبرزون فغيرهم من أهل اللغات أشد عجزاً ومعلوم  
 لدى الباحثين سعة اللغة العربية وغزارة مادتها وتنوع المفردات المسائرة لما يختلج  
 فى النفس من المعانى والدقيق من شتى العواطف فى مراتبها المختلفة .

ولن يزال هذا التحدى الإلهى بهذا الكتاب قائماً للعالمين إلى يوم الدين .

(س) هل يجوز التفضيل بين الأنبياء والرسل ؟ وهل يجوز أن نقول إن  
 سيدنا محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء والرسل ؟

(ج) قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ  
 دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة : ٢٥٣) .

تلك معنى أولئك ، روى فيها تأنيث لفظ الجماعة ، ورسل الله تعالى بدايتهم  
 ونهايتهم أمر واحد حق كله ، عليهم الصلاة والسلام ، والنبي من أوحى إليه بشرع  
 يعمل به فى نفسه فإذا أمر بتبليغه وإن لفرد واحد فهو رسول - تلك الرسل الذين  
 علمت صفاتهم ، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، خصصناهم

بوحى النبوة جميعا ، وبلغناهم مقام الرسالة ، وخصصنا بعضهم بخصائص ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهذا التفضيل غير المحاباة فإنها اختصاص البعض بأنفع على ما توجبه الشهوة دون الحكمة وهذا مستحيل على الحكيم سبحانه والله غنى عن العالمين ، وذلك غير الابتداء بالفضيلة فيما هو عين الحكمة وهو شأن البارى الذى أحاط بكل شىء علما سبحانه .

وما صح عنه ﷺ «لا تفضلوا بين أنبياء الله» وقوله ﷺ «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» المراد به التفضيل الذى يشعر بانتقاصهم ويوهم بأن أحدا منهم لم يقم بما أمر الله فإن الجميع بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكأنه ﷺ ذكر يونس عليه السلام ليبرئه مما قد يدور بخلد جاهل ، إنه كان مقصرا فى الرسالة بتركه قومه ، وإنما تركهم لله لما عصوه فى قبول دعوة ربه عز وجل . ولما رأوا العذاب عيانا ، بعد أن اعتزلهم أسلموا فتاب الله عليهم .

وابتلاء الله لصفوة خلقه وذكر خبرهم لنا تعليم لنا وإرشاد ، لنصبر كما صبروا ونلجأ إلى الله عز وجل كما لجأوا إليه ففرج كربتهم .

وأخرج الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : مررت بعثمان آنفا فى المسجد فسلمت عليه فملا عينيه منى فلم يرد على السلام ، قال فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال : ما منعك ألا تكون رددت على أخيك السلام قال ما فعلت ، قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت ، ثم إن عثمان ذكر فقال : بلى واستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بى آنفا وأنا أحدث نفسى بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصرى وقلبي غشاوة قال سعد فأنا أنبئك بها . إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابى فشغله حتى قام رسول الله ﷺ ، فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقنى إلى منزله ضربت بقدمى الأرض فالتفت إلى رسول الله ﷺ «من هذا ؟ أبو إسحق» قال : قلت نعم يا رسول الله قال لى «فمه» قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابى فشغلك قال : نعم دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ ﴿ (الانبياء: ٨٧) إنه لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له . رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلى- قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الانبياء: ٨٨) .

وذكر موسى وفضله حتى لا يشتبك المسلمون مع اليهود فى نزاع قد يجر إلى سبق لسان من مسلم فى جانبه الشريف حال الغضب فهو منع للتفضيل فى موطن الخصام بدليل الحال الذى ذكر فيها هذا النهى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

بينما يهودى يعرض سلعته أعطى بها شيئا كرهه فقال لا والذى اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فاطم وجهه وقال تقول والذى اصطفى موسى على البشر، والنبي ﷺ بين أظهرنا فذهب إليه فقال يا أبا القاسم إن لى ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهى فقال لم لطمت وجهه فذكره فغضب النبى ﷺ حتى روى فى وجهه ثم قال « لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور ، أم بعث قبلى ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى» .

وهذا لا يمنع أن ذلك الفضل هو الحق .

والأنبياء جميعا وإن تفاوتوا فى مقاماتهم فإن رتبة النبوة تجمعهم جميعا وهى وصف ثابت لكل منهم كالإيمان وإن تفاوت المؤمنون فى مراتبهم فيه ، فإن الإيمان وصف ثابت لكل مؤمن ، فله حق الإيمان ألا يخلد فى النار ، وأن يدخل الجنة ولا يخرج منها أبدا وأن يتشرف بالنظر إلى ربه سبحانه من غير كيف وهى رؤية غير الرؤية المعروفة ، لا يلزم فيهما يلزم فى الرؤية الحسية .

وتفاوت النبيين فى المراتب وتفاضلهم صريح فى الكتاب والسنة لا سبيل إلى رده ولا منافاة بينه وبين ما ورد فى الحديث فهذا فى موطنه وذاك فى موطنه .

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس وقال سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿ (النساء : ١٦٤) وكلامه سبحانه غير كلام الخلق من كل الوجوه بلا خلاف والبيّنات : الآيات الظاهرة الباهرة والدلائل الواضحة ، وأيده بروح القدس (جبريل عليه السلام) وقال تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (غافر : ١٥) سره وبركته .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (الاسراء: ٥٥) فذكر سبحانه وتعالى موسى وعيسى وداود عليهم السلام وهم أصحاب الكتب والرسالات الجامعة في بنى إسرائيل .

ومن آمن بأن الله سبحانه قد أرسل رسلا من قبل فهاهو ذا قد أرسل محمدا ﷺ وحجتهم حجتة وشهادتهم شهادته وأيده الله بما أيدهم به وزاد فالحجة قائمة على كل من لم يؤمن بما جاء به .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» .

ولم يقل أحد منهم (وهم صادقون) إن الله عز وجل لا يرسل بعده رسولا ، بل بشروا به ﷺ والبشارات به ﷺ ثابتة في كتبهم .

منهم من كلم الله أى كلمه الله ، فلا عجب أن يكلم سيدنا محمدا ﷺ كما كلم موسى عليه السلام فان فضل الله لا حجر عليه وآدم نبى مكلم . رواه الحاكم على شرط مسلم .

﴿ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (البقرة : ٢٥٣) فلا حرج أن يرفع محمدا ﷺ ويختصه بما لا تحصره علوم الخلق .

﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة : ٢٥٣) وقد آتى محمدا ﷺ البيّنات وأيده بروح القدس وآتاه الكتاب الذى جمع كل ما فى الكتب والصحف المنزلة على جميع النبيين وزاد عليها فان التشريع نزل على كل نبى فى



حدود رسالته الخاصة إلى قومه ، وما جاء به ﷺ هو الشفاء لشقاء الانسانية أجمع  
فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة . وهو المعراج الذى يرقى بمن سلك  
فيه إلى المنزلة التى أعدها الله لهذه الأمة المباركة .

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) وقال عز شأنه فى الأنبياء عليهم  
السلام ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم : ٤) .

وقال عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ فأرسل إلى الجن  
والإنس - أخرجهم الامام الدارمى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الاحقاف : ٣٥) وأخذ الله  
الميثاق على النبيين ليؤمنن به ولينصرنه وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ  
وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (الاحزاب : ٧) .

وفى المستدرک على الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سيد  
الأنبياء خمسة ومحمد ﷺ سيد الخمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد  
عليهم الصلاة والسلام وأقر الذهبى تصحيحه وهم أولوا العزم .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع  
الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأض مسجدا وطهورا وأرسلت  
إلى الخلائق كافة» رواه مسلم فى الصحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : جلس ناس من الصحابة يتذاكرون وهم  
ينتظرون خروجه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال  
بعضهم عجبا إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا ، اتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر  
ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما . وقال آخر ماذا بأعجب من جعله عيسى  
كلمة الله وروحه . وقال آخر ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم ، فسلم رسول  
الله ﷺ عليهم وقال : «قد سمعت كلامكم وعجبكم . إن إبراهيم خليل الله وهو  
كذلك ، وإن موسى نجى الله وهو كذلك ، وإن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ،  
وإن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد

يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة ويفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر» . رواه الترمذى وغيره وفى الصحيح «أنا سيد الناس يوم القيامة» .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» . أخرجه الترمذى .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة كنت أنا إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر ، أخرجه الترمذى أيضا .  
وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد من قبلك . أخرجه مسلم .

ومعجزات الأنبياء عليهم السلام التى ظهرت فى زمنهم مضت . ومعجزاته ﷺ لاتزال قائمة إلى يوم القيامة فإنه لم يبق على الحق إلا أتباعه ﷺ وكراماتهم معجزات له ﷺ وكتاب الله المعجزة الجامعة خالدا لايزول ، تتجدد آياته بظهور الحقائق التى ذكرت لنا فيه على مر الزمن . وما من فضيلة لنبي إلا اتصف بها الحبيب الأعظم ﷺ ، وما من معجزة لهم إلا وأجرى الله على يده مثلها أو أعظم منها .

وقد فصل الحفاظ ذلك فى رسائل أفردوها بالتأليف ، فهو ﷺ أعطى الخلّة التى أعطاها إبراهيم عليه السلام ، وفى الصحيح : لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا .

وأخرج ابن ماجه وأبو نعيم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، وأخرج أبو نعيم عن كعب بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بخمس . إن الله اتخذ صاحبكم

خليلاً - ومن أتباعه من لم تحرقه النار كأبى مسلم الخولانى ألقاه مسليمة فى النار فلم تحرقه ونفاه حتى لا يفسد عليه من تبعه ، وكذلك تميم الدارى .

وأخرج أحمد والبيهقى وصححه عن حميد أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى الدجلة وهى ترمى بالخشب من مدها فمشى على الماء ، ولفظ أحمد فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه ، وذكر تسيير بنى إسرائيل فى البحر ، ثم نهر دابته فانطلقت تخوض به واتبعه الناس حتى قطعها والتفت إلى أصحابه . وقال تفقدون من متاعكم شيئاً حتى ندعوا الله فيرده . وثبت نبع الماء من أصابعه ﷺ وهو أعجب من نبع الماء من الحجر وكذلك إحياء الموتى - أخرجه الحافظ ابن أبى الدنيا ونطق الجذع له ﷺ وهو جماد أعجب من حياة الميت ، فإن أصله حى ولا يعهد فى الجماد حياة ، وإبراء الأمراض كرد عين قتادة بعد أن قلعت أعظم من رد البصر للعين القائمة ومن أراد ذلك فليرجع إلى كتاب الخصائص والدلائل .

★ ★ ★

## تنزيه الأنبياء عليهم السلام

(س) سئل الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه عن بعض الآيات الواردة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال السائل بعد أن وقفت علي كلام بعض العلماء وما قالوا فيها وما نسبوه لصفوة الله من خلقه مما لا يليق بمنصب الرسالة والنبوة والملكية منها قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح: ١) ومنها قوله تعالى ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (الاحزاب: ٣٧) وغيرهما مما سيأتي ذكره إن شاء الله بعد .

(ج) فأجاب رضى الله عنه ومتعنا بطول بقائه وسقانا من بحر عرفانه وأدام علينا حبه من الآن إلى الاستقرار معه فى أعلى عليين آمين .

قال رضى الله عنه : اعلم أن الذنوب فى حق الأنبياء التى هى اقتحام المنهى عنه شرعا مستحيلة فى حقهم لا تتصور منهم لثبوت العصمة لهم مما دق أو جل منها والذى وقعت فيه المغفرة منه فى حقهم عليهم الصلاة والسلام هى التى تصدر من الأنبياء بلسان الإباحة الشرعية لكن يتناولها طلب الترك من وجه إجمالى لا تصريحى وطلب الترك هنا ليس المحرم شرعا وإنما يطلب ترك ذلك الأمر وإن كان فى نفسه مباحا تنزيها لعلو مقامهم بالتدنس بملابسة ذلك المباح الذى تناوله وجه طلب الترك من وجه آخر فإن المباحات فى حق الأنبياء منقسمة قسمين قسم يتمحض فيه حكم الإباحة من كل وجه لا يعارضه طلب الترك فى وجه من الوجوه فهذا لا عتاب عليه ؛ وقسم من المباح يتناوله حكم الإباحة من وجه ويتناوله طلب الترك من وجه أو وجوه فهذا إن تفتنوا له وعلموه تركوه ولم يقتحموه وإن غفلوا عن وجه طلب الترك فيه واقتحموه لأجل ما فيه من الإباحة وقع العتاب عليهم وهذا هو الذنب المعهود فى حقهم ولتعلم أن هذا الذنب لم يكن من قسم المحرم عليهم

شرعا ولا من قسم ما سمعوه من طلب الترك فى عينه بل هو داخل فى جملة طلب الترك فهو ليس بذنب شرعا وإنما أطلق عليه اسم الذنب مجازا وإن كان مباحا لغيرهم من العامة وطلب منهم تركه لعلو مقامهم فهو كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين فهذا الذنب هو فى نفسه مباح شرعا ولكن طلب منهم تركه لأجل تنزيه المقام لعلو جلالهم .

وأما ما ذكر من الغفلة فليست هى الغفلة المعهودة فى حق العامة وهى الإعراض عن مطالعة الحضرة الإلهية ولكن الغفلة ههنا فى حقهم هى النسيان ، والنسيان غير مستحيل فى حقهم لأنهم جبلة بشرية فقد قال ﷺ «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكرونى» .

وكما فى قضية حديث ذى اليمين حيث سلم من ركعتين فى الرباعية ﷺ فقال ذو اليمين : أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال ﷺ «لم تقصر ولم أنس» فقال له بل نسيت فلما قال له ذلك سأل ﷺ أبا بكر وعمر فقال لهما «أحق ما يقوله ذو اليمين» فقالا له نعم فرجع للصلاة وأكملها فظهر لك من هذا الخبر أن النسيان يطرأ على الأنبياء بتصرفات الأحكام الشرعية وهى الصلاة وهى أعظم ما يطلب شرعا ونسى ﷺ بعض أجزائها فهو دليل أن النسيان فى تصرف الأحكام الشرعية غير مستحيل فى حقهم بشاهد الحديث .

ولتعلم أن النسيان المذكور هنا هو غير الملحوظ فى قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ (الاعراف : ٥١) فإن ذلك هو تعمد الترك للعمل بأمر الله مع العلم به وعدم نسيانه ولكن النسيان ههنا هو الترك فقط والنسيان المعبر عنه فى حق الأنبياء ينقسم قسمين فقط لا ثالث لهما . القسم الأول هو الطارئ بالجبلة البشرية وهو نسيان الحكم فى الأمر وعدم وقوعه فى بال الشخص فهذا صاحبه معذور لا يؤاخذ به شرعا .

والقسم الثانى من النسيان أن يطرأ على أكابر الصديقين والأنبياء فى حضرة ذى الجلال سبحانه وتعالى من التجليات والواردات مما يذهل العقل وينسيه الأحكام

التي كان يعلمها أو بعضها بسبب السطوة الطارئة من التجلى أو الوارد فهذا أيضا كالنسيان الجبلى إذ صاحبه معذور ، وهذه هى وجوه النسيان فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

قلت للشيخ رضى الله عنه وهل يطرأ النسيان على الرسل قبل تبليغ ما أمروا به كما طرأ بعد التبليغ قال لا ولو نسى مما أمر بتبليغه للخلق لبعث الله إليه الملك وذكره به ليتم الدين الذى أراده سبحانه وتعالى لأنه هو الحافظ له حتى يكمل ما أراده من شرعه قال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة : ١٦- ١٧) لأنه كان ﷺ يعجل بقراءة ما يسمعه خوفاً من النسيان .

ثم قال رضى الله عنه وإنما وقعت المعاتبة على النسيان الطارىء بسبب الجبلة أو بسبب الواردات لعلو مقامهم ولطلب تنزيهه مما يدنسها فهذا وجه الغفلة عن وجه طلب الترك فيما تمخض فيه حكم الإباحة ومثال ذلك فى قضية نوح عليه الصلاة والسلام حيث غرق ولده بعدما سمع من الله أن أهله ناجون فتحير وسأل الله تعالى عن ذلك كما فى القرآن إذ وجه الإباحة أن السؤال مباح له فى طلب تحقيق ما أشكل عليه مما ذكر عنه فى الآية وهذه القضية يتناولها وجه طلب الترك مما عرف فى شرائع جميع الأنبياء من طلب ترك البحث عن سر القدر لاستبداد الحق به قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ (الانبياء : ٢٣) ولما غفل عن هذا الوجه لكونه يتناول القضية والغفلة طرأت عليه لأحد القسمين اللذين ذكرناهما لا القسم الثالث عوقب حينئذ لغفلته قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (هود : ٤٦) .

وكقضية موسى عليه السلام فى قتل النفس فإن وجه الإباحة فيها أنها كافرة أصلية لا عهد لها ولا ذمة تترك لأجلها وظلمت بما فعلت بالإسرائيلى الذى استغاث به ولما عليه من نصرة المظلوم إذا كان يقدر عليه ولم يكن فك الإسرائيلى منه إلا بضربه فوكزه غير قاصد لقتله فقضى عليه وكل هذه الوجوه مصرحة بالإباحة وقتله كان خطأ غير قاصد له ووجه طلب الترك فيها أن أرواح الكفار وإن كفروا لم يبيع

إراقة دمائهم إلا بالإذن الإلهي والإذن الإلهي لا يكون إلا بعد تبليغه دعوة الرسالة وإبائتهم عن أمر الله تعالى ونبذهم بعد الإنذار والتلوم فحينئذ يأذن الله في قتله وقتالهم للرسول فلما لم يكن شيء من هذا الذي يرفع طلب الترك وإنه كثرت فيه وجوه الإباحة كان العتاب واقعا من هذا الباب فلما تفتن موسى عليه السلام لهذا قال ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ (القصص: ١٥) .

ونبينا عليه الصلاة والسلام حيث استشار أصحابه رضى الله عنهم فى أسارى بدر فأشار بعضهم بالقتل وبعضهم بالعفو وأخذ الفداء فنزلت الآية بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٧-٦٨) وقوله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (الأحزاب: ٣٧) بعد قوله ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ (الأحزاب: ٣٧) الآية وأمثال هذه . وكقول سيدنا يوسف عليه السلام للذى نجا منهما ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ (يوسف: ٤٢) وقس ما لم يذكر على ما ذكر حاصله أن الأمور المطلوبة فعلا وتركها فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الأول طلب الفعل كالواجبات فلا يمكن تركه من النبى ، الثانى طلب ترك الفعل كالمنهيات ، فلا يمكن ارتكابه من النبى ، وما بينهما فهو فيه بالخيار ، ولكن هذا ينقسم أيضا قسمين ، قسم يقع الإذن فيه إما بفعله أو تركه وهذا لا عتاب فيه ، والقسم الثانى لا يسمع الإذن فيه وهذا تارة المطلوب تركه من النبى ويفعله كالأمثلة المتقدمة فى الآيات لعدم علمه به أو لغفلته عنه ، وتارة العكس، وهو طلب فعله من النبى ويتركه لما ذكرناه من غفلته عنه أو عدم علمه به ، فهذا القسم من المباح ، وهو الذى يقع العتاب عليه لصفوة الله من خلقه ، أو العتاب والمؤاخظة ماعدا سيد الوجود ﷺ .

والمؤاخظة المذكورة هى ببعض مصائب الدنيا وبلاياها فقط ، وهذا التحصيل فهمته من كلام الشيخ وليس هو لفظه .

ثم قال رضى الله عنه ولا يقال إن الغفلة عن بعض هذه الأمور التى عوتب عليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جهل فى حقهم ، فإن الجهل المستحيل فى حقهم

عليهم الصلاة والسلام إنما هو الفعل الصادر عن متابعة الهوى والغفلة عن حضرة الله تعالى بأنهماك النفس فى شهواتها والولوع بمألوفاتها؛ أما من استغرق فى مشاهدة حضرة الله تعالى فى جميع لحظاته مع كمال مراعاته لأدب الحضرة الإلهية مع توفيقه بما يلزمه من القيام بالحقوق الإلهية ولا يلتفت لهوى نفسه حتى فى أقل قليل ، فإن هذا لا يلم بساحته الجهل ، إلا أن هناك أموراً فى الحضرة الإلهية لم يصل إليه العلم بها ، ولا يقال إنه جاهل بها لأن الجهل انتفى بالصفة المذكورة، وإنما ذلك من عدم الإحاطة بأمر الله ، إذ علم الله لا يحيط به محيط فلا يعلمون من وراء المرتبة التى ينتفى الجهل بها إلا ما أعلمهم الله به ، وما لم يعلمهم به بقى محتجباً عنهم لعدم إحاطتهم بعلم الله قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (البقرة : ٢٥٥) وليس هذا بالجهل المذموم .

★ ★ ★



## عصمة رسول الله ﷺ عن الخطأ، في اجتهاده وفي أوامره

(س) أرسل الأستاذ عبد المالك محمد عبد الله - من نيالا بالسودان - سيدنا العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني رضي الله عنه ، كتاباً يسأل عن أمور :

منها زعم بعض من ينتسب إلي العلم ، أن رسول الله ، يخطيء ويصيب في مجال الاجتهاد . واستدل بإشارة بعض الصحابة في غزوة بدر، والفداء ، والأعمى في سورة عبس وتولي ، وتأبير النخل ويسأل سيدنا عن حقيقة هذا الزعم الباطل ؟ .

(ج) وقد أجابه رضي الله عنه بكتاب عن هذه الأسئلة . ونحن ننشر الرد على صفحات هذه المجلة ، ليعم النفع بها إن شاء الله تعالى ثم قال رضي الله عنه بعد الديباجة لبيان عصمة الرسول ﷺ عن الخطأ في اجتهاده وأوامره :

### ١ - أخذ الفداء من أسرى بدر :

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتُخَّنَ فِي الْأَرْضِ تَريدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال ٦٧-٦٩) .

وروى عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل عن غزوة بدر ، قال : فلما أسروا الأسارى قال ﷺ لأبى بكر وعمر : ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن نأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام . فقال ﷺ : ما ترى

يا ابن الخطاب ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه . وتمكننى من فلان - نسيباً لعمر - فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، فلما كان من الغد جئت ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبيكان . فقلت : يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال : أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة . وأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال : ٦٧-٦٩) . فأحل الله الغنيمة لهم . رواه الترمذى ومسلم واللفظ له .

وأخرج الترمذى والإمام أحمد والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود لما كان يوم بدر وجىء بالأسارى قال النبى ﷺ : ما تقولون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : قومك وأهلك ، استفدهم ، ولعل الله أن يتوب عليهم . قال عمر : أخرجوك وكذبوا بك ، نضرب أعناقهم . وقال ابن رواحة : انظروا وادياً كثير الحطب فأدخلوهم فيه ، ثم أضرم عليهم ناراً . فدخل ﷺ ثم خرج . فقال : مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم ، قال : فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم . وكمثل عيسى قال : إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . ومثلك يا عمر كمثل نوح : قال : رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . وكمثل موسى قال : واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . أنتم عالة فلا ينفلتن أحد إلا بفداء أو ضرب عنق .

وإليك الإجابة عما أشكل فهمه على ما يخطئون رسول الله ﷺ وهم المخطئون . قال تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء : ٧٩) .

فقد قضى داود عليه السلام قضاء ، وقضى سليمان قضاء . وقد آتى الله تبارك

وتعالى سليمان وداود حكماً وعلماً . وإذن فقضاء داود حق وصواب . فمن قال إنه خطأ ، فقد افترى على الله كذباً . وإنما يقال : هذا قضاء حق وصواب ، وقضاء سليمان عليه السلام ، حق وأكثر صواباً . لأن كلا الأمرين حكم الله ، والعلم الذى آتاه الله كلا منهما . فإن داود عليه السلام قضى بالعدل ، وكان قضاء سليمان عليه السلام صلحاً ، روعى فيه مصلحة الفريقين .

وكان الحرث إذا قوم ، كان قيمته كقيمة الغنم . وبذلك قضى داود .

وفى المرأتين اللتين تنازعتا الغلام ، لم يكن لواحدة منهما دليل إلا دعواها . فقضى داود عليه السلام بوضع اليد ، لأنه أمر زائد على دعوى كل منهما وهو الحكم الشرعى إذا لم يكن هناك دليل غيره . ولا يقال إن هذا خطأ . وكان قضاء سليمان عليه السلام ، بأن اجتهد لإظهار الحقيقة . فأمر بشق الغلام نصفين . وإذا ذاك غلب الحنان على أمه ، فقالت : هو لها . فأعطاه إياها .

وعلى هذا فلننظر ، أمر المعصوم رسول الله ﷺ ، خاتم النبيين والمرسلين .

هل أمر بشئ فى أمر الأسرى يوم بدر ، فاجتهد ، فيه فخالف ما أمر به ؟ كلا . ولكنه لم يؤمر بشئ فى ذلك . ولم ينزل عليه وحى فى ذلك . واستشار أصحابه كما أمره الله عز وجل . وقد اختار الأمر الأرفق ، الذى سبق فى علم الله ، أنه الأمر الذى سيستقر عليه التشريع . وكون الأولى ألا يكون له أسرى إذ ذاك . فأى معصية فى ذلك ؟ . ولا يعقل عاقل ، أن ليس له أن يجتهد ويختار . وأن ذلك الاختيار حق وصواب . وإن صح أن يكون ما هو أصوب منه فى ذلك الوقت . وعلم الله ، أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، كان نظرهم إلى تحصيل الدنيا .

أما من يقول إن هذا رأى كان خطأ ، أو أنه ﷺ اجتهد فأخطأ وهو مأجور له أجر المجتهد المخطئ لاجتهاده فى طلب الحق . فهذا القول صاحبه هو المخطئ ، بل هو عريق فى الخطأ . ففرق بين صواب وأصوب وحسن وأحسن ، وبين نسبة الخطأ إلى رسول الله ﷺ فإن فى ذلك جهلاً وسوء أدب . لأن المجتهد يجتهد فى فهم تشريع سابق ، وأمامه نص أو نصوص يبحثها ، أما ما كان قبل الأمر والنهى فلم

يتوجه إليه تشريع فيه . فلا ينطبق على ما أخطأوا في فهمه من شأنه ﷺ فكله ﷺ بركة ونور . وحاشا أن يصدر منه ذنب أو خطأ بالمعنى الذى يتوهمه المخطئون .

كما أن من نسب الخطأ لداود عليه السلام فهو المخطئ ، سيئ الأدب ، مخالف لكتاب الله عز وجل .

وقد استقر بعد ذلك ، على حل الغنائم لرسول الله ﷺ كتاباً وسنة . وهو الأمر الذى اختاره رسول الله ﷺ .

وأما رأى عمر وموافقته للتزليل ، فقد صح أن رسول الله ﷺ أتى فى الرؤيا بقدر من لبن فشرب منه ثم أعطى فضلته عمر . فقالوا : ما أولته يا رسول الله ؟ قال : أولته العلم . فعلم عمر إنما هو فضلة من فيض رسول الله ﷺ . وإنما قال ببركة رسول الله ﷺ وقد أراد الله عز وجل أن تشرع الشورى عملياً على يد رسول الله ﷺ ، كما قال تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) فإذا كان المعصوم ﷺ وهو الذى يأتيه الوحي من السماء . أمر باستشارة أصحابه ، فكيف بغيره من المؤمنين ؟ وأين الناس وسيد الخلق ﷺ ؟ فمن يستقل برأيه ، فقد خالف ربه تبارك وتعالى .. ولا شك أن مآله إلى الدمار والعياذ بالله .

## ٢ - المنزل الذى نزل به بدر :

وقل مثل ذلك فى مشورة الحباب بن المنذر . فقد سبق فى العلم الإلهى أن ينزل ﷺ بمنزل فى بدر . فيشير عليه الحباب بن منذر بن الجموح . قال يارسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال رسول الله ﷺ : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل . فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب . ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم . فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ «لقد أشرت بالرأى» .

ومن الحباب بن المنذر أو غيره بالنسبة لرسول الله ﷺ ؟ وإنما أفيض عليهم من نوره ﷺ ، عمر والحباب وغيرهما ، وهو ﷺ له أجران فى اجتهاده فى منزله الأول

وفى منزله الآخر . لأنه مشرع ﷺ ، حتى لا يستبد أحد من الأمة برأيه . ففتحمل الأمة تبعه خطئه ولم تشاركه فيه ، فيكون ذلك من الظلم وقيادة الأمة إلى الهلاك .

٣ - قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ (عبس : ١-٢) وتوجيه القول فيه :

وشئون النبوة جميعها ، تدور بين الحسن والأحسن ، ومستحيل أن يكون فيها قبيح . وما نسب إلى الأنبياء من ذنوب فهي مؤولة بما يناسب مقاماتهم الرفيعة ، وإذا حققت وجدت حسنات . وليست بالذنوب المعروف عند العامة . فإنهم صلوات الله عليهم جميعاً معصومون من ترك واجب أو فعل محرم .

وكل ما نسب للنبيين ، فإنما يقدر بحسب مراتبهم ، لا بحسب من دونهم ، فإنهم معصومون قطعاً ، ولا يعقل أن ينهى نبي عن معصية فيرتكبها .

وقد قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الاحزاب : ٢١) أسوة حسنة فى أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ ، وكذلك جميع النبيين ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

وقد أزال الله الحجاب عن رسوله ﷺ من أول الأمر ، فعصمه قبل النبوة فلم يسجد لصنم مع نشأته فى بيئة الأصنام ، وما ارتكب أمراً يلام عليه ؛ وكان يدعى الأمين .

كما ستر عنه من ذنوب مرتبة النبوة - وهى فعل الحسن وترك الأحسن - ما كان يقع منه لو لم يزل عنه الحجاب ، فحتى ذنوب مرتبة النبوة لم تقع منه ﷺ .

وما ظاهرة العتاب له ﷺ ، فإنه رحمة به ﷺ ، وإشفاق عليه ، من إجهاد نفسه ، وتكليفها ما يشق عليها ، فى سبيل الدعوة إلى ربه . كقوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف : ٦) .

وأما قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهَ يَزَكَّى \* أَوْ يَذْكُرُ

فَتَنَفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ (عبس : ١-٤) . فقد كان ﷺ ، مشتغلاً بدعوة صناديد قريش ، وكان يطمع فى إسلامهم . ولو أسلم واحد منهم ، لأسلم الجم الفقير من أمثال ابن أم

مكتوم ﷺ . فكان ﷺ مشتغلا بالدعوة إلى الله ، لا بهوى نفسه ، فإنه مبرا من الهوى . ونزلت هذه الآيات ، ليخفف رسول الله ﷺ من عنائه مع أولئك المشركين . فكان الحق سبحانه يقول له : ارفق بنفسك . فهي من الرفق به ﷺ .

وقس على ذلك ، ما ينطبق على هذه القاعدة ، مما نسب إليه ﷺ ، كقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٢) فإما أن تكون إيناسا لرسول الله ﷺ في ترك الأحسن ؛ أو جملة دعائية كقول من يخاطب من يجلب بقوله : أصلحك الله . وإذا فرضنا أن هناك عتابا فهو عتاب المشفق على من يشفق عليه . فقد كان ﷺ حريصا على تأليف المنافقين والمشركين فأذن لهم ، فبين له ربه عز وجل ، أنهم لا يستحقون حرصه ﷺ عليهم ورأفته بهم .

وهذا هو الذى يقصده المفسرون من العتاب . فلم يقل أحد إنه عتاب على ذنب محرم ، لاتفاقهم على العصمة . ولا مكروه ، لأنه لم يسبق تشريع ولا نهى .

#### ٤ - قوله ﷺ أنتم أعلم بأمر دنياكم :

أما قضية تأبير النخل . فقد روى مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ ، مرّ بقوم يلحقون النخل . فقال : «لو لم تفعلوا لصلح» ، قال فخرج شيصا . فمر بهم ، فقال : ما لنخلكم ؟ قالوا : قلت كذا وكذا . قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

وإن قوما من ذوى النوايا السيئة ، يريدون أن يتخلصوا من الأحكام الشرعية مستدلين بهذا الحديث بقوله ﷺ : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

ومن فهم فى هذا الحديث أنه ﷺ ، كان يجهل أن النخل لا يصلح إلا بالتأبير (وهو أن تلقح الأنثى بلباح الذكر من النخل) فهو مخطئ فى فهمه ، وفهمه مردود عليه . فإنه ﷺ ، لا يعقل أن يعلم شأن تأبير النخل ، وهو فى جزيرة العرب وفى سن ثلاث وخمسين - فإن قضية التأبير كانت بعد الهجرة - فكان أولئك القوم

جعلوه ﷺ - وحاشاه - دون الرجل العادى فى دقة الملاحظة فيما حوله من أمور الدنيا، وفى فهم المجتمع الذى يعيش فيه . وحاشاه ﷺ .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ ، بعث سرية عيناً . وأمر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا لحنى من هذيل ، يقال لهم بنو لحيان . فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم ، حتى أتوا منزلاً نزلوه . فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة . فقالوا هذا نوى تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ... إلخ الحديث فكانوا على علم بأنواع التمر ونواه . فهل كان ﷺ دونهم علماً ؟ كلا لا نقبل هذا ولا نقر من يذهب إليه ونخطئه فى فهمه .

وقد روى الطبرانى عن مزينة - جد هود العبدى - قال : بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ، إذ قال : يطلع عليكم من هذا الفج ، ركب من خير أهل المشرق . فقام عمر بن الخطاب فتوجه فى ذلك الوجه ، فرأى ثلاثة عشر راكباً ، فرحب وقرب . وقال : من القوم ؟ قالوا : قوم من عند عبد قيس . قال : فما أقدمكم لهذه البلاد ؟ التجارة قالوا : لا . قال : فتبيعون سيوفكم هذه ؟ قالوا : لا . قال : فلعلكم إنما قدمتم فى طلب هذا الرجل ؟ قالوا : أجل فمشى معهم يحدثهم حتى نظر إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا صاحبكم الذى تطلبون . فرمى القوم بأنفسهم عن رواحلهم . فمنهم من سعى سعياً ، ومنهم من هرول هرولة ، ومنهم من مشى ، حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخذوا بيده يقبلونها ، وقعدوا إليه . وبقي الأشج ، وهو أصغر القوم ، فأناخ الإبل وعقلها ثم أقبل يمشى على تؤدة ، حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخذ بيده فقبلها . فقال رسول الله ﷺ : إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله . فقال : وما هما يا رسول الله ؟ قال الأناة والتؤدة . قال : أجبلا جبلت عليه ؟ أو تخلقاً منى ؟ قال : بل جبل . قال : الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله . وأقبل القوم قبل تمرات لهم يأكلونها . فجعل النبى ﷺ يسمى لهم ، هذا كذا وهذا كذا . قالوا : أجل يا رسول الله ، ما نحن بأعلم بأسمائها منك . قال : أجل . فقالوا



لرجل منهم : أطلعنا من بقية الذى بقى من نوطك (الحلة الصغيرة التى فيها التمر) فقام فأتاه بالبرنى . فقال النبى ﷺ : هذا البرنى ، أما إنه من خير تمراتكم ، إنما هو دواء لا داء فيه - رواه الطبرانى وأبو يعلى ورجالهما ثقات وفى بعضهم خلاف . وقد رجح الحافظ الهيثمى أنهم ثقات رغم هذا الخلاف فهو خلاف لا يضر عند المحدثين .

وقد بين لهم ﷺ ، أنواع تمرهم . وذكروا أنه ﷺ ، أعلم به منهم وهم فى البادية . فهل يعقل أنه ﷺ ، يعلم أنواع التمر ، ولا يعلم ما يعلمه الرجل العادى أنه لا يصلح إلا بالتأبير؟

وأما توجيه الحديث ، إن الله عز وجل جعل أسباباً ومسببات والعبد إذا صدق فى توكله على الله عز وجل حق التوكل ، خرقت له العوائد فلم يتقيد بالأسباب . ومثل ذلك : قوله ﷺ : لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد .

فقوله ﷺ : لا عدوى ، تنطبق على من توكل على الله حق توكله .. وقوله ﷺ : فر من المجذوم فرارك من الأسد . هذا فى شأن الآخذ بالأسباب . وقد أخذ ﷺ بيد مجذوم ووضعها فى القصعة وقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه . وقد شرب خالد بن الوليد رضى الله عنه السم وقال : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم . فلم يضره السم .

وأخرج الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى رافع : صنع للنبي ﷺ شاة مصلية (مشوية) فأتى بها . فقال : يا أبا رافع ، ناولنى الذراع . فناولته . فقال يا أبا رافع ، ناولنى الذراع . فناولته . ثم قال : يا أبا رافع . ناولنى الذراع . فقلت يا رسول الله ، وهل للشاة إلا ذراعان ؟ فقال : لو سكت لناولتنى منها ذراعاً ما دعوت به . وكان ﷺ يعجبه الذراع . قال فى مجمع الزوائد ٢٠٢/٨ أحد إسنادى أحمد حسن .



فقلوه ﷺ : لو تركتموه لصلح . أى لو تركتموه من قلوبكم توكلوا على الله ، لصلح . بأن يرسل الله عز وجل الرياح لواقع فتؤبره مثلاً . ولكنهم قد تعلقت قلوبهم بالأسباب فلم يتركوه من قلوبهم توكلوا على الله . فخرج شيصاً . فردهم رسول الله ﷺ إلى العمل بالأسباب . وقال لهم : أنتم أعلم بأمر دنياكم . أى ارجعوا إلى ما تعلمون من الأسباب .

وكلام رسول الله ﷺ ، حق كله . وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، عندما منعه بعض أصحابه أن يكتب عنه ﷺ ، وقالوا له : إن رسول الله ﷺ يقول فى حال الرضا وحال الغضب . فقال ﷺ : أكتب والذى نفسى بيده لا يخرج منه إلا حق . وأشار إلى فمه الشريف ﷺ . وسنده صحيح .

وأولئك الذين يخطئون رسول الله ﷺ ، هم المخطئون . وهم أولى بالخطأ من رسول الله ﷺ وحاشا أن يكون رسول الله مخطئاً . وليس من الأدب أن ينسب إلى رسول الله ﷺ أنه يحكم على الأشياء بغير علم .

وقد أكثر أعداء الإسلام ومن اغتر بهم الدجل فى مثل هذه الآيات ، ليلقوا فى أذهان البسطاء - أن الرسول ﷺ غير معصوم فى آرائه وأوامره . لينتقلوا إلى الطعن فى التشريع وإلغاء التشريع الإسلامى . وقد ظهر خبثهم وافتضحوا عند الأمة والله حافظ لدينه ولن ينالوا من المسلمين شيئاً بفضل الله عز وجل .

(س) هل تجوز المعصية على الأنبياء؟ وما معنى قول الله للنبي ﷺ ووضعا عنك وزرك؟ وما معنى العصمة للأنبياء؟

(ج) قال تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ (الشرح: ٢-٣) .

الوزر الحمل الثقيل : حططنا عنك حملك الثقيل . وقدم «عنك» للمسارعة بالبشارة وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الأنعام : ١٦٤) ليس معناه ألا تذنّب نفس مذنبة ذنب أخرى ولكن معناه لا تحمل حاملة حمل أخرى .

ويقال أنقض الحمل الظهر أثقله وزنا ومعنى كما فى المصباح وقال القرطبى :

وأهل اللغة يقولون أنقض الحمل ظهر الناقة ، إذا سمع له صرير من شدة الحمل ، وهو مأخوذ من صوت الانتقاض والانفكاك .

وقد قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) فحملة الثقل ﷺ هو شدة اهتمامه بأمتة وهذا واضح فى قوله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (التوبة : ١٢٨) ولذلك يقول يوم القيامة : أمتى أمتى لا أسألك اليوم نفسى لا أسألك إلا أمتى كما فى الصحيح .  
وقد علمنا تعالى أن نقول ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ (البقرة : ٢٨٦) .

وقد أولع قوم بنسبة أمور للأنبياء عليهم السلام كما فعل أهل الكتاب ، وأهل الكتاب إنما فعلوا ذلك لأغراض خاصة فى نفوسهم فمنهم من يريد أن يهون أمر المعصية لنفسه كاليهود ومنهم من يريد بتجريح الأنبياء أن يدعى أنهم لا يصلحون للشفاععة للأمم فى مغفرة خطيئة آدم الأولى ، ليرتبوا على ذلك عقيدة الصلب فداء لخطيئة آدم ثم يدعون أن البشر لا يصلحون لذلك وإنما يصلح لذلك إله أو ابن إله . وكل ذلك دعاوى لا تقوم بها حجة ولا تقوم عليها حجة . فإن القادر سبحانه لا يحتاج فى مغفرته لعباد من عباده لتلك المداورات التى لا يتحقق بها العدل فإن من يعاقب البرىء ليمحو ذنب المسىء وهو قادر على مسامحته ما سامح المسىء ، وظلم البرىء ، والله عز وجل منزّه عن ذلك .

ولا ندري ما هو مقصد أولئك القوم الذى ينتمون إلى الاسلام من هذا التجريح الذى يتناقض مع الأسوة الحسنة والمثل الأعلى لعبد يطيع مولاه .

والرسول مبلغ الأوامر الإلهية فلا يجوز أن ينقضها بمخالفة ما أمر به .

وكلف الله عباده الذين كملت فيهم شروط التكليف بالقيام بالواجبات والانتهاء عن المحرمات صغيرها وكبيرها ، ولم يكلفهم إلا بما يستطيعون قال تعالى

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة : ٢٨٦) فهل يجوز أن يكون فيهم من يقوم بما كلفه الله به بحيث لا يعصيه فى صغيرة ولا كبيرة أولا ؟

وكلامنا هنا فى غير الأنبياء . ولاشك فى أن ذلك جائز ، جائز عقلا وجائز شرعا ومن يزعم أن جميع المؤمنين مع استطاعتهم ألا يعصوا ربهم ، لا يمكنهم إلا أن يعصوه ويجب أن يعصوه ، فهو إنسان لا يعرف مبادئ العلم متناقض يجعل الجائز وهو عدم ارتكاب المعصية مستحيلا ، ويجعل ارتكابها واجبا .

فإذا صح أن يكون فى الأمة من غير الأنبياء من لا يرتكب معصية أصلا لا صغيرة ولا كبيرة ، فمن يجوز على النبى أن يرتكب معصية ولو من الصفائر فقد جوز أن يكون فى غير النبيين من المؤمنين من هو أطوع لربه من النبى .

وإذا كانت المعصية لا تنشأ إلا عن ضعف الخشية من الله عز وجل كان معنى ذلك أن فى المؤمنين من هو أتقى لله عز وجل وأشد خشية من النبى ، وهذا من أعظم الأمور الباطلة إمعانا فى البطلان . فكيف بخير الخلق ﷺ ، وقد صح عنه ﷺ «إن أعلمكم بالله وأشدكم له خشية لأنا» وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) ولا يعقل أن يقارب أحد من الناس علمه ﷺ بربه ، وعلم العلماء إنما هو قبس من علمه الشريف ﷺ .

ولو أن أحد العلماء قال للناس استحيوا من الله ثم وقف موقفا يخالف ما أمرهم به لكان قد نزل عن مكانة القدوة وانطبق عليه قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ٤٤) وقال تعالى فى وصفه ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود : ٢٨) فكيف ينسب مؤمن عاقل ذلك لرسول وأحرى أفضل الخلق ﷺ الذى يصفه الحق سبحانه تعريفا بمنزلته ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤) لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فحاشا وكلا أن يلم رسول الله ﷺ وهو العبد الكامل والأسوة الحسنة بأية معصية لله عز وجل مهما كانت صغيرة ، وحاشا أن يخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه .

وعن سعد بن سهل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه» رواه أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح . قاله الحافظ المنذرى .

يقولون إن النبى عليه الصلاة والسلام بشر ياسبحان الله ! وهل إذا كان معصوما لا يكون بشرا والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أفليسوا عبادا لله ؟ ما هذه التفاهة فى التفكير ؟ .

أخرج البخارى فى الصحيح فيما يرويه النبى ﷺ عن ربه عز وجل .. «ماتقرب عبدى إلى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه» وكذب من يفهم فى ذلك حلولا أو اتحادا ، ومن المفهوم فى معناه أن الله عز وجل يمدّه بنور خاص من عنده فى نفسه وفى جوارحه وحواسه ويحفظه فى جميع شئونه من مخالفته حتى يتقلب فى أنوار عنايته عز وجل ورعايته . فهل خرج أولئك القوم عن البشرية ؟ كلا ولم يصلوا إلى مرتبة الملائكة ولا الأنبياء .

وإذا كانت أعلى مرتبة فى ولاية الأولياء مهما سموا لا تصل إلى بداية مقام أى نبى من الأنبياء فكيف حال النبوة فكيف بخير الخلق ﷺ .

ولم يفهم قوم معنى قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (طه : ١٢١) فإن أمر الله عز وجل لآدم بسكنى الجنة إما أن يكون أمراً للوجوب أو أمر إرشاد لما لا عناء له فيه من غير إيجاب .

قال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ٣٥) . ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه : ١١٧) وقد قال تعالى ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

لَتَشْقَى ﴿ طه : ٢ ﴾ أى لتتعب وتتعب النصب الجسمانى وهى التى يفسر بها ﴿ فَتَشْقَى ﴾ التى فى آدم عليه السلام .. وليس الشقاء الأخرى ولكنه التعب الجسمانى وهى معنى فتكونا من الظالمين لأنفسهما بتعبهما فى الدنيا : وبهذا يتضح المعنى هذه دار النعيم فاستمتع فيها بما شئت فإن أكلت من هذه الشجرة خرجت إلى دار التكليف فإن أحببت ألا تخرج إلى دار التكليف والعناء فلا تأكل منها . هذا هو ما كلف به فالراحة لك فى ألا تأكل منها .

ولم يقل تدخل النار أو تستحق الغضب عليك منى . وهذا هو الذى يصير به التكليف واجبا والنهى حراما .

فهذه معصية آدم : وقد كانت نسيانا فخرج إلى دار العناء والتعب والناسى معذور ولكن اعتبر النسيان ذنبا بالنسبة لعلو مرتبته فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فهى معصية نسبية وتعد من باب المصائب بالنسبة له وهو مثاب عليها بلا شك . وليكون فيه عليه السلام أسوة لأبنائه بالرجوع إلى ربهم تبارك وتعالى والمكلفون مراتب .

قوم قاموا بما كلفوا به ولم يعصوا الله فى صغيرة ولا كبيرة وهى أعلى مرتبة .

وقوم عصوا ورجعوا إلى ربهم بالتوبة .

وقوم عصوا ولم يتوبوا .

ومن لم يضع النبيين فى أعلى مرتبة من الطاعة فما عرف مقام النبوة .

وسموهم عن المعاصى أدعى للتمسك بالفضائل لأنه المثل الأعلى والصورة الكريمة لا وقوعهم فى المعاصى المحرمة ثم التوبة .

وإذا حللنا ما نسب للأنبياء لما كان الذى فعلوه حراما فى حقهم عليهم السلام فإن موسى عليه السلام دافع عن مظلوم ولم يقصد قتل القبطى وكان القبطى كافرا مشركا ، فهو دفع صائل كافر وكان المظلوم مسلما ومن استطاع نصرة مظلوم فلم يفعل فهو مؤاخذ .

وما جاء عن الخليل عليه السلام فالكذب الصريح فى دفع كافر أو دفاعا عن عرض لا إثم فيه والذى وقع من الخليل كان دفاعا عن العرض والدين وكان تعريضا وسمى كذبا مجازا .

وفى الحديث «إن فى التعريض لمندوحة عن الكذب» وما نسب لداود عليه السلام من الإسرائيليات كذب عليه ولم ترد عن المعصوم ﷺ .

وقد عصم الله عز وجل رسوله من الباطل قبل أن يوحى إليه .

عن عروة بن الزبير قال حدثنى جار لخديجة بنت خويلد قال : سمعت النبى ﷺ يقول لخديجة : أى خديجة ، والله لا أعبد اللات أبدا ، والله لا أعبد العزى أبدا ، قال يقول خل العزى قال وكان صنمهم الذى يعبدون ثم يضطجعون . رواه أحمد ورجالهم رجال الصحيح .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لست من دد ولا دد منى قال أبو محمد يحيى بن محمد بن قيس لست من الباطل ولا الباطل منى . رواه البزار والطبرانى فى الأوسط قال الحافظ الهيثمى وفيه يحيى بن محمد بن قيس وقد وثق . وقال الذهبى قد تابعه عليه غيره .

وعن زيد بن حارثة قال : طفت مع رسول الله ﷺ ذات يوم فمست بعض الأصنام فقال لى رسول الله ﷺ لا تمسها قال فذكر الحديث . رواه الطبرانى ورجالهم رجال الصحيح .

وإننا نستدل على نزاهته ﷺ قبل النبوة بما وصف به ﷺ أنه الأمين . فكيف يكون أمينا - ولم يكلف بشرع - ولا يخون الخلق ثم يخون الخالق قبل التكليف أو بعده ؟ وما معنى نزع حظ الشيطان من صدره عند شقه وهو ثابت عنه ﷺ .

وفى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ تنزه وهو فى العصر الجاهلى عن خوارم المروءة فكيف بالمحرمات .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممت بعدها بشيء حتى أكرمنى الله برسالته . رواه البزار ورجاله ثقات . وقد ذكر أصحاب السير أن ذلك الذى هم به هو سامر أقامه قوم فى عرس .

فالوزر الذى أثقل ظهره ﷺ ، وضعه الله عنه بالتخفيف عن أمته ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة : ١٨٣) ولم يشدد عليهم كما شدد على الأمم الماضية ، وكان ﷺ يخشى أن يفرض على أمته ما يعجزون عنه وقد خفف الله عنه حمل أعباء النبوة وقواه على ما يعجز عنه العالمون ﷺ .

وثم أمور أمرت بها الأمة على أن من فعلها يثاب عليها ومن تركها لا عقاب عليه ، وأمر نهى عنها على ألا عقاب على فعلها ويثاب تاركها وتعرف بخلاف الأولى عند العلماء . فهذا هو الذى يصح أن تكون مخالفة الأنبياء فى حدوده ، وإنما اعتبر ذلك ذنبا بالنسبة لعلو مقامهم عليهم الصلاة والسلام فهى معصية نسبية ، ويحمل عليها قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح : ٢) ، وأما الجرائم والظلم والسيئات صغيرها وكبيرها ، فهم معصومون منها وكل أمرهم محاسن ، إما حسن وإما أحسن .

ومن ترك الأحسن وفعل الحسن فإن ذلك يعتبر عند رفيعى المكانة رتبة دون رتبة .

وإننا نرد جميع ما يقوله من لا يفقه ممن لم يعرف مقام الهداة سفراء الله إلى خلقه من اختارهم لرسالته ولا يعقل أن يرسل الله عز وجل إلا من يمثل الرسالة الإلهية تمثيلا كاملا .

ولا ندري ما هو حظ قوم فى أن يحملوا الضلال على اتباع غير الحق فى قوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى : ٧) مع أنه من الممكن حمله على ما يليق

بمرتبة النبوة وهى عنوان الكمال وقد صح أن الله عز وجل عصم المصطفى ﷺ عن الباطل والضلال قبل النبوة وبعدها ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الانعام : ١٢٤) .

وإذا أمكن حمل الضلال الذى خوطب به ﷺ على الضلال الحسى أو على ضلال لا يشين فلا معنى لحمله على الضلال المعنوى وهو مشين ولا يليق بمرتبة النبيين فإنهم معصومون منه عليهم الصلاة والسلام .

عن كندير بن سعيد عن أبيه قال حججت فى الجاهلية فإذا برجل يطوف بالبيت وهو يرتجز ويقول :

**رب رد لى راكبى محمدا      رده إلى واصطنع عندى يدا**

فقلت من هذا ؟ فقالوا عبد المطلب بعث بابنه محمد فى طلب إبل له ، ولم يبعثه فى حاجة إلا أنجح فيها وقد أبطأ عليه فلم يلبث أن جاء والإبل فاعتقه وقال يا بنى لقد جزعت عليك جزعا لم أجزعه على شئ قط والله لا أبعثك فى حاجة أبدا ، ولا تفارقتى بعد هذا أبدا . رواه الحاكم وهو على شرط مسلم .

وما حظهم فى أن يحملوا الوزر على الإجماع والظلم مع أنه يمكن حمله على وزر ثقل أعباء الرسالة ، وما كان يهمه ﷺ من أمر أمته ونشر دين الله عز وجل .

ومجاهدة الأمم وإيذاء قومه له ولأصحابه وتآمرهم وغيرهم عليه والفجور فى عداوته أمر عظيم .

وفى يوم الطائف حين عرض عليه الملك أن يهلك القوم فقال ﷺ إنى أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله عز وجل وأودى فى ذلك اليوم وكان عليه شديدا وكان من دعائه ﷺ فيه «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين ، إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى ، إن لم تكن غضبانا على فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر



الدنيا والآخرة ، أن تنزل بى غضبك أو تحل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى  
ولا حول ولا قوة إلا بالله» رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن جعفر .

وهذا كاف فى أن يحمل عليه معنى الوزر الوارد فى السورة الشريفة .

ورعاية الحق سبحانه للنبيين من صغرهم واضح فى الكتاب الكريم وانظر رعاية  
الله عز وجل لموسى وليوسف ولابراهيم فى نشأتهم فكيف لا يحفظهم من سوء  
والمعصية والله تعالى يقول فى يوسف عليه السلام : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ  
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف : ٢٤) بفتح اللام الذين استخلصانهم لنا  
واجتبيناهم ، وما ذكر القصاص من الأكاذيب لا يلتفت إليه .

والذنوب الصغائر ليست من المحاسن بل هى من السوء الذى صرفه الله عن  
الأنبياء قاطبة عليهم السلام ومن قال بغير ذلك فلا يعبأ بقوله .

بل الشبهات برأة الله عز وجل منها فإنه أمر بتركها وهو أولى به وأخذہ ﷺ ثمرة  
الصدقة من فم سبطه الحسن ثابت فى الصحيح مع أنه كان صبيا لم يكلف ، وقد  
تخرج ﷺ من أخذ الثمرة الساقطة خشية أن تكون من تمر الصدقة .

#### آدم ونبوته ورسالته :

ولا خلاف بين أهل الحق فى نبوة آدم ، أخرج الحاكم فى المستدرک من حديث  
أبى أمامة رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أنبى كان آدم ؟ قال : نعم معلم  
مكلم وقال الذهبى إنه صحيح على شرط مسلم .

وقد كلف هو وبنوه قال تعالى : ﴿فَتَقَبِّلْ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾  
(المائدة: ٢٧) وليس هناك إلا آدم وبنوه ، والمبلغ عن الله هو خليفته آدم ، وقد كلفه به  
وبلغ زوجه وبنيه فكانت رسالته خاصة بأهله وأسرته وكانوا مسلمين .

وأما نوح فمعنى كونه أول رسول أرسل إلى البشر أى رسالته لم تكن مختصة  
بأسرته فكان رسولا لأمة وكان أغلبهم كافرين .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ (البقرة : ٣٥).

والرغد العيش الهنيء الذى لا عناء فيه والظلم وضع الشيء فى غير موضعه ،  
وليس الأمر هنا للوجوب وإنما هو للإباحة كما قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ  
النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (النساء : ٣) ولا خلاف بين الفقهاء فى أن الأمر منه ما هو  
للاجوب ومنه ما هو للإباحة وكذلك النهى منه ما هو حرام ومنه ما هو مكروه أو  
خلاف الأولى .

أفصح أن تكون ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ٣٥) وفى  
موضع آخر فتشقى : أى إنك فى الجنة لا تكذب ولا تكدر ولا تأتى من الأعمال ما هو  
شاق عليك فإن خرجت منها كدحت وتعبت وأتيت الشاق من الأعمال .

وهذا الذى وقع ولم يكن آدم شقيا الشقاء الأخرى وإنما هو شقاء دنيوى وهو  
الذى يفسر الظلم ، والواقع يشرح لنا ذلك . فيكون ذلك النهى على غير وجه  
التحريم ويكون معنى من الظالمين أى أن تخرجنا إلى دار العناء والتعب والشقاء  
فتكونا قد ظلمتما أنفسكما وأتعبتماها (أشقيتماها) ... فمؤدى ذلك لا تقربا هذه  
الشجرة فإن من يقربها يخرج إلى دار التعب فإن أردتما ألا تتعبا فإنى أنصحكما ألا  
تأكلا منها ، فهو نهى على سبيل التخيير لا على سبيل الجزم ، فليس بنهى للتحريم .  
والأنبياء معصومون من ارتكاب المحرمات باتفاق أهل المعرفة . ومن أكل فى  
رمضان ناسيا فلا إثم عليه وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾  
(طه : ١١٥) فنص العليم الحكيم على أنه كان ناسيا والناسى لا إثم عليه فالمعصية هنا  
بالنسبة لآدم هى فعل خلاف الأولى ، وكان الأولى ألا ينسى ، وحسنات الأبرار  
سيئات المقربين .

﴿ فَازْلِهْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي  
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (البقرة : ٣٦) .

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ عن الجنة أو الشجرة - كان الشيطان سببا فى وقوعهما فى المخالفة حيث خدعهما باليمين الكاذبة وكانا لا يتصوران أن يحلف عبد باسم الله تعالى كاذبا ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الاعراف : ٢١) .

وخوطف آدم وحواء بقوله تعالى اهبطا . وخوطف إبليس بقوله تعالى ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ (الاعراف : ١٣) فليس فى الجنة كبر وإنما فيها كمال العبودية وتمام النعمة ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الاعراف : ١٣) .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وقال عز وجل : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف : ٦٧) .

ولكم فى الأرض قرار ومقام - إلى حين إلى أجل مسمى عند الله .

وقال تعالى : ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه : ١١٧-١٢٢) غوى أخطأ الطريق وهو بالنسبة لآدم أنه أخطأ الطريق الأكمل ومازال كاملا . ومعصية كل مرتبة بنسبتها فليست معصية من لم يتب كمعصية التائبين ، ولا معصية التائبين كمعصية المتقين المحسنين . ولا المعصية فى مقامات الولاية كالأمر الذى تعتبر معصية فى مدارج النبوة وماهى إلا معصية نسبية وهى طاعة بالنسبة لغيرهم .

وقد قال ﷺ «إن فى التعريض لمندوحة عن الكذب» وليس لمن سألته أعداء الإسلام عن عدد جيش المسلمين أن يذكر قتلهم عندهم ، وإن كانوا قليلين ، لئلا يطمعوا فيهم . وقد اعتبر سيدنا الخليل عليه السلام مثل هذا ، وقد اقتضته ضرورة الحال مما لا يليق بعلو مرتبته مع أنه لا خلاف بين علماء المسلمين فى أن

ذلك ليس بحرام بل يثاب المرء على التعريض فى هذه الحال أو مخالفة الواقع ،  
لأنه وسيلة للخير ودفع الشر والظلم .

ولكنه اعتبره بالنسبة لمقامه عليه السلام أمرا ينبغى تركه .

وإذا سألنا أى عالم هل قصد آدم أن يعصى ربه ؟ وهل قصد سوءاً ؟ لكان  
الجواب باتفاق العلماء أنه لم يقصد معصية ولم يقصد السوء . فمن هذا القبيل  
معصية آدم وجميع ما ينسب للنبيين عليهم الصلاة والسلام فهم القدوة للمؤمنين  
وهم سادة المتقين .

وأخرج الحاكم فى المستدرک عن ابن عباس قال : قد أخرج الله آدم من الجنة  
قبل أن يدخلها أحد قال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : ٣٠) وصححه  
الحاكم وأقره الذهبى - وأخرج عنه أيضا قال : ما سكن آدم الجنة إلا بين صلاة  
العصر إلى غروب الشمس . وأقر الذهبى تصحيحه على شرط البخارى ومسلم .  
وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال «لما أخرج الله آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة  
وعلمه صنعة كل شئ فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير وتلك لا تغير»  
رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات قاله الحافظ الهيثمى وعن بريدة عن النبى ﷺ  
قال : «لو أن بكاء داود عليه السلام وبكاء جميع أهل الأرض يعدل ببكاء آدم ما  
عدله» رواه الطبرانى فى الأوسط وقال الحافظ الهيثمى رجاله ثقات وأخرج الحاكم  
أيضا من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إن آدم كان رجلا  
طوالا كأنه نخلة سحق ، كثير شعر الرأس فلما ركب الخطيئة بدت له عورته وكان  
لا يراها قبل ذلك فانطلق هاربا فى الجنة فتعلقت به شجرة فقال لها أرسلينى  
فقلت لست بمرسلتك قال وناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال يارب إنى استحييتك» ،  
وأقره الذهبى على تصحيحه .

فكان الأكل من الشجرة يغير الحالة العامة التى كان يحيى فيها آدم وحواء ، وكانا  
لا يعرفان أن العورة عورة يجب سترها ، فكانت حياتهما روحية محضة ليس فيها

شئ من الماديات التى تقتضى الأكل والشرب والمخالطة المعروفة ، وإنما كانت أشجار الجنة ينشأ عنها الغذاء الروحى لا الجثمانى .

ولا يتصور عاقل إلا أن الله تبارك وتعالى يعلم ما سيفعله آدم وإذا فحياة آدم وخروجه من الجنة تربية عملية للجنس البشرى بأجمعه ومما يفيد منها العاقل :

(١) أن الانسان يتحمل خطاه وإن كان ناسيا .

(٢) وأن شأن العبد الخطأ فعليه الرجوع إلى مولاه والتواضع والتذلل له والاعتراف بالخطأ مع الندم .

(٣) وأن معصية آدم مع أنها خلاف الأولى مع النسيان وإن هى إلا ذنب مرتبة لا ارتكابا لمحرّم، كانت سببا لخروجه من الجنة فكيف بحال المتعمد لارتكاب المحرم.

(٤) مخالفة دعاة السوء والبعد عنهم فانهم جهلة بمقامه عز وجل وأولهم إبليس وما من مبتدع إلا وهو ينسب للحق ما لا يليق بكماله سبحانه ولا تصح للعبد توبة مع مخالطة دعاة السوء .

(٥) لما كانت التوبة أساس مقامات السير فقد سنّها لنا أبونا آدم عليه السلام ولا يصح للعبد تقرب إلى الحق سبحانه إلا بعد التوبة قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات: ١١) فهى أصل المقامات كما كان أبونا آدم أصل البشرية .

(٦) ويفهم حال آدم أن من كان فى مرتبة عالية من القرب يؤخذ بما لا يؤخذ به غيره وقد كان فى مقام لا ينبغى لمن كان فيه أن يأتى خلاف الأولى ولو نسيانا .

(٧) وأن الأصل فى الإنسان أنه روحانى وأن حقيقته الروح وهى غنية عن الجسد المادى ومن الممكن أن يعيش روحانيا متجرداً عن العلائق المادية ، وقد ذكر الحافظ الذهبى فى تاريخه أن امرأة استشهد زوجها عند اجتياح التتار لبغداد فرأته فى رؤيا فى الجنة يأكل من ثمارها فى جماعة من الشهداء فناولها قطفا من العنب

فأكلت منه فأصبحت تعاف طعام أهل الدنيا وشرابهم وقد اختبرها الناس فوجدوها تعيش بلا طعام ولا شراب .

ومن الواضح أن ذلك لا يرفعها إلى مقام أعلى ممن هو خير منها من السلف الصالح فإن المزية شيء والأفضلية شيء ، وراجع تاريخ الحافظ الذهبي فإن فيه تفصيل ذلك .

ولو سألنا عالما منصفاً هل يمنع الشرع أو العقل حصول هذا ؟ لقرر أن هذا مما يجوزه العقل والشرع ، وقد أخبرني الحجة العلامة المهاجر المجاهد شيخ الاسلام فى السودان الغربى ثم عالم الحرمين بحر السنة الفقيه الأديب مولانا الشيخ محمد الهاشمى الفوتى القرشى الشهير بألفا هاشم المتوفى بالمدينة المنورة مهاجراً فى سبيل الله يوم الاثنين ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٩ من الهجرة ، أنه فى واقعة بورمى مع الانجليز فى سلطنة كنو بقطر نيجيريا اشتد به الظمأ فأتاه آت فى نومه بإناء من لبن فشرب منه فأصبح لا يحتاج إلى طعام ولا شراب . وقال لى لو عشت حياتى بلا طعام ولا شراب لما احتجت إلى شيء منه ، ومكثت كذلك بلا طعام ولا شراب تسعة أيام ، ثم ألهمت أن من عاش كذلك كان مقتدياً بالملائكة ، والأنبياء عليهم السلام أعلى مقاماً فتوجهت إلى الله بأن أكون مقتدياً بالنبیین فأعادنى الله عز وجل إلى الطعام والشراب . أخبرنى بذلك فى أوائل شهر الله المحرم سنة ١٣٤٧ هجرية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وفضل الله واسع والقدرة صالحة . ومنكر خرق العادة للصالحين لا شأن لنا معه فليصح عقيدته فإنه مخالف للعقل والشرع . فإن كان إنكاره من جهة العبد فليس العبد بخالق لخرق العادة قطعاً وإن كان من جهة القدرة الإلهية فالحق سبحانه لا يعجزه شيء وما عدا هذا فلا يقام له وزن .

## طيب المطعم

وفى بيان الحق تبارك وتعالى أن أكل آدم من الشجرة كان سببا فى خروجه من الجنة ، تنبيه لنا أن اللقمة هى أساس الأعمال فمن تحرى طيب المطعم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (البقرة : ١٦٨) وفق للعمل الصالح . وأن الأصل فى الإنسان الحياة الروحية الخالصة والتجرد من العلائق المادية إلى غاية لا يشعر فيها لنفسه بعورة وما يتعلق بالعورة فهو منقطع عن الحياة البهيمية انقطاعا كليا . وإن أداها فإنما يؤديها لا لشهوة ولكن طاعة لربه عز وجل مع ذهابه فى حبه تعالى لاحب اللحم والدم فما هو إلا روحى صرف . وأن الانسان هبط من حياة الملائ الأعلى بسبب النسيان والمطعم فليعد إلى الملائ الأعلى بالذكر وبطيب النعم .

محمد الحافظ التجانى

★ ★ ★

## ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً

قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْغِيَادُ ﴿(ص: ٣٠-٣١) هذه الخيل كانت لداود ثم ملكها سليمان عليه السلام وأمر باستعراضها عليه للتطلع على أحوالها وتفقدتها لأنها أعظم عدة للجهاد فتأخر عن وقت الذكر وغربت الشمس وهو مشغول بعرض الخيل فعند ذلك قال عليه السلام «إني أحببت حب الخير» أى المال «عن ذكر ربي حتى توارت» أى الشمس «بالحجاب» أى غربت فأمر عليه السلام بإعادة الخيل ونزل عن ملكيتها وحبسها فى سبيل الله «وظفق مسحاً بالسوق والأعناق» أى أمر بمسح سوقها وأعناقها والمسح بمعنى الوسم أى أمر بوسمها فى سوقها وأعناقها لتعرف أنها خيل محبسة فى سبيل الله ، فعل هذا لأن مقامه يقتضى أنه لا يشتغل بشيء والأولى الاشتغال بغيره وإن كان ناسياً وبعد أن نزل عنها سخر الله له الريح تجرى بأمره جزاء له أو أن الخيل لما عرضت وفاته وقت الذكر بسببها أمر بإعادتها عليه وذبحها وصار يقطع سوقها وأعناقها وسائر جسدها وفرقها قربة لله تعالى ليكون فى ذلك كفارة فى فوات وقته ، وكان ذبح الخيل جائزاً فى شريعتهم كالبقر والغنم أما ما ذكره البعض فى أن سليمان عليه السلام أمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيوف عقراً لها فهذا أمر لم يرد بسند صحيح واعترض عليه من جملة وجوه .

أولاً أن سليمان لم يستعرض الخيل بطراً وافتخاراً لكونه معصوماً من ذلك وإنما استعرضها للتطلع على أحوالها وحفظها للانتفاع بها فى الجهاد وفى سبيل الله فكان حال عرضها عليه مشغولاً بعبادة وغاية الامر أنه نسى عبادة لشغله بعبادة



أخرى وحاشا نبي الله أن يتلف مالا محترما كان يمكنه أن يخرج به عن ملكه مع الانتفاع بثمنه وهو أعظم عدة للجهاد ، ومن أجل النعم لمجرد أنه شغل به عن عبادة أخرى أو أن يجزى مثل هذه الخيل بالعقر وهي غير عاقلة فلم تذهب ذنبا يوجب عقرها «واعلم» أن الأنبياء عليهم السلام لعلو مقامهم عند الله وقربهم منه يؤخذون بما يفعلونه إذا خالف الأولى فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ (ص : ٢٤) وصح أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل ومعنى إلقائه على كرسيه وضع القابلة له عليه ليراه وقد جاء ذلك مرفوعا في الصحيح وفيه : فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا .

وقد جاء القرآن بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الكهف : ٢٣ - ٢٤) .

وأما ما يروى من حديث الخاتم والشیطان وأنه تمثل بسليمان فمن أكاذيب الملحدين وهو كلام باطل لا يلتفت إليه .

والنبي المبلغ عن ربه محوط بالعصمة من أن يدخل الشيطان في بلاغه شيئا ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الحجر : ٤٢) .

وكل ما نسب للأنبياء مما لم يفهمه المقصرون ، له وجه من الكمال يحمل عليه ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (الانعام : ١٢٤) .

(س) ما الدليل علي أن آدم نبي ورسول؟

(ج) قال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ٣٥) .

وهذا تكليف من الله تعالى لآدم وحواء ، أمر بسكنى الجنة ونهى عن أكل

الشجرة، والخطاب لآدم ، والنبي من أوحى إليه بشرع يعمل به فى نفسه فإن بلغه إلى غيره ولو فردا واحدا فهو رسول وهذا ينطبق على آدم ، وسواء قلنا هذا التكليف للوجوب أو للندب ، ولا يقال إن الجنة لا تكليف فيها فإنه لا مؤاخذه بغير تكليف ولا خلاف فى أنه وقعت المؤاخذه لهما بأكل الشجرة .

وأخبرنا الله عز وجل فى كتابه أن ابنى آدم قريبا قريانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧-٢٩) .

والقريبان التقرب إلى الله وقوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ كل ذلك نص واضح فى التكليف ولا إثم ولا عقاب مع عدم التكليف قال تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥) .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ « لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » .

وبنوا آدم إنما بلغهم أبوهم ما كلفوا به .

وأخرج الحاكم فى المستدرک عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله: أنبى كان آدم قال نعم معلم مكلم قال : كم بينه وبين نوح قال عشرة قرون قال كم بين نوح وإبراهيم قال عشرة قرون قالوا يا رسول الله كم كانت الرسل قال ثلاثمائة وخمسة عشرة جما غفيرا ، وهو صحيح على شرط مسلم وأقره الحافظ الذهبى .

وما فى الصحيح فى حديث الشفاعة أن الناس يلتجئون إلى آدم ثم إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسل إلى البشر لا ينافى رسالة آدم الثابتة بالكتاب

والسنة فان آدم كانت رسالته إلى زوجه وبنيه وهم مؤمنون فهي رسالة خاصة إلى مؤمنين لا إلى كافرين . فهو رسول إلى أسرته المؤمنة .

وأما رسالة نوح فكانت بعد أن انتشر الناس فهي إلى كافرين ومؤمنين ، وإلى بنيه وغير بنيه ، فهي رسالة عامة ، وهي أول رسالة من نوعها ، وهي المقصودة في الحديث ، فلا تعارض بين كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وقد نص الله تعالى في كتابه على أنه علم آدم الأسماء كلها قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة : ٣١ - ٣٢) .

وبهذا كان آدم عليه السلام رسولا إلى الملائكة من حيث تعليم الأسماء ، وبلغهم ما أوحى الله عز وجل إليه بأمر منه تعالى .

ولما كانت مزايا الأنبياء جميعا مجتمعة مكتملة في خير الخلق ﷺ كان المصطفى ﷺ رسولا للملائكة والإنس والجن .

★ ★ ★

## سيدنا عيسى عليه السلام

(س) أرسل إلينا الدكتور حسين علي سعيد من النمسا يسأل عن وفاة سيدنا عيسى عليه السلام؟

(ج) من أعتقد أن سيدنا عيسى عليه السلام قتل أو صلب فلا يعد من المسلمين لأنه مخالف لصريح كتاب الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ ﴾ (النساء : ١٥٧) .

وفى الإنجيل الموجود الآن ما يدل - إذا تمعن المرء- على أنه عليه السلام لم يصلب ولم يقتل ، ذلك أن الحاكم الرومانى وهو صاحب السلطة التنفيذية اقتنع بأن سيدنا عيسى عليه السلام برىء من التهمة التى نسبت إليه وهى أنه يريد قلب نظام الحكم واغتصاب الملك من الحاكم الرومانى وهذه التهمة عقوبتها الاعدام وقد كان أحبار اليهود يعملون على إعدامه فاتهموه بهذه التهمة الباطلة الذى يظهر أن الحاكم الذى اقتنع ببراءته نفذ حكم الاعدام فيمن يستحقه ، وقد كان المسيح غريبا عن العاصمة ولا يعرفه الأحبار ولا الجند بدليل أنه ذكر فى هذا الكتاب أنهم استأجروا من يدلهم عليه ويعرفهم به وذلك يدل على أنهم لا يعرفونه .

وفى الإنجيل أنه اجتمع بتلاميذه بعد حادثة الصلب فى بلدة أخرى وظنوا أنه روح ولكنه أراهم أنه بشر جسمانى .

أما من زعم أنه مات ليمهد الطريق أمام دعوى أنه هو المسيح الموعود كما فعل غلام أحمد القاديانى وأمثاله من الكافرين الدجالين فقلوه مردود عليه وما الذى يمنع رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق وقد قال «تركتمكم عليها بيضاء نقية ليها كنهارها» ليس فيها خفاء ولا باطن يخالف الظاهر ولو كان عيسى فى الظاهر

هو غلام أحمد فى الباطن لصح أن الخمر وجميع المحرمات حرام فى الظاهر  
حلال فى الباطن وهذا منتهى الضلال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(س) من سبق الآخر فى الوفاة : عيسى ، أم أمه مريم عليهما السلام ؟

(ج) السيدة مريم توفيت فى حياة سيدنا عيسى عليه السلام وبعد العمل على صلبه  
وهو لم يصلب عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾  
(النساء : ١٥٧) وعلماء المسلمين المحققون على أنه لم يمّت وقد بين ذلك  
الحافظ بن كثير فى تفسيره بالأحاديث المتواترة . وأما ما يزعمه بعض  
الكذابين من أنه أعطى النبوة بعد النبى ﷺ كالبهائية والقاديانية ويعطى نفسه  
لقب المسيح المحمدى فهو كذب على الله وعلى الرسول ﷺ ولا ذكر لهؤلاء لا  
فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله وقد قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ  
رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الاحزاب : ٤٠) فهو خاتم بكل معانى خاتم  
فهو آخر النبيين وأفضل النبيين وزينة النبيين ومصدق النبيين .

وفى صحيح البخارى «أن بنى إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي  
خلفه نبي وأنه لا نبي بعدى»، والاحاديث متضافرة بهذا المعنى وهو بيان لمعنى الآية  
الشريفة . وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : ٤٤)  
فهو المتكفل ببيان كلام الله تعالى وكل كلام يخالف بيان رسول الله ﷺ فهو باطل  
مردود ولو كان ذلك حقا فماذا على رسول الله ﷺ أن يصرح باسمه وبلده .

كما صرح سيدنا عيسى وبشر بالرسول ﷺ .

(س) سأل المرحوم الشيخ عبد المجيد الشريف رئيس تحرير مجلة طريق  
الحق عن آمن بوحداية الله والبعث ولم يؤمن بسيدنا محمد ﷺ هل  
يعذب ويعد من المشركين ؟

(ج) وأما الجواب عن آمن بوحداية الله تعالى ولم يتبع الرسول الذى أرسله الله  
إليه ، فإن النجاة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى يشترط فيها ألا يأتى بما يناهى  
الوحدانية .

ولو كان الإيمان بأن الله واحد يكفى فى النجاة لكان إبليس ناجيا ، فانه على يقين بوحدانية الله تبارك وتعالى ، ولكنه لم يرض بفعل الله عز وجل ، فاعتراضه على الحق سبحانه يتنافى مع اعتقاد الكمال الواجب الذى انفرد الحق سبحانه به .

ومن لم يعتقد أن الله عز وجل منفرد بالكمال كله ذاتا وصفة وفعلا فهو مشرك ، ومن شبهه بخلقه - كمن يعتقد فيه سبحانه الجسمية أو أنه يحل فى أحد من خلقه فهو مشرك فالربوبية - ومظهرها تدبير الوجود - له وحده . فمن اعتقد أن معه مدبراً فهو مشرك وتدبير الملائكة بإذنه ، وإحياء سيدنا عيسى الموتى بإذنه ، غير التدبير معه . ومن نفى التدبير عن مخلوق ولكنه سوى بينه وبين الله عز وجل فى العبادة فهو مشرك فانه المنعم الأعلى سبحانه وهو المستحق للتعظيم الأعلى والمحبة العليا والشكر الأعلى فمن سوى فى الحب بين الله وبين أحد من خلقه فهو مشرك ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥) .

والمؤمن لا يحب أحداً إلا لحب الله له ، لا لذاته بحيث لو لم يحبه الله لترك حبه . ولا يسوى بين حبه لمخلوق وحبه للخالق . فحبه لأحباب الله حب لعباد بقدر العبودية لا آلهة ويحب الله عز وجل لذاته فى أعلى درجة من المحبة .

ومن آمن بوجوب العدل لله تعالى ونفى الظلم عنه أيقن بأنه سبحانه لا يسوى بين الظالم والمظلوم من عباده ولله وحده حق بيان الحدود فانه لا يعلم بواطن الخلق إلا الله . فحق التشريع له وحده ، فإذا أرسل رسولاً فالله عز وجل هو الحكم وهو المشرع وليس للرسول إلا التبليغ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة : ٦٧) فمن جعل لغير الله عز وجل حق التشريع فقد أشرك ولذلك كان من أحل حراما حرمه الله ، أو حرم حلالا أحله الله قد جعل لنفسه ما هو حق الله وحده . وإذا أصدر ولى الأمر قانونا اقتضته الأحوال فى سنة ما ، ثم تغيرت أسباب هذا القانون فأصدر قانونا آخر يتناسب مع الأسباب الجديدة ، فمن تمسك بالقانون الأول الذى زالت أسبابه فقد خالف الحكمة ولم يطع ولى الأمر وقد أشرك نفسه

مع ولى الامر فى الحق الذى انفرد به ، ومثل ذلك لم يكن فى عهد آدم عليه السلام إلا أخ وأخت، فكان التشريع يقضى بأن يتزوج الأخ أخته ، فلما كثر الناس ، وكان هناك من الاسباب الصحية التى تقضى بها مصلحة البشرية ألا يتزوج الاخ أخته حرم الله ذلك .

وإذا كانت النساء فى مجتمع قليلة وكانت الكثرة فى الرجال غالبية ، فأوجب الشارع الانفراد بزوجة واحدة وإن فقد هذا السبب وكثرت النساء كثرة غالبية «مثلا» أبيع تعدد الزوجات من غير حصر وإن زال هذا السبب وكان هناك مايقيد التعدد بحد خاص كل ذلك بالأمر الالهى الحكيم ، كان المفقات على التشريع الربانى ، وهو لا يعلم بواطن الخلق ولا استعدادهم الذى يجعل لنفسه أو لغيره حق التشريع العدل الذى صدر عن العليم الخبير كان مشركا فى التشريع الذى هو حق الله وحده قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة : ٣١).

وفسره الرسول ﷺ أنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فتبعوهم .

فمن اتبع التشريع الالهى السابق فى زمن ولم يتبع التشريع الاخير وكل من عند الله . فقد أشرك فى هذا الحق مع الله عز وجل وهو مشرك لا يغفر الله له ويدخل فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ (النساء : ٤٨) .

وروى مسلم عنه ﷺ «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» .

★ ★ ★

## من دلائل النبوة

عن الحافظ أبى نعيم قال : حدثنا أحمد قال حدثنا محمد بن عمر بن خالد الحرانى قال حدثنا أبى قال : حدثنا ابن لهيعة قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير فى خروج جعفر بن أبى طالب وأصحابه إلى الحبشة قال :

فبعثت قريش فى آثارهم عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى وعمرو بن العاص السهمى وأمروهما أن يسرعا السير حتى يسبقاهم إلى النجاشى ففعلا ، فقدموا على النجاشى فدخلوا عليه فقالا له إن هذا الرجل الذى بين أظهرنا وأفسد فىنا تناولك ليفسد عليك دينك ملكك وأهل سلطانك ونحن لك ناصحون وأنت لنا عيبة صدق تأتى إلى عشيرتنا المعروف ويأمن تاجرنا عندك فبعثنا قومنا إليك لتندرك فساد ملكك وهؤلاء نفر من أصحاب الرجل الذى خرج فىنا ونخبرك بما نعرف من خلافهم الحق ، إنهم لا يشهدون أن عيسى ابن مريم أحسبه قال إلهًا ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك ادفعهم إلينا فلنكفيهم .

فلما قدم جعفر وأصحابه وهم على ذلك من الحديث وعمرو وعمارة عند النجاشى وجعفر وأصحابه على ذلك الحال ، فما رأوا أن الرجلين قد سبقا ودخلا صاح جعفر على الباب يستأذن حزب الله ، فسمعها النجاشى فأذن لهم فدخلوا عليه فلما دخلوا وعمرو وعمارة عند النجاشى قال أيكم صاح عند الباب؟

فقال جعفر : أنا هو فأمره فعاد لها فلما دخلوا وسلموا تسليم أهل الايمان ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد : ألم نبين لك خبر القوم . فلما سمع النجاشى ذلك أقبل عليهم فقال : أخبرونى أيها الرهط ما جاء بكم وما شأنكم



ولم أتيتهموني لستم بتجار ولا سوال وما نبيكم هذا الذى خرج وأخبروني ما تقولون  
فى عيس ابن مريم .

فقال جعفر بن أبى طالب وكان خطيب القوم : فقال إنما كلامى ثلاث كلمات إن  
صدقت فصدقنى ، وإن كذبت فكذبنى فأمر أحدا من هذين الرجلين فليتكلم  
ولينصت الآخر .. قال عمرو أنا أتكلم قال النجاشى أنت يا جعفر . فتكلم قبله فقال  
جعفر : إنما كلام ثلاث كلمات : سل هذا الرجل أعبيد نحن أبقنا من أربابنا فارددنا  
إلى أربابنا؟

فقال النجاشى : أعبيد هم يا عمرو؟

قال عمرو بل أحرار كرام .

قال جعفر : سل هذا الرجل هل أهرقنا دمًا بغير حقه فادفعنا إلى أهل الدم؟

فقال هل أهرقوا دما بغير حقه ؟

فقال : ولا قطرة واحدة!

ثم قال جعفر : سل هذا الرجل أخذنا أموال الناس بالباطل فعندنا قضاء؟

فقال النجاشى يا عمرو إن كان على هؤلاء قنطار من ذهب فهو على .

فقال عمرو ولا قيراط .

فقال النجاشى : ما تطالبونهم به .

فقال عمرو : نحن وهم على دين واحد وأمر واحد فتركوه ولزمناه .

فقال : النجاشى : ما هذا الذى كنتم عليه فتركتموه وتعبتم غيره ؟

فقال جعفر : أما الذى كنا عليه فدين الشيطان وأمر الشيطان نكفر بالله ونعبد  
الحجارة ، وأما الذى نحن عليه فدين الله عز وجل . نخبرك أن الله بعث إلينا رسولا  
كما بعث إلى الذين من قبلنا فأتانا بالصدق والبر ونهانا عن عبادة الأوثان فصدقناه  
وآمنا به واتبعناه ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وأرادوا قتل النبى الصادق وردنا فى

عبادة الأوثان ففررنا إليك بديننا ودمائنا ، ولو أقرنا قومنا لاستقررنا فذلك خبرنا .  
وأما شأن التحية فقد حينئذ بتحية رسول الله ﷺ وإن تحية أهل الجنة السلام .  
فحينئذ بالسلام . وأما السجود فمعاذ الله أن نسجد إلا لله وأن نعدلك بالله .

وأما فى شأن عيسى ابن مريم فإن الله عز وجل أنزل فى كتابه على نبينا أنه  
رسول قد خلت من قبله الرسل ولدته الصديقة العذراء البتول الحصان ، وهو روح  
الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وهذا شأن عيسى ابن مريم .

فلما سمع النجاشى قول جعفر أخذ بيده عوداً ثم قال لمن حوله صدق هؤلاء  
النفر وصدق نبيهم والله ما يزيد عيسى ابن مريم على مايقول هذا الرجل ولا وزن  
هذا العود فقال لهم النجاشى امكثوا فإنكم سيوم والسيوم آمنون قد منعكم الله وأمر  
لهم بما يصلحهم فقال النجاشى أيكم أدرس للكتاب الذى أنزل على نبيكم؟ قالوا  
جعفر . فقرأ عليهم سورة مريم فلما سمعها عرف أنه الحق وقال النجاشى  
زدنا من هذا الكلام الطيب . ثم قرأ عليه سورة أخرى فلما سمعها عرف أنه الحق  
وقال صدقتم وصدق نبيكم ﷺ أنتم والله صديقون امكثوا على اسم الله وبركته  
آمنين ممنوعين وألقى عليهم المحبة من النجاشى ، فلما رأى ذلك عمارة بن الوليد  
وعمر بن العاص سقط فى أيديهما وألقى الله بين عمرو وعمارة العداوة فى  
مسرهما قبل أنه يقدمهما على النجاشى ليدركا حاجتهما التى خرجا لها من طلب  
المسلمين . فلما أخطأهما رجعا بشر ما كان عليه من العداوة وسوء ذات البين  
فمكر عمرو بعمارة فقال يا عمارة إنك رجل جميل وسيم فأت امرأة النجاشى  
فتحدث عندها إذا خرج زوجها تصيبها فتعيننا على النجاشى فأنت ترى ما وقعنا  
فيه من أمرنا لعننا نهلك هؤلاء الرهط فلما رأى ذلك عمارة انطلق حتى أتى امرأة  
النجاشى فجلس إليها يحدثها وخالف عمرو بن العاص إلى النجاشى فقال إنى لم  
أكن أخونك فى شىء علمته إذا اطلعت عليه وإن صاحبى الذى رأيت لا يتمالك عن  
الزنا إذا هو قدر عليه وإنه قد خالف إلى امرأتك فأرسل فانظر، فأرسل النجاشى  
إلى امرأته فإذا هو عندها فنفخ فى إحليله سحره ثم ألقى فى جزير البحر فعاد

وحشياً مع الوحش يرد ويصدر معها زماناً حتى ذكر لعشيرته فركب أخوه فانطلق معه بنفر من قومه فرصدوه حتى إذا ورد أوثقوه فوضعوه فى سفينة ليخرجوه فلما فعلوا به ذلك مات ، وأقبل عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه ومنع حاجته اهـ . من دلائل النبوة للحافظ أبى نعيم .

لابد أولاً من إثبات الألوهية وهى سهلة ومعروفة ، ومقتضى كمال الألوهية ألا يترك عباده يظلم بعضهم بعضاً ، بغير أن يقيم قسطاً للعدل بينهم ولا يجوزُ العاقل أن أى حاكم يترك رعيته يتظالمون فيما بينهم إلا إذا كان سفيهاً خلواً من الحكمة . ولا شك أن إقرار الظلم ظلم . ولا يعقل أن يترك للعباد وضع التشريع الذى ينظم العلاقات فيما بينهم ، وبه يدبرون مصالحهم ، وتوثيق العلاقات على أسس الفضائل والقيام بالحقوق فيما بينهم وبين ربهم وبين أنفسهم وبين بعضهم بعضاً فإن من يضع التشريع منهم لابد أن يكون متأثراً ببيئته وعاداته ونشأته الخاصة وتتابع ظروفه . فمن نشأ فى بيئة تستبيح الخمر وترى فى تركه نقيصة فلا يرى فى تعاطيها سوءاً ، وكذلك من نشأ فى بيئة تستبيح أكل الآدمى . وكذلك من نشأ فى بيئة ترى من الفطاعة أن تذبح الحيوان وترى أكله جريمة .

والعلم بحقائق الأشياء وبما يصلح الإنسان فى جسده وروحه وعقله خاص بالخالق سبحانه وتعالى . وبدايته ونهايته خاص بالحق سبحانه وتعالى . ولذلك كان حق التشريع الذى ينتظم به العباد لا يصح إلا لله عز وجل وحده الحكيم العليم .

وإذا كانت الاستعدادات بين العباد متفاوتة ، فالاطلاع على الغيوب لا يتأتى إلا لمن هئى لبلوغ مرتبته وتحمل تلك المشاهد الغيبية .

وإذا نظرنا إلى الأرض وما عليها ، وجدناها لا تبلغ حبة من رمل فى صحارى شاسعة لا يبلغ العبد بتقديره وحده مداها . ومن يعتقد أن هذه الأرض الضئيلة هى وحدها التى عمرت ، بالإنسان والحيوان والنبات ، وأن الله عز وجل لم يخلق كائنات أخرى يصح أن تكون أسمى منه عقلاً وتفكيراً وصفاءً ، فهو عن العلم بمعزل . فإن هذا كله يجوزه العقل .

واختصاص الحق سبحانه ، لواحد من البشر بأن يهيئه تهيئة خاصة ، ويكشف عنه الحجب عن مساتير العلوم حتى يصل إلى «القرب» الذى يصلح فيه لتلقى رسالة الحق عز شأنه .. إلى عباده ، بما يصلحهم فى جميع أطوارهم ويضع ميزان العدل والفضيلة والإحسان فيما بينهم - هو مقتضى كمال الحكمة العلمية .

فقد أودع الله سبحانه وتعالى فى حقيقة الإنسان ، أصول المعرفة . وهىأ له فى حياته ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب ونفس ، ومما شاء الله مما لا يطلع عليه ، مما لا يعلمه إلا هو عز وجل من تكوينه الظاهر والباطن .

ومما أعطاه من النعم : البصر ليتقى ما يضربه ولينظر ما يسره . وكذلك السمع . وكذلك الذوق والشم ، والعقل ، وهىأ له الأرض التى يسكنها ، وهىأ له قبل تكوينه ما يصلح من ماء ونبات وهواء ، ولا يعقل أن يوفر له ما يصلحه فى جسده ، ويترك سبحانه ما يصلحه فى روحه وعقله . ومما هىأ له ، ما يدافع به عن نفسه وكذلك جميع الحيوانات .

ومقتضى كمال الحكمة أن يعرفه بما تكمل به روحه ، وما يعد ميزاناً يتفق فيه ما وهبه الله من نعمه الظاهرة . وما يطمئن إليه العقل المصيب فى حكمه ، فتتفق فيه رسالة الحق سبحانه وتعالى وما أودع فى حقيقة العبد من أصول العلم اليقينية الذى لا يحتمل أن يتغير فى أى بيئة فى أى زمان .

وتهيئة الرسل وإرسالهم بما يعلم الحق سبحانه أن فيه صلاح عباده ، هو مقتضى كمال الحق ، ورحمته بعباده . وحيث إن رحمته سبحانه ، وإفاضته النعم على الخلائق ، أمر محسوس يعرفه كل عالم منصف يسير على القوانين العلمية الصحيحة : الطبيب والنباتى والفلكى والباحث فى الكونيات والمشرع والمخترع .

ومن نفى ما لم يصل إليه علمه فهو على ضلال بين ، لأننا نسأله : هل علم كل شئ أو بعض الشئ ؟ فإن ادعى أنه علم كل شئ فهو كاذب جاهل . ولا يدعى ذلك عاقل . ونسأله : هل هذا البعض الذى علمه ، أكثر الكون أو أقله ؟ فإن ادعى أنه يعلم الأكثر فهو كاذب أيضاً ، فلعل الحقيقة فى الجزء الذى لا يعلمه ومن باب

أولى إذا كان يعلم جزءاً لا يعتبر شيئاً بالنسبة لما خلق الله عز وجل من الأكوان التي لا يحيط بها علم أحد .

وإذا فالنبوة والرسالة جائزة في نفسها ، وواقعة بمقتضى الحكمة الشائعة في الوجود والرحمة التي لا نهاية لها .

بقى أمر التمييز بين النبي المرسل من ربه عز وجل وبين مدعى النبوة كذباً . وهنا ينعم الله على عباده كما هي سنته تبارك وتعالى بتأييد الرسول بشهادة ربه الذي أرسله . وهذه الشهادات منها الشهادة الحسية والشهادات المعنوية .

فالشهادات الحسية أن يؤيده الله عز وجل بخوارق العادات . وحيث إن العادات هي النظام الذي وضعه الحق سبحانه للأسباب والمسببات ، ولترتيب الخلق . هذا النظام لا يملك تغييره إلا من رتبته وأحكم نظامه ، فإن الخلق جميعاً عاجزون . وإنما القدرة له سبحانه وحده ولا يشاركه أحد في صفة من صفاته .

ولذلك يدلنا سبحانه في كتابه العزيز ... فإن إبراهيم عندما قال : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) قاله للملك ، فأقام الحجة عليه بما لا يستطيع المغالطة فيه ، قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر . وهذا صريح في أن الله عز وجل هو وحده المختص وهو الذي يقدر على تغيير هذا النظام . وهذا الذي يؤيده العقل الصحيح . لأن قدرته سبحانه تشمل العادات وخوارق العادات فإن الكل من الممكنات بالنسبة له عز وجل .

ومن الشهادات المعنوية أن يقوم عامل إلى الملك في صولته ودولته ، والموت بين شفثيه ، وله ملك عريض ، وجنود يسارعون إلى تحقيق أمره فيجابهه بأنه كاذب ظالم . ثم يقول له إنك لن تستطيع أن تصل إليّ . ثم يتحقق ذلك في أنه لا يستطيع أن يمسّه بسوء ، فمجاوبة موسى وأخوه ، وهما من قوم يعتبرهم فرعون عبداً ورعاة له ، ومجاوبته بكذبه في دعواه الألوهية ، وتحقيق سلامتهما ونجاتهما وقومهما من ظلمه وظلم جنود فرعون . هذه شهادة معنوية ورسول الله ﷺ عندما

جابه العالم ، وهو وحيد يتيم ليس له أى نوع من العصبية ، فإن أقرب الأقربين إليه من عصبته كانوا أول من عاداه وتآمر على قتله .

قال تعالى له : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر : ٩٥) : وقد كفاه الله حقا .

تآمر عليه قومه وتآمر عليه العرب جميعاً تبعاً لهم ، وأعلن الخصومة على الرومان ... ومن هم على دينهم ، وحمل قوله تعالى إليهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (المائدة : ٧٣) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة : ٧٢) . وسفه أحلام عبدة الشمس وعبدة الكواكب والمجوس والوثنيين وجادلهم بالحق ، ليس معه إلا ربه . وأخبر بأن ملك كسرى سيزول وملك قيصر وأن الله عز وجل سيؤيده ، وأن هذا الدين سيسود على كل دين بالحجة والبرهان ، وأن الظعينة تسير من كذا إلى كذا لا تخشى إلا الله .

ومن الشهادات المعنوية أنه ﷺ يوحى إليه ربه : ﴿ أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ (الروم : ١-٤) فحدد الوقت وحدد المكان . إن إنساناً فيه عقل ويدعى أن ربه يوحى إليه حقاً ، ويعرض نفسه إلى فضيحة تقوض دعواه من أساسها فإنه لم يكن واثقاً وعلى يقين لا يتطرق إليه الشك ، لا يقطع هذا القطع . ثم يحقق الله قوله ويصدقه وهذا كثير .

ومن الشهادات الكونية : قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (العلق : ١-٢) ولم يكن عند العرب ولا غير العرب المنظار المكبر ، الذى يضع ماء الرجل تحته فيرى فيه العلق ماثلاً بين عينيه . فكيف بالأمى بين أمة أمية ، ولكنه النور الإلهى الذى جاءه بالحق .

ومن ذلك قوله تعالى فى فرعون : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ (يونس : ٩٢) ولم يكن إذ ذاك من يعلم أن فرعون أنجاه الله ببذنه وجعله الله لمن خلفه آية .... وهذه المعجزة العريقة فى التاريخ أمر واضح كالشمس فى رابعة النهار . وقد ظهر ذلك على يد من لا يدين بدين الإسلام . والمعجزات العلمية التى

تحدث عنها العلماء بلغت من الكثرة مبلغاً عظيماً فى الفلك وفى النبات وفى أعلى ما يتصور فى التشريع وفى الفضائل .

إن معايير مكارم الأخلاق ترتفع عن الزمان والمكان والأجناس .

فالعادل خلق محبوب عند عقلاء البشر جميعاً . ولذلك يحب الناس من كسرى عدله ، وإن خالفوه فى الدين والجنس والزمان والمكان . والوفاء فى السموات . والشجاعة فى عنترة . والعفة فى بنى عذرة والفصاحة والنبوغ وسداد الرأى والحكمة فى أى بلد وأى جنس وأى زمان . فهذه المكارم تتخطى كل الاعتبارات . ولا بد من دراسة حياة النبى فإنما يبعث بالصفات الحميدة ، فإنه يدعو إلى مكارم الأخلاق وليس من المعقول أن يدعو إلى مفسدة ، ولا بد أن يكون أول من يتحقق بهذه المكارم . وهذه حياته ﷺ ولا يوجد فى العالم من ضبط حركاته وحياته فى مبدئه من يوم مولده إلى يوم وفاته كما ضبطت حياته ﷺ ، وليس فيها خفى ، فسرره وعلايته فى تصرفاته سواء . ولذلك سار المنصفون العقلاء إلى اتباع دينه . لأنه لاحق إلا هو ، فى ناحية البحث العقلى المحض ، إذا سار صاحبه على القواعد اليقينية خطوة خطوة ، ولم يسبح به الوهم إلى ما لا يقين فيه .

ومن الناحية العملية ، فى معاملاته ... ومثل ذلك : أن أحد البطارقة بمصر كان له ولد وحيد فتوفى وحزن عليه والده كأشد ما يحزن الوالد على فقد وحيد ، وذهب العز بن عبد السلام سلطان العلماء فى عصره - ليعزيه رعاية لحق الجوار ، فذكر فى حديثه معه أن النبى ﷺ كان له ابن وحيد هو ابراهيم عليه السلام ثم توفى هذا الابن ، فبكى ﷺ فقال له بعض أصحابه : حتى أنت يارسول الله ، فقال ﷺ : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، (رواه البخارى) .

وفى هذا اليوم خسفت الشمس فقال الناس : خسفت الشمس لموت ابراهيم ، فخطب النبى ﷺ : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فصلوا حتى ينكشفوا فتمعن ذلك البطريق فى هذا الحديث

وبكى وقال : إن محمداً لصادق فيما ادعاه ، إنه رجل صادق العاطفة ، وإن الملوك والعظماء لا يظهرون بمظهرضعف فيكتمون عاطفتهم التي يراها الناس ضعفاً ، ولكن محمداً لم يتكلف ولم يكتم عاطفته الصادقة ، فإن الحزن غريزة وسجية في البشر ولو كان متكلفاً لكتم هذه العاطفة . وإن الرجل الذي يأبى أن يدخل في دعوته شيء من الباطل ولم يكن له فيه يد ، ولو كان متكلفاً في دعواه لصنع كما يصنع من يدعى دعوى غير صحيحة - وهؤلاء يؤيدونها بالباطل وبالحيل ولكنه الصادق الصريح أعلن في غير لبس ولا تردد حازماً في صراحة الحق أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

وأما المعجزات الحسية فقد تكفل العلماء بنقلها بالأسانيد الصحيحة ... وقد ذكر الحافظ ابن كثير أنه ما من معجزة لنبي من الأنبياء إلا ولسول الله ﷺ ما يماثلها أو ما هو أعظم منها .

★ ★ ★



## من المعجزات الحسية لرسول الله ﷺ

روى البخارى عن الشعبى قال : حدثنى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن أباه استشهد يوم أحد ، وترك عليه ديناً ، وترك ست بنات . فلما حضر جزاء النخل ، قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : قد علمت أن والدى قد استشهد يوم أحد ، وترك ديناً كثيراً ، وإنى أحب أن يراك الغرماء . فقال : « اذهب فبيدرك كل تمر على ناحية » ففعلت . ثم دعوته . فلما نظروا إليه . كأنهم أغرؤا بى تلك الساعة . فلما رأى ما يصنعون ، أطاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات ، ثم جلس عليه ، ثم قال : أدع لك أصحابك . فما زال يكيل لهم ، حتى أدى الله عن والدى أمانته . وأنا أرى أن يؤدى الله أمانة والدى ، ولا أرجع إلى أخواتى بتمرة . فسلم الله البيادر كلها ، وحتى إنى أنظر إلى البيدر الذى كان عليه النبى ﷺ ، كأنها لم تنقص ثمرة واحدة . ( ح ٥ ص ٩٦ ) .

حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال :

أتيت جابراً رضى الله عنه ، فقال : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبى ﷺ ، فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : « أنا نازل » ثم قام وبطنه معصوب بحجر . ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً . فأخذ النبى ﷺ الموعول ، فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم . فقلت يارسول الله ائذن لى إلى البيت . فقلت لامرأتى : رأيت بالنبى ﷺ شيئاً ، ما كان فى ذلك صبر ، فعندك شىء؟ قالت : عندى شعير وعناق . فذبحت العناق وطحنت الشعير . حتى جعلت اللحم فى البرمة . ثم جئت النبى ﷺ ، والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافى قد كادت أن تنضج . فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان قال : « كم هو؟ » فذكرت له . قال « كثير طيب » قال : « قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من

التنور حتى آتى» . فقال : «قوموا» فقام المهاجرون والأنصار . فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت : هل سألوك ؟ . قلت نعم . فقال : «ادخلوا ولا تضغطوا» فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا . وبقي بقية . قال «كلى واهدى ، فإن الناس أصابتهم مجاعة» . رواه البخارى ح ١٠٧/٥ (باب غزوة الخندق) .

أخبرنا سعيد بن ميناء قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما حفر الخندق ، رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً ، فانكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندك شئ فإنى رأيت برسول الله خمصاً شديداً . فأخرجت إلى جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها ، وطحنت الشعير ، ففرغت إلى فراغى ، وقطعتها فى برمتها . ثم وليت إلى رسول الله ﷺ . فقالت : لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه . فجئته ، فساررتة فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح النبى ﷺ ، فقال : «يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوءاً فحى هلا بكم» فقال رسول الله ﷺ لا تتزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء . فجئته ، وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس . حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك . فقلت: قد فعلت الذى قلت . فأخرجت له عجينة ، فبصق فيه وبارك . ثم عمد إلى برمتنا ، فبصق وبارك . ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معى . واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها . وهم ألف . فأقسم بالله لقد أكلوا ، حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هى ، وإن عجينا ليخبز كما هو .

(رواه البخارى ح ١٠٩/٥ باب غزوة الخندق)

عن عمر بن الخطاب الانصارى رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الفجر وصعد على المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بمـ ﷺ كائن إلى يوم القيامة قال فأعلمنا أحفظنا . رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغنا إقبال أبى سفيان فقام سعد بن عبادة فقال يا رسول الله والذى نفسى بيده لو أمرت أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرت أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا قال فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بيدرس فقال رسول الله ﷺ هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض وهنا وهنا قال فما مال أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

وبرك الغماد بأرض اليمن والضمير عائد إلى الإبل المعلومة لأنها كانت أكثر مطاياهم وعن أنس رضى الله عنه قال نعى النبی ﷺ زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد حتى فتح الله عليهم . رواه البخارى .  
ومعنى تذرفان تسيلان بالدمع .

وعن أنس رضى الله عنه قال إن رجلاً كان يكتب للنبي ﷺ فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فمات وقال النبي ﷺ إن الأرض لاتقبله فأخبرنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها فوجده منبوءاً فقال ما شأن هذا فقال دفناه مراراً فلم تقبله الأرض . رواه الشيخان (منبوء : مطروح) .

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لتفتحن عصابة من المسلمين كنز آل كسرى الذى فى الأبيض . رواه مسلم  
الأبيض القصر الأبيض .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر ولتقسمن كنوزهما فى سبيل الله . رواه البخارى ومسلم .

وقد أزال الله ملك كسرى وكان ملك قيصر فى بلاد الشام المجاورة للحجاز فلما ل عنها لم يعد إليها ولن يعود بمشيئته .

وعن نافع بن عتبة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله . رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوفاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صفار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر ، رواه البخارى .

وفى رواية له عراض الوجوه . والمجان : التروس

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى . رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح لكم فمن أدرك ذلك منكم فيتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر . رواه أبو داود .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فان لهم ذمة ورحماً أو قال ذمة وصهرًا . رواه مسلم .

القيراط نصف عشر الدينار ثم استعمل فى جزء من أربعة وعشرين .

وعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ حين أجلى الأحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغذونا نحن نسير إليهم . رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألوننى عن شىء إلا أنبأتهم وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلى أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفى

وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأنى بالسلام . رواه مسلم (الضرب الخفيف : اللحم الممشوق المستدق ، والجعد : شديد الخلق والذي فى شعره جمودة غير مسترسل) .

وعن جابر رضى الله عنه قال إن أم مالك كانت تهدى للنبي ﷺ فى عكة لها سمنا فيأتونها بنوها فيسألون الأدم وليس عندها شىء فتعتمد إلى الذى كانت تهدى فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمنا فمازال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأنت النبي ﷺ فقال عصرتها قالت نعم قال لو تركتها ما زال قائما . رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه رجل ليستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فمازال الرجل يأكل منه وامراته وضيئفهما حتى كاله ففنى فأتى النبي ﷺ فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم . رواه مسلم (الشرط : النصف ، والوسق : الحمل وهو ستون صاعا ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز) .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ نتناول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فمم كانت تمد قال من أى شىء تعجب ما كانت تمد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء . رواه الترمذى والدارمى .

والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت يارسول الله ادع الله فيهن بالبركة فضمهن ثم دعا لى فيهن بالبركة قال خذهن فاجعلن فى مزودك كلما أردت أن تأخذ منه شىئاً فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنثره نثرأ فقال حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق من سبيل فكنا نأكل منه ونطعم وكان لا يفارق حقوى حتى كان يوم قتل عثمان فانه انقطع . رواه الترمذى (المزود ما يجعل فيه الزاد ، والوسق ، الحمل ، والحقو ، الخصر) .

وعن أنس رضى الله عنه قال أوتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء قيل فجعل الماء ينبع من أصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لأنس كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة . رواه البخارى ومسلم .

(الزوراء : مكان فى المدينة المنورة ، وزهاء ، قدر) .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة يوم الحديبية والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضى ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا . رواه البخارى .  
ركابهم : مطاياهم .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . رواه البخارى .

حى على الطهور : أقبلوا عليه وهو الماء المطهر .

وعن جابر رضى الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه صاحبت النخلة التى كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تن أنين الصبي الذى يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر . رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا . رواه البخارى .

## الله أعلم حيث يجعل رسالته

فى الكتاب الكريم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الاعراف : ١٥٨)  
وفى الحديث الشريف «كان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث إلى الأحمر والأسود» .

فرسالة موسى خاصة ببنى إسرائيل . وكان أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام يتعبدون بشريعة التوراة . ورسالة داود خاصة ببنى إسرائيل كذلك ورسالة عيسى لم تتجاوز بنى إسرائيل . حتى سيدنا عيسى عليه السلام كان يتعبد بشريعة التوراة . قال ﴿ وَلَأَحَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران : ٥٠) .

وفى كتاب متى عن المسيح عليه السلام - قال ما جئت لأنقض الناموس ، ولكن جئت لأكمل الناموس . لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل .

الناموس - صاحب السر - والمراد هنا الوحي .

وليست الرسالة الإقليمية الخاصة بقوم بعينهم ، كالرسالة التى تعمم العالم الإنسانى ، بل ما وراء العالم الإنسانى من العوالم الكائنة وراء المادة . قال تعالى ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن : ١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

وخاطب الله الثقلين فى كتابه فقال تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ (الرحمن : ٣١) وقال تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن : ١٣) فالجن مما وراء المادة . وهم مكلفون بشرعه ﷺ .

وإنكار ما وراء المادة عبث ، فإننا نعلم بيقين أن علمنا لم يصل إلى جميع الكائنات، ونقطع بأننا ما علمنا من الحقائق إلا القليل .

ومن المتناقضات أن نبحت عن سكان فى الكواكب لا نعلم حقيقتها ولا مدت تكوينها ، وندعى أن ما تم إلا ما علمنا .

وقد أطلع الله أنبياءه ورسله على ما لم يطلع عليه غيرهم . قال تعالى: ﴿ أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (النجم : ١٢) .

وقد هيا الله العرب - أمة هذا النبى الكريم - لحمل أكمل الرسالات . الرسالة الجامعة الخالدة .

وأعظم شئ فى الوجود ، معرفة أصل الوجود ، والحكمة فى خلق الإنسان ، والحكم فى القضية العظمى معرفة مبدأ الإنسان ومنتهاه .

### أديان التقليد للآباء - ودين الحجة والبرهان

وقد حرر الإسلام العقل من دين التقليد للآباء من غير رجوع إلى حجة أو برهان. والأديان الموجودة فى العالم - إذا قررنا أن كل إنسان ملزم أن يعتقد دين أبويه - مع تناقض الأديان - فقد أقررنا الباطل بيقين . فلم يبق إلا أن نرجع إلى المعيار الذى اتفقت الشرائع السماوية والوضعية عليه : أن من ذهب عقله فهو غير مسئول عما يخطئ فيه . وإذا فالعقل سبب تحمل الإنسان للتبعة فى أعماله . ولذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الانفال: ٢٢) .

ومن زعم أن الدين فوق العقل - ليفرض على العقل قبول المتناقضات والمحالات - فإنما يريد أن يترك الإنسان المحك الذى يميز الصحيح من الباطل . فإن العقل البرهانى لا يقبل إلا ما وافق الدليل . ولذلك قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ١١١) .



## الحقيقة كما هي في الواقع

لا يصح في العقل ولا في الدليل علم بلا عليم وحكمة بلا حكيم . وفاقد الشيء لا يعطيه . فيستحيل أن تكون مادة جاهلة أو وهماً جاهلاً ، هو معلم العلماء ومتقف الحكماء ومنشأ الإبداع في العالم .

فإذا كان الوجود كله قائماً بالعلم ، وعلى قواعد العلم ، في كل ذرة من ذراته ، وفي كل نسبة من نسبه ، في أفراده ومجموعه - فمرده إلى عليم حكيم .

قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) .

### العقيدة

وأمم العالم كانت تعبد الحجر أو الشجر أو الكواكب أو الحيوان أو الإنسان أو الملائكة أو الجن .

وكانت اليهود تعتقد في الله الجسمية - وهو نوع من الوثنية - ولا فرق بين من اتخذ وثناً مادياً وعبده . ومن تصور جسماً خيالياً - خلقه خياله - وعبده . واتخذوا العزيز ولداً ، كما اتخذ غيرهم لله ولداً .

وفرق بين من يعبد المخلوق على أنه الإله الخالق ، أو يجعل له شريكاً في تدبيره - وبين من يتخذ من الخلق وسيلة يتقرب بعبادته - من غير اعتقاد تأثير فيه - إلى الله الخالق الذي انفرد بالتقدير والتدبير .

وكان العرب يعتقدون انفراد الحق سبحانه بالخلق والرزق والتدبير ، وإنما أشركوا مع الله غيره في التعظيم ، وكانوا يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً تملكه وما ملك . فقال تعالى مخاطباً لهم : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١) فذلكم الله ربكم الحق فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴾ (يونس : ٣١-٣٢) .

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٩)

فهؤلاء أقرب إلى معرفة الله وتوحيده ممن يجسد الله عز وجل ، ويعتقد حلوله فى إنسان أو حيوان أو فى شجر ويعبد هذا المخلوق مع اعتقاد التأثير فيه ، فيجعله أبا وابنا وروحا وهو واحد وهو ثلاثة فى آن واحد ، وهذا خلاف العقل وهو محال .

### التوحيد

لا شك فى أن من يقدر على خلق كل شىء وحده بغير معين ، هو أكمل ممن لا يستطيع أن يخلق الخلق إلا بمعين .

ولا شك فى أن من تفرد بالكمال ، بحيث يستحيل أن يكون له نظير ، هو أكمل ممن يمكن أن يكون له نظير .

والله هو المنعم على العباد وحده . فلا يصح للمنعم عليهم أن يشكروا من لا يستطيع أن ينعم على نفسه فكيف بغيره ولا صلة له بالنعمة التى انفرد الحق بإسداؤها إليهم . فهو المنعم وحده . فمن الضلال أن تتسبب نعمته إلى مفتقر ضعيف وهو ممن أنعم عليه الحق . فلا يشكر ولا يعبد إلا هو وحده .

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص).

لا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شىء . سبحانه ربك رب العزة عما يصفون . ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وما ينسب إلى الأنبياء مما يخالف التوحيد والتنزيه ، فهو مما تقوله عليهم المتقولون ، وهم بريئون منه .

وقد حاج الرسول ﷺ أهل الكتاب فى زمنه ، وقد سئلوا عن إبراهيم عليه السلام ، فأجابوا بأنه على الهدى .

وإذن فكلمة الوفاق فيما جاء عن موسى وعيسى والنبيين عليهم السلام ، وفيما جاء فى الرسالة الخاتمة على خاتم المرسلين ، أن إبراهيم على الهدى . والجميع مجمعون على أن إبراهيم لم يكن يعبد غير الله . ولم يكن يجعل لله ولدا - لا ابناً ولا بنتاً . وإذن فلنتبع دين التوحيد والتزيه . وقد اتفقنا جميعاً على أنه على الهدى والحق المبين .

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾  
(البقرة : ١٣٥ - ١٣٦).

### اللغة

ومن ناحية اللغة : فقد هيا الله الأمة العربية للعناية بلغتها . فتنافسوا فى الفصاحة والبيان . وتباروا فى الشعر والنثر والخطابة . وليس من لغة فى العالم تبلغ مبلغها فى السعة ودقة التعبير .

والإيمان الذى يعرفنا بعظمة الخالق وقدرته وحكمته ورحمته وجلاله وتعظيمه . وحبه والحياء منه ، وما ينبغى أن تنطبع القلوب عليه من الخشوع ومعرفة كماله ، وأدب معاملته تعالى - يحتاج إلى لغة خصبة تثير معانى الحب والخشوع فى قلوب المؤمنين . كما تصل إلى الغاية مما يكلف الله به عبادته من حق لله وحق للنفس وحق للأهل ، وحق للإنسانية .

وفى الصحيح : إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذى حق حقه .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾  
(المائدة : ٨) .

فاختار الله الأمة العربية وهيأها بلغتها والعناية بها والتنافس في الفصاحة والبلاغة استعداداً لحمل أقدس رسالة .

وكان من المعجزات أن هؤلاء الأئمة في الفصاحة والبلاغة عجزوا عن الإتيان بثلاث آيات من الكتاب المبين الذي أنزله الله عز وجل على خاتم النبيين . .

## الأخلاق

الأمة التي تحمل دعوة الحق والخير والتوحيد والتنزيه في معرفة الله ، والعدل والإحسان - كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل ٩٠) - في معاملة العالم ، أراد الله لها أن تنطبع فيها أصول مكارم الأخلاق .

الشجاعة : للدفاع عن الحق . وقد جاء الرسول ﷺ والعالم كله غريق في الوثنية والظلم والانحلال . وقد كان هناك من يدعى أنه يغفر ذنوب المذنبين ، وفي هذا تسهيل لارتكاب الجريمة . وقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ١٢٥) وعندما استقر الإسلام في جزيرة العرب هاجم أعداء الإسلام الرسول ﷺ . فجرد الروم جيشاً من الروم والمنتصرة من أحلافهم لإطفاء نور الله من الجزيرة العربية . ولم تكن النسبة متكافئة في العدد والعدة فقد كان عدد الرومان أضعاف أضعاف المسلمين ولكن الله نصرهم بفضله .

وقد هيأ الله الأمة العربية للدفاع عن الحق . فعاش كل رجل منهم سيد نفسه ، يعتز بسلاحه وجواده . يزود به عن شرفه وكرامته وأهله وجاره ، رباهم الله في هذه البادية أعزاء يحمون الذمار . فحملوا الراية الربانية بالإيمان اليقيني والأخلاق الفاضلة وبلغوا بها الخافقين .

العفة : الأسرة الفاضلة الكريمة الطاهرة ، هي أساس المدنية الفاضلة والمجتمع الفاضل . وقد كانت الأمة العربية مضرب المثل في العفاف وصيانة الأعراض والتحفظ عما يجلب العار .

العدل : وكانوا إذا اختلفوا اتفقوا على من يقضى بينهم ، وإذا اتفق الخصمان على إنسان ، فلا بد أن يطمئن كل من الخصمين إليه . وهذا يقتضى أن تتوفر ثقة كل منهما فيه أنه ذو رأى وأنه لا ينحرف بمؤثر عليه . وهذا الذى يقع اختيار الخصوم عليه لا يليق به إلا أن يثبت كفايته ، وأن يترفع عن مواطن التهمة . فلا يكون هذا القاضى المختار كقاض مفروض على الخصوم كما فى الأمم الأخرى .

الكرم : الكرم طبيعة فى العرب ، يتنافس فيه كبيرهم وصغيرهم ، المرأة والرجل ، الفتى والفتاة . وكتب التاريخ مشحونة بالسجاياء العربية الكريمة .

وهذا الحق الذى جاء به المصطفى ﷺ ، لا بد أن تحمله قلوب لا تعرف الجبن لنصرته ، قلوب لا تبالى بالدنيا فى سبيل حمل راية هذا الدين . فلا تعرف الشح قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن : ١٦) قلوب لها أخلاق وسجاياء ورأى .

عن مزينة - جد هود العبدى - قال : بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ، إذ قال : يطلع عليكم من هذا الفج ركب من خير أهل المشرق . فقام عمر بن الخطاب فتوجه فى ذلك الوجه . فرأى ثلاثة عشر راكبا ، فرحب وقرب وقال : من القوم ؟ قالوا : قوم من عند عبد القيس . قال : فما أقدمكم لهذه البلاد ؟ التجارة ؟ قالوا : لا قال : فتبيعون سيوفكم هذه ؟ قالوا : لا . قال : فلعلكم إنما قدمتم فى طلب هذا الرجل ؟ قال : أجل . فمشى معهم يحدثهم حتى نظر إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا صاحبكم الذى تطلبون . فرمى القوم بأنفسهم عن رواحلهم ، فمنهم من سعى سعيا ، ومنهم من هرول هرولة ، ومنهم من مشى حتى أتى رسول الله ﷺ . فأخذوا بيده يقبلونها ، وقعدوا إليه . وبقي الأشج وهو أصغر القوم . فأناخ الإبل وعقلها ، ثم أقبل يمشى على تؤدة ، حتى أتى رسول الله ﷺ . فأخذ بيده فقبلها فقال رسول الله ﷺ : إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله . قال : وما هما يارسول الله ؟ قال : الأناة والتؤدة . قال : أجبلا جبلت عليه أو تخلقا منى ؟ قال : بل

جبل . قال الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله . رواه الطبرانى وأبو يعلى ورجالهما ثقات .

ونقل ابن عبد البر أن الأشج بن المنذر بن عائد كان سيدهم وقائدهم إلى الإسلام .

وسئل رسول الله ﷺ عن خير الأمة : قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا . رواه البخارى عن أبى هريرة .

وذلك لأن العرب ماكانوا يسودون أحداً إلا لمعنى : شجاعة لحماية القبيلة أو رأى لأن بالرأى تكون النصرة ، ومن فقد رأى فشجاعته لا تفيد . والكرم : لأنه مجد القبيلة .

ومزايا الأمة العربية وأمجاد الأمة العربية ، وكونها هى التى سبقت إلى حمل رسالة الإسلام ، أمر يقينى لا شك فيه . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (الحديد : ١٠) أولئك الذين فطرهم الله على أصول المكارم .

وليس لأحد أن يتكل على أمجاد أولئك السابقين ، ويهمل نفسه من النور الذى حملوه ، والمكارم التى تحققوا بها . بل على أبنائهم فى الدم أو الروح أن ينصروا الحق كما نصره . ويسلك سبيل النور الذى سلکوه ، وإلا انقطعت صلته بهم . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) وقال رسول الله ﷺ : ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى .

وأمامنا معركة الحياة أو الموت - معركة فلسطين - ومعارك أعداء الإسلام وأعداء العروبة ، وأقوى سلاح فيها القوة الروحية والأسلحة المعنوية الإيمان والأخلاق ويتبعها الأسلحة المادية .

## البشارة به ﷺ

وما من رسول جاء إلا بشر به من قبله ، وقد بشر به ﷺ فى العهدين القديم والجديد .

فقد تحدث العهد القديم عن أمة راكب الجمل ، ووصف كيف يجتمعون بإبلهم ، وكيف تساق الهدايا من الأغنام للفقراء كل مدة حتى تملأ البقاع ، وكيف يظهرون فى البادية بين الجبال .

وقد جاء فى الإصحاح الثانى والعدد السابع من نبوة حجي : وأزلزل كل الأمم . ويأتى حمدوت كل الأمم . فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود .

هكذا فى الأصل العبرى (حمدوت) ومعناها واضح فى الدلالة على سيدنا محمد ﷺ .  
بينما يقص العهد الجديد أن علماء الكتاب - كما فى بشارة يوحنا - كانوا ينتظرون ثلاثة وعد الله بمجيئهم : وهم المسيح ؛ وإيليا ، والنبي .

وقد قال المسيح - كما فى بشارة متى - عن سيدنا يحيى (يوحنا) هذا هو إيليا المزمع أن يأتى .

ورد فى إنجيل يوحنا : فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم .

فقول اليهود - النبي الآتى إلى العالم - يدل على أن رسالته عامة للناس كافة إلى العالم كله .

أما المسيح فقد قال : لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة . (إنجيل متى) .

وفى إنجيل يوحنا : فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا بالحقيقة هذا هو النبي . آخرون قالوا هذا هو المسيح .

ولفظ (النبي) فى هذه النصوص بأل التعريف .

فقد جاء المسيح عليه السلام . وجاء إيليا المزمع أن يأتى عليه السلام . ثم جاء (النبي) ﷺ . فلم يبق ممن قضى الله لهم بالنبوة فى الأزل أحد . وأرسل الله عز وجل جميع من وعد بإرسالهم .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الاحزاب : ٤٠) .

وقد طبع الله خير الخلق ﷺ على المحامد قبل النبوة . وكان يدعى الأمين حتى بين من عادوه بعد النبوة .

وفوجئ الرسول ﷺ بالوحي فعاد إلى أهله . فقال لزوجته خديجة رضى الله عنها : لقد خشيت على نفسى . لأنه أمر لا عهد له به من قبل . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

هذه أخلاقه ﷺ التى طبعه الله عليها قبل النبوة .

ومدحه الله عز وجل فى كتابه الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الاحزاب : ٢١) .

أخرج مسلم فى صحيحه والترمذى ، عن وائلة ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الانبياء : ١٠٧) .

★ ★ ★



## الاطلاع على الغيب والفناء عند أهل الله

إذا كنا جلوساً في حجرة وفيها خزانة لم نعرف ما فيها فهو غيب بالنسبة لنا فإذا فتحها واحد منا ورأى ما فيها أصبح بالنسبة له شهادة . فإذا رفع الله حجاباً عن إنسان حتى أشهده ما وراءه فقد أصبح شهادة بالنسبة له وإنما هو غيب بالنسبة لمن لم يشهده إياه .

وثم غيب لا يطلع الله عليه مخلوقاً وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (النحل: ٦٥) وثم غيب لا يُطْلَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا الرُّسُلُ وهو قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٦) وثم غيب خاص بالأنبياء عليهم السلام ، وثم غيب يطلع الله عليه الأولياء . قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .

فهو شهادة بالنسبة له غيب بالنسبة لمن أخفاه الله عنه ، فمن ادعى أنه رأى ما أخفاه الله عنه فهو كاذب بخلاف من يطلعه الله على ما أخفاه عن بعض الناس فذلك جائز وقد يكشف الله للعبد عن أسرار في الجماد أو النبات أو الحيوان أو ما وراء المادة من الجن وبعض العوالم .

والفرق بين الفتح الذي يتمتع به أهل الحق وفتح غيرهم الدخول في الملكوت فإنه لا يدخله إلا من صحت عقيدته وحسن عمله ، فمن اعتقد الجسمية أو حداً في الله تعالى مثلاً فليس من أهل الحق في اعتقاده فإنه سبحانه منزّه عن القيود والحدود لا بداية ولا نهاية ، ومن كذب من حديثه فليس من أهل الحق في قوله ومن ارتكب محرماً فليس من أهل الحق في فعله فإنه لا يجب أن يساء إليه فلا يسئ إلى أحد ولا إلى نفسه .

فإذا كان العبد من أهل الحق فى سائر شئونه اعتقاداً وعلماً وعملاً وقولاً وحالاً  
صح أن يرفع الله عنه الحجب الملكوتية فيزج به فى الملكوت فيكون حاله حال  
الملائكة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦) مع الطهارة  
والمعرفة الشهودية والتقديس للحق سبحانه والتعظيم له .

وكأنما هو فى الدار الآخرة بمنازلها فأى يقين يكون عليه من تلك حاله . وقد  
صح عن أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك الشئ الكثير وعلى أثرهم من كان على  
أثرهم رضوان الله عليهم . قال الحجة الغزالي فى كتابه المنقذ من الضلال عند  
الصوفية حتى إنهم وهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون  
منهم أصواتهم ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال  
إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

وقال تلميذه القاضى أبو بكر العربى المالكى ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع  
كلامهم ممكن للمؤمن كرامة .

وقد اعترض قوم هذه الأمور باعتراضات مردودة بالكتاب والسنة الصحيحة وقد  
صح أنه كان فى بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء . أى تكلمهم  
الملائكة انظر الصحاح ومنهم سيدنا عمر رضى الله عنه وانظر كلام الحافظ ابن  
حجر وغيره فى أن ذلك لا يختص به رضى الله عنه وهذا غير النبوة . فإنها قد  
ختمت بالمصطفى ﷺ .

ولاتزال تتسع بالعبد المحبوب دائرته الروحية بحسب الفيض الحق حتى يبلغ ما  
قسم الله له ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الجمعة: ٤) وبديهي  
أن الحق لا يستشير منكبرى هذه الأحوال فى تفضيله على خواص عبادته ﴿وَاللَّهُ  
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: ١٠٥) .

فمقام المكاشفة ارتفاع الأستار غير ستر رقيق حتى كأنه يشاهد الحقيقة بلا

ستار والفناء هو استيلاء الحق على العبد حتى يستره به عن كل ما سواه حتى عن نفسه .

وفى مقام فاذكرونى يشعر العبد بذكره لربه ثم يرى أنه ما ذكر الله إلا بالله ثم يفنيه الحق عن نفسه وعن ذكره فلا يرى ذاكر الله إلا الله فإنه ما ذكره إلا به ولا يرى حامداً ولا منجداً إلا الله فإذا غَيَّبَهُ الحق عن تلك الرؤية كان ذكره لربه ، من الله لله من غير شعور من العبد وهذا الذى يعنون بقولهم إن الحق ذكر نفسه بنفسه فى العبد ولا يعقل أن يقوله مسلم عن نفسه أنا الله أو أنا الحق أو سبحانه على ظاهرها فى حال شعوره فإن ذلك كذب على الحقيقه وكفر بالله ولا يليق بمقام التوبة الذى هو أول مقامات السير ولا يتأتى فى أى مقام فوق التوبة إتيان ما يخل بها . ومن ابتلى بشيء من ذلك خرج عن طريق الحق بتاتا وطولب بالبدء فى سلوك الطريق من جديد بتحقيق مقام التوبة ولا ييأس ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) .

وقد شبه سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه من هذه حاله بقوم خرجوا من موضع يريدون موضعاً بعيداً فجدوا فى السير طول ليلهم ولكنهم ضلوا الطريق فرجعوا إلى الموضع الذى خرجوا منه وهم لا يشعرون ، فلما طلع عليهم الصباح وجدوا أنفسهم فيه قال رضى الله عنه

فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا فمن نقض التوبة والعياذ بالله فقد رجع القهقرى وهدم كل ما بناه وكان كالتى نقضت غزلها بيدها .

وظن قوم - خطأ - أن الصوفية يعنون بالفناء صورة النرفانا الهندوسية وهى أن الروح جزء اقتبس من النور الأسمى ثم انغمس فى عوالم شتى فلما تخلص منها عاد وامتزج بأصله النور ، والفناء الذى يعنيه الصوفية المسلمون غير ذلك .

يقول الشيخ أبو نصر السراج فى كتابه اللمع : ومعنى الفناء والبقاء فى أوائله فناء الجهل ببقاء العلم وفناء المعصية ببقاء الطاعة ، وفناء الغفلة ببقاء الذكر وفناء رؤيا حركات العبد ببقاء رؤيا عناية الله فى سابق العلم ويقول أيضا عن الفناء : وهو ذهاب القلب عن حس المحسوسات بمشاهدة ما شاهد ، ثم يذهب عن ذهابه والذهاب عن الذهاب ، هذا ما لا نهاية له .

١ - فأول علامات الفانى ذهاب حظه من الدنيا والآخرة بورود ذكرالله .

٢ - ثم ذهاب حظه من ذكر الله تعالى فى حظه بذكر الله تعالى له .

٣ - ثم تمنى رؤية ذكر الله تعالى له حتى يبقى حظه من الله .

٤ - ثم ذهاب حظه من الله تعالى برؤية حظه بالله .

٥ - ثم ذهاب حظه برؤية حظه لفناء رؤيته «ويعنى بذهاب حظه فناء شعوره» .

وقال : وقد زعم أنه سمع بعض المتقدمين أو وجد فى كلامهم أنه قال فى معنى الفناء عن الأوصاف والدخول فى أوصاف الحق . فالمعنى الصحيح من ذلك ، أن الإرادة من العبد ، وهى من عند الله عطية ، ويعنى خروج العبد من أوصافه والدخول فى أوصاف الحق ، خروجه من إرادته ودخوله فى إرادة الحق وبمعنى أن يعلم أن الإرادات هى عطية من الله تعالى وبمشيئته شاء وبفضله جعل له ما يعطيه ذلك قطعه عن رؤية نفسه حتى ينقطع بكليته إلى الله تعالى ، وذلك منزل من منازل أهل التوحيد .

وأما الذين غلطوا فى هذا المعنى إنما غلطوا بدقيقة خفيت عليهم حتى ظنوا أن أوصاف الحق هو الحق وهذا كله كفر لأن الله تعالى لا يحل فى القلوب ولكن يحل فى القلوب الإيمان به والتوحيد له والتعظيم لذكره وقال : ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة أن تفرق بين البشرية وأخلاق البشرية لأن البشرية لاتزول عن البشر كما أن لون الأسود لا يزول عن الأسود ولا لون الأبيض عن لون الأبيض

وأخلاق البشرية تبدل وتغير لما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق وصفات البشرية ليست هي عين البشرية والذي أشار إلى الفناء أراد به فناء رؤية الأعمال والطاعات ببقاء رؤية العبد لقيام الحق للعبد بذلك .

وإذا فهم أن الحب قد بلغ إلى درجة تعطلت معها الحياة العقلية الواعية نتيجة بلوغ المسلم الناهب إلى القرب الأدنى أرقى درجات الحب عندما يغيب في دهشته في كمال الحق سبحانه وينقطع شعوره بحال فنائه فهنا يصح أن يقال إن العبد استولى عليه سلطان الحق فلا يشهد شيئاً سواه .

وأى مخالفة للشريعة في ذلك وأين هي الحلول أو الاتحاد وأين هي العقيدة الهندوسية وهم أبعد الناس عنها وكيف لا يفرق بين من يرى الفناء رجوع جزء إلى كله وبين من يرى الفناء دهشة عبد في اجتلاء جمال ربه ، عبد أحب ربه بكل ما في وسعه ثم فوق ما في وسعه فذهل واستغرق في ذهوله حتى لم يشعر لنفسه بوجود . وحيث إن لبلوغ العبد مقام علامة هي أن يفقد العبد فيها إحساسه كما قال السرى السقطى وهو من رجال القرن الثالث: إن الصوفى في حال الفناء لو ضرب وجهه بالسيف لما أحس به .

فمن كان فانيا فلا يخفى حاله وهذه علامته ، وقد دهشت النسوة فقطعن أيديهن لرؤية يوسف والفناء أعلى من ذلك .

وقد نقل عن أبي الخير الأقطع أن قدمه جرحت فلما ضمد الجرح أشار عليه الطبيب ببيت قدمه ولكن أبا الخير أبى ذلك فقال أصحابه للطبيب لو قطعت قدمه أثناء صلاته لما أحس لأنه يغيب عن حسه فيها ففعل كما قالوا ولما قضى أبو الخير صلاته وجد قدمه قد قطعت .

ووصف الهجویری الفناء بأنه فناء إرادة العبد في إرادة الله لا فناء وجود العبد في وجود الله وضرب لذلك مثلاً بالحديد تذيبه النار فإن النار تؤثر في صفات الحديد دون أن تعدم جوهر الحديد فالفناء الإسلامى وجميع مقالات الصوفية إذا

فهمت على حقيقتها فليست إلا الروح العملية الواقعية التي ينبغي أن يتصف بها المسلم المحب لربه الحب الصحيح وهي روح كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

والحق لا يعرف بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله .

وقد عرفنا الآن حقيقة الصوفية الإسلامية والفناء الإسلامى فالأمر المقطوع به أن من كان كذلك فهو صادق وهو منهم ولم يكن كذلك فليس منهم .

فالاخلاف بيننا وبين خصوم الشيخ محيي الدين والشيخ ابن الفارض وأمثالهما: أننا نقول إنهم بريئون مما يخالف الشريعة وأن كلامهم إذا فهم على أصول الصوفية المسلمين لا يخالف الشريعة - وقد دس عليهم أشياء - يردّها إعلانهم عقيدتهم للملأ وما هو كالمقطوع به من كلامهم الصريح الذي لا لبس فيه ولا غموض .

ويجب على من غلب على ظنه براءة متهم ظلماً أن يدافع عنه حسبة لله تبارك وتعالى قال ﷺ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ونصره ظالماً أن يمنعه من الظلم والله أعلم .

★ ★ ★

## من إخباره ﷺ بالغيوب

عن خريم بن أوس ، سمعت النبي ﷺ يقول:

«هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لى ، وهذه الشيماء بنت نفييلة الأزديّة على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود» فقلت : يا رسول الله وإن نحن دخلنا الحيرة ووجدتها على هذه الصفة ، فهى لى ؟ قال : «هى لك» . ثم ارتد العرب ، فلم يرتد أحد من طيء ، وكنا نقاتل قيساً على الإسلام ومنهم عيينة بن حصن ، وكنا نقاتل بنى أسد وفيهم طلحة بن خويلد الفقى . ثم سار خالد إلى مسيلمة ، فسرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة وأصحابه ، أقبلنا إلى ناحية البقرة ، فلقينا هرمز بكازمة فى جمع عظيم ، فبرز له خالد بن الوليد ، فدعا إلى البراز ، فبرز له هرمز ، فقتله خالد ، وكتب ذلك إلى أبى بكر فنقله سلبه . ثم سرنا على طريق الطف حتى دخلنا الحيرة ، فكان أول من تلقانا فيها شيماء بنت نفييلة الأزديّة على بغلة لها شهباء بخمار أسود ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتعلقت بها فقلت هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فدعانى خالد عليها البينة ، فأتيته بها ، فسلمها إلى .

رواه الطبرانى - ص ٢٨٦ ح ١٠ كنز العمال الطبعة الثانية . جمع ألفوائد

. ١٦١/٢

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال :

بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل . فقال : يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها فقال فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا

تخاف أحدا إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار طيء الذين سعروا البلاد . ولئن طالت بك حياة لنتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز ؟ قال كسرى ابن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له . فليقولن . ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى . فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول . بلى يارب . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم . قال عدى . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فاتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة » . قال عدى رضى الله عنه . فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ « يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد من يقبله منه » أخرجه البخارى .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى ألا يهلك أمتى بسنة عامة ، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى تعالى قال : يا محمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أنى لا أهلكهم بسنة عامة ، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى .

★ ★ ★



## ما ولدت العرب أكرم منك

قال الأصمعي : قصدت في بعض الأيام رجلا ، كنت أغشاه لكرمه ، فوجدت على بابه بوابا ، فمنعني من الدخول إليه ، ثم قال : واللّه يا أصمعي ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك إلا لرقّة حاله ، وقصور يده ، فكتبت رقعة فيها :

إذا كان الكريم له حجاب      فما فضل الكريم على اللئيم؟

ثم قلت : أوصل رقعتي إليه ، ففعل وعاد بالرقعة ، وقد وقع على ظهرها

إذا كان الكريم قليل مال      تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار ، فقلت : واللّه لأتحفن المأمون بهذا الخبر ، فلما رآني قال : من أين يا أصمعي ، فقلت : من عند رجل من أكرم الأحياء ، حاشى أمير المؤمنين ، قال : ومن هو ؟ فدفعت إليه الورقة والصرة ، وأعدت عليه الخبر ، فلما رأى الصرة قال : هذه من بيت مالي ، ولا بد لي من الرجل ، فقلت : واللّه يا أمير المؤمنين إنني أستحي أن أروعه برسلك فقال لبعض خاصته : امض مع الأصمعي فإذا أراك الرجل قل له : أجب أمير المؤمنين من غير إزعاج ، قال : فلما حضر الرجل بين يدي المأمون ، قال له : أما أنت الذي وقفت لنا بالأمس ، وشكوت لنا رقة حالك وقلت : إن الزمان قد أناخ عليك بكلّك ، فدفعنا إليك هذه الصرة لنصلح بها حالك فقصّدك الأصمعي ببيت واحد فدفعتها إليه . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، واللّه ما كذبت فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال ، لكنني استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين ، فقال له المأمون . أما أنت فما ولدت العرب أكرم منك ، ثم بالغ في إكرامه وجعله من جملة ندمائه ؟

## إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

عن علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث رضى الله عنه قال «وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه ، أعجبه ما رأى من سميتنا وزينا ، ثم قال ما أنتم ؟ قلنا : مؤمنون فتبسم رسول الله ﷺ وقال : إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قلنا خمس عشرة خصلة : خمس أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها . وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية ، ونحن عليها الآن : إلا أن تكره منها شيئا .

قال : وما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها ؟ قالوا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال : وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قالوا : أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله وأن نقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا . قال : وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء . والرضاء بمر القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء . وترك الشماتة بالأعداء ، فقال حكماء علماء كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء ، ثم قال : وأنا أزيدكم خمسا . فتتم لكم عشرون خصلة ، إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا تزولون واتقوا الله الذى إليه تحشرون ، وعليه تعرضون وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون، وفيه تخلصون فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وقد حفظوا وصيته وعملوا بها رواء الحافظ ابن المدينى وأبو نعيم فى كتاب الحلية وغيرهما .

## قدم نبوته ﷺ

عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات المؤمنين يرين وفي رواية وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام وفي رواية وبشارة عيسى قومه . رواه أحمد بأسانيد والبزار والطبراني بنحوه وقال سأحدثكم بتأويل ذلك دعوة إبراهيم دعا : وأبعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى ابن مريم قوله : ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد . ورؤيا أمي التي رأت في منامها أنها وضعت نوراً أضاءت منه قصور الشام ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان .

### (س) من هو أول مخلوق لله سبحانه وتعالى ؟

(ج) صح عنه ﷺ : كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد . ورواية أبي هريرة في المستدرک قيل للنبي ﷺ متى وجبت لك النبوة . قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه . وهذا تعيين للوقت الذي أعطى فيه النبوة ﷺ فكان نبيا بالفعل في الملاء الأعلى وحديثه ﷺ كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث سنده حسن . ولم يفهم قوم هذا الحديث لأنهم ينظرون إلى الأجساد وغفلوا عن أن الروح حقيقة الإنسان وأن الجسد ستار .

★ ★ ★

## تقدم خلق الأرواح على الأجساد

لا يعلم بين أصحاب رسول الله ﷺ خلاف في أن خلق الأرواح متقدم على خلق الأجساد ، ونقل جمع من العلماء الإجماع على ذلك ، منهم أبو اسحق المروزي ، كما نقله ابن القيم في كتاب الروح وكذلك ابن حزم . وأول من خالف في ذلك من حام حولهم في دينهم شبهات والعياذ بالله تعالى . وقد عين المصطفى المعصوم ﷺ ظرف أخذ هذا الميثاق .

أخرج الحاكم في المستدرك من حديث جرير بن جازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ، يعني بعرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألسن بربكم قالوا بلى» وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي ، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر ، ورواه الامام أحمد نحوه ورجاله رجال الصحيح .

وجميع ما اعترض به على هذا الميثاق بالرأى رده المحققون . ولسنا بصدد بيان ذلك هنا فلنتبع السنة حقا وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

وعن الإمام مالك رضى الله عنه عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ (الأعراف : ١٧٢) قال سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ، ويعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون» قال الحاكم على شرطهما ولم يخرجاه وقال الذهبي على شرطهما وفيه إرسال أي مسلم بن يسار لم يلق عمر رضى الله عنه انتهى . ولكن صح وصله .

وإذا كان بعض العلماء فاتة معرفة بعض رجال السند فمتى عرفهم غيرهم من العلماء فالحجة فى كلام من يعرفهم ومسلم بن يسار معروف وثقه ابن حبان وقال عنه الحافظ ابن حجر مقبول من الثانية ، وفى الخلاصة وثقه ابن حبان .

وليس الميثاق والقدر السابقان بمنافيين لعمل العبد باختياره الممنوح له من ربه تبارك وتعالى فى حياة التكليف .

وحيث إن رجال السند ثقة وزيادة الثقة مقبولة ، فقد صح السند متصلا ، وقد روى النسائى هذا الحديث متصلا عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة ، ومثله أبو داود . ونص الحافظ الدار قطنى على اتصال سنده من رواية عمر بن جعثم .

قال وقد تابع عمر بن جعثم زيد بن سنان أبو فروة الرهاوى وقولهما أولى بالصواب .

وهذه هى القواعد والأصول العلمية ، ومن أطرح الهوى والعصبية والتقليد بغیرحجة سلم له دينه وعلمه .

وهذا الحديث جاء بسند صحيح عند الحاكم فى المستدرک من غير رواية عمر رضى الله عنه . رواه عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى من أصحاب النبى ﷺ وقال الذهبى على شرطهما إلى الصحابى .

فأى امرئ عنده شئ من الانصاف يرد الحديث بعد هذا ، وهو نص يشرح قول الله تعالى ، من أعلم الخلق بكتاب الله ، النبى ﷺ .

وأخرج الترمذى عند تفسير هذه الآية من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة» ثم قال هذا حديث حسن صحيح رواه الحاكم مستدرکه وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى وأخرج الحاكم فى المستدرک عن أبى بن كعب رضى الله عنه فى قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الاعراف : ١٧٢) قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن

إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . فلا تشركوا بى شيئا فإنى أرسل إليكم رسلى يذكرنكم عهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتفى قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك . ورفع لهم أبوههم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة وغير ذلك . فقال ربى لو سويت بين عبادك ، فقال إنى أحب أن أشكر ، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج ، وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ (الاحزاب: ٧) وهو قوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠) وذلك قوله ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ (النجم: ٥٦) وقوله ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ (الاعراف: ١٠٢) وكان روح عيسى من تلك الأرواح التى أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . قال الحاكم صحيح وأقر الذهبى تصحيحه ورواه ابن الإمام أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالى وقال الحافظ الهيثمى وهو مستور وبقية رجاله رجال الصحيح .

ولا يصح أن يكون هذا مرويا عن أهل الكتاب فإن هذا كتاب الله القرآن وتؤيده الأحاديث النبوية الشريفة ولا يعلم إلا من طريق النبوة فليس مما يستقل العقل بإدراكه فله حكم المرفوع .

وقد جاء هذا المعنى عن جمع من الصحابة كذلك .

ودعوى أن هذا مجاز أو خيال تشبه التلاعب بنصوص السنة المشرفة ولا يصرف النص عن حقيقته إلا بموجب ، وليس ذلك بمستحيل لا عقلا ولا شرعا آمنا بالله وصدقنا رسول الله ﷺ .

وأصل الميثاق ثابت فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ «لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِى بِهِ ؟» فَيَقُولُ نَعَمْ . فَيَقُولُ أَرَدْتَ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ

فى صلب آدم ، ألا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بى» وقال الامام اسحق بن راهويه فى معنى هذه الآية وأجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجسام واستنطقهم وأشهدهم وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الاعراف : ١١) والقرآن لا يصرف عن ظاهره إلا بموجب . وهاهى ذى السنة المفسرة للقرآن تقتضى أن تحمل الآية ظاهرها . ولا يمنع عقل ولا شرع أن الأرواح كانت موجودة قبل الأجساد .

وإذا كان هذا إجماع السلف الصالح من القرون الثلاثة فدع ماسواه واستمسك بريك .

اللّه خالق كل شىء فكل ما سواه مخلوق مربوب له ولا أزلى إلا هو عز شأنه ولم يبرز اللّه الخلق إلى الوجود دفعة واحدة فقد سبق بعضها بعضاً وحيث إن من المسلم أن كل فرد من الحوادث لا يكون إلا مسبوقاً بالعدم ، فمجموع الأفراد لا يتصور إلا مسبوقاً بالعدم ، ومهما تصورت امتداد سلسلة الحوادث فالعدم سابق عليها، فلا بد من مرتبة هى أول الخلق وسواء كان القلم أو الهواء أو الماء أو العرش .

والاعتقاد الكونى لا يضر الخطأ فيه ما كان لا يمس كمال الألوهية أو النبوة ولم يصادم إجماع أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن اعتقد أن أول المخلوقات هو القلم حسبما عرف من الدليل ، فتبين أنه الماء أو غيره فإن ذلك لا يضره لاعتقاده أنه مخلوق خلو من أى صفة من صفات الله عز وجل وكونه خلق أو لا أمر جائز كمن اعتقد أن الأرض على شكل كذا مع تصديقه بما فى كتاب الله فظهر أنها على غير صورة ما يعتقد ، فإن هذه كونيّات وهى غير الإلهيات فلا يضر الخطأ فيها ما كان بعيداً عما يقتضى تكذيباً للمصطفى ﷺ .

وقد ذهب قوم إلى أن أول ما خلق الله القلم لما جاء عنه ﷺ «أول ما خلق الله القلم» رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه عن عبادة بن الصامت مرفوعاً بزيادة فقال له اكتب قال ما أكتب قال : أكتب مقادير كل شىء .

وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه : إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره أن يكتب كل شيء - ورجاله ثقات .

وقال قوم العرش هو الأول للرواية الأخرى : إن الله خلق العرش فاستوى عليه ثم خلق القلم وأمره أن يجرى بإذنه . فقال يارب بم أجرى قال بما أنا خالق وكائن فى خلقى من قطر أو نبات أو نفس أو أثر أو رزق أو أجل . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة - ورجاله ثقات إلا الضحاك بن مزاحم فوثقه ابن حبان وقال لم يسمع من ابن عباس وضعفه جماعة .

وذهب قوم إلى أن أول مخلوق هو الماء لما جاء عنه ﷺ «كل شيء خلق من الماء» . وأخذ قوم من العلماء بحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه . عنه ﷺ «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» أخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني ، ولا يضر وجود روايات للحديث فيها الزيادة عن هذا القدر فليس المعول عليها .

والقائل فى عصرنا بأن الروح النورانية روح المصطفى ﷺ خلقت أو لا لم يخترع هذا القول وهو مسبوق به وقال به من العلماء من لا يهتم فى دينه ولا علمه .

وأخرج الحاكم فى المستدرک على الصحيحين عن عبد الرزاق عن عمر بن حبيب المكى عن حميد بن قيس الأعرج عن طاووس . قال : جاء رجل إلى عبد الله ابن عمرو يسأل مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال الرجل فمم خلق هؤلاء قال لا أدري ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال كقول ابن عمرو فأتى ابن عباس فسأله مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق هؤلاء فقراً ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ (الجاثية: ١٣) فقال الرجل ما كان لنا بهذا إلا رجل من أهل بيت النبى ﷺ .

ومعنى منه أى بأمره ومن توهم تجزئة أو اقتطاعا فقد كفر وضل ضلالا بعيدا والمراد أن الكل مخلوق بقدرته ووجود الحق سابق على وجود كل شيء سبقا ذاتيا لا يشبه سبق الخلق وقال الحاكم فى سند الحديث صحيح وأعل الحافظ الذهبى



سنده بأن عمر بن حبيب لا يعرفه والقاعدة أن الراوى إذا لم يعرفه بعض الحفاظ وعرفه غيره منهم فالحجة فى قول من يعرفه . وقد عرفه غيره ، وفى الخلاصة عمر بن حبيب المكى ثم اليمنى عن عطاء وعنه ابن عيينة وثقه ابن معين وروى له البخارى فى الأدب المفرد .

وفى محاضرة الأبرار عن ابن عباس أن أول المخلوقات النور وذكر الحافظ السخاوى فى المقاصد «المؤمن الذى ينظر بنور الله الذى خلق منه» رواه الديلمى عن ابن عباس مرفوعاً والمراد بنور الله نور خلقه الله كروح الله جبريل عليه السلام وقد اتفق العلماء على أن العقائد لا يؤخذ فيها إلا بالدلائل القطعية ، وأن الفروع من حلال وحرام وواجب ونحو ذلك يكفى فيها الدليل الظنى ولا بد فيها من نقل صحيح أو حسن ، وأما المناقب فقد جرى العلماء على الأخذ فيها بالصحيح والحسن والضعيف متى كان الأمر فى نفسه جائزاً عقلاً وشرعاً ولم يصطدم بنص قطعى وكذلك فضائل الأعمال لأنه لا يترتب عليه تحليل حرام ولا تحريم حلال ولأن الفضائل مما يندرج تحت قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة : ١٠٥) .

كما ذكر علماء الحديث أن السند قد يكون معلولاً ويصح أن يكون الحديث فى الواقع صحيحاً وإنما هذا ما أدى إليه الاجتهاد .

ومن العلماء من جمع بين الروايات بأنه يصح أن تكون الأولية نسبية فالقلم أول بالنسبة لما بعده والماء بالنسبة لما بعده قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الانباء : ٣٠) - والنور بالنسبة لما بعده .

وإذا كانت القدرة الإلهية والفضل الإلهى صالحاً لكل فلا حرج على من ذهب إلى قول من هذه الأقوال .

وكلمة الاتفاق أن الخطأ فى مثل هذه الأمور لا يضر العقيدة حيث لم يخرج ذلك المخلوق عن دائرة العبودية وكان للمسلم سلف ممن يقتدى به .

وفى صحيح مسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع .

وهو ﷺ أول من يجيز أمته على الصراط .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك» أخرجه مسلم فى الصحيح .

فأوليته ﷺ ثابتة فى هذه المراتب ، ويصح أن يكون أول المخلوقات كذلك . ولم يرد نص قطعى مانع ، فلا يمنع ذلك عقل ولا شرع .

وإما أن يكون لمن هو أول الخلق مزية على الخلق ، أو لا مزية له ، مع القطع بأن لا صلة لذلك بالوهمية ، فإن كان له مزية فرسول الله ﷺ أولى بكل فضل ، وإن لم يكن له بذلك مزية فلم يصح أولئك المساكين .

وأكمل مراتب المخلوقات وأجمعها مرتبته ﷺ ، فإنه سيد الخلق فمراتب الممكنات أجزاء من المرتبة الجامعة التى اختصه الله عز وجل بها وتفاصيل لتلك المرتبة .

ومن معانى أنه ﷺ أول الخلق أنه أعلاهم منزلة وأرفعهم مرتبة وأجمعهم للكمالات الحسية والمعنوية ، والعقل والشرع يتفقان فى جواز أن تكون روحه الشريفة أول مخلوقات الله عز وجل .

ومعنى مخلوق بعيد عن الألوهية والربوبية بجميع الوجوه ، ومن زعم أن هذا الوجه يشبه اعتقاد النصارى فى سيدنا عيسى عليه السلام فإنه لا يعرف العلم لأن البون شاسع بين من يقول إن روحه الشريفة عبد مخلوق ليس فيه من الألوهية أو الربوبية شئ ، وبين من يقول عن المسيح عليه السلام إنه إله قديم غير مخلوق ، سواء جعله ابنه أو جعله هو الله ، وعلى كل حال فلا بد من مخلوق هو أول الخلق فإن لم يثبتوا له ﷺ فسيثبتونها للقلم أو للعرش أو للماء . فلم لا تكون روحه ﷺ .

ومن اعترض بأن نشأته الجثمانية الشريفة إنما كانت منذ ولد بمكة المكرمة فإنه فى واد جسمانى، وإنما كلامنا فى النشأة الروحية السابقة فهو أجنبى عن التحقيق، والمقطوع به فى اعتقاد كل مؤمن أنه ﷺ أهل لكل وصف كمال فى الحس والروح وليس فيه من الألوهية شىء والحمد لله رب العالمين.

★ ★ ★

## باب ما جاء في المهدي

١ - عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : أبشركم بالمهدي ، يبعث على اختلاف من الناس ، وزلازل ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، يقسم المال صحاحا . قال له رجل : ما صحاحا ؟ قال : بالسوية بين الناس ، ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غناء ، ويسعهم عدله . حتى يأمر مناديا فينادي فيقول : من له في مال حاجة ؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول أنا ، فيقول : انت السدان - يعني الخازن - فقل له : إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا ، فيقول له : أحث . حتى إذا جعله في حجره واثزره ندم ، فيقول كنت أجشع أمة محمد ﷺ ، أو عجز عني ما وسعهم ؟ قال فيرده ، فلا يقبل منه فيقال له : إنا لا نأخذ شيئا أعطيناك . فيكون كذلك سبع سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين ، ثم لا خير في العيش بعده ، أو قال : ثم لا خير في الحياة بعده .

قلت رواه الترمذى وغيره باختصار كثير . رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات .

٢ - عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج من بنى هاشم ، فيأتى مكة فيستخرجه الناس من بيته بين الركن والمقام ، فيجهز إليه جزء من الشام ، أخواله من كلب ، فيجهز إليه جيش فيهمزهم الله ، فتكون الدائرة عليهم ، فذلك يوم كلب ، الخائب من خاب من غنيمة كلب . فيستفتح الكنوز ، ويقسم الأموال ، ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيعيشون بذلك سبع سنين أو قال تسع . رواه الطبرانى فى الأوسط ورجالهم رجال الصحيح .

٣ - عن أم سلمة قالت : بينما رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيتى ، إذ احتفز جالسا وهو يسترجع ، قلت : بأبى أنت وأمى ، ما شأنك تسترجع ؟ قال : الجيش من

أمتي يجيئون من قبل الشام ، يؤمنون البيت لرجل يمنعهم ، حتى إذا كانوا بالبيداء من ذى الحليفة ، خسف بهم ، ومصادرهم شتى . قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله كيف يخسف بهم ومصادرهم شتى ؟ قال : إن منهم من جبر ، إن منهم من جبر ، إن منهم من جبر . رواه أبو يعلى ، وفيه على بن زيد وهو حسن الحديث وفيه ضعف . وروى بإسناده عن عائشة عن النبي ﷺ قال بمثله . ورجاله ثقات .

٤ - عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : يكون فى أمتي خليفة يحثو المال فى الناس حثيا ، لا يعده عدأ ، ثم قال : والذى نفسى بيده ليعودان . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٥ - عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : يكون فى أمتي المهدي ، إن قصر فسيبغ وإلا فثمان وإلا فتسع ، تنعم أمتي فيها نعمة : لم ينعموا مثلها ، يرسل السماء عليهم مدرارا ، ولا تدخر الأرض شيئا من النبات ، والمال كدوس ، يقوم الرجل يقول يامهدي اعطنى فيقول خذ .

رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات .

٦ - وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يُبعث فيهم رجل منى ، أو قال من أهل بيتي يوافق اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا . رواه أبو داود والترمذى ، وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبى وفيه حتى يملك رجل من أهل بيتي .

٧ - وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقاتلونكم قتالا لم يقاتله قوم ، ثم ذكر شيئا فقال : إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي .

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى .

٨ - وعن أبي الطفيل عن ابن الحنفية قال : كنا عند عليّ فسأله رجل عن المهدي فقال عليّ رضي الله عنه هيهات ، ثم عقد بيده سبعا فقال : ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل فيجمع الله تعالى له قومًا قزع كقزع السحاب ، يؤلف الله بين قلوبهم ، لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر لم يسبقهم الأولون ، ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر .

قال أبو الطفيل ، قال ابن الحنفية أتريده ، قلت نعم : قال فإنه يخرج من بين هذين الخشبين قلت : لا جرم والله لا أريهما حتى أموت فمات بها يعني مكة ، حرسها الله تعالى . رواه الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي .

وعلى كرم الله وجهه قال : ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم فإن فيهم الأبدال وسيرسل الله سبباً من السماء فيفرقهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ، ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول عليه السلام في اثني عشر ألفاً إن قتلوا وخمسة عشر ألفاً كثروا ، أماراتهم أو علامتهم أمت أمت على ثلاث رايات يقاتلهم أهل تسع رايات ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك فيقتتلون ويهزمون ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى الناس ألفتهم ونعمتهم فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال ، وسنده صحيح وأقره الذهبي .

٩ - وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً . قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

وعنه رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ،

وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا ، يعنى حججا . قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه وأقره الذهبى.

وأصله عند مسلم يكون فى آخر الأمة خليفة يقسم المال لا يعده عدا .

وهذه كلها روايات صحيحة فمن زعم أن أحاديث المهدي ضعيفة فعليه أن يراجع هذه الأسانيد فقد اتفق على صحتها الحاكم والحافظ الذهبى والحافظ نور الدين الهيثمى ، وفنهم الذى تخصصوا فيه معرفة الصحيح وغير الصحيح ولا عبرة بكلام من لا قدم له فى هذا العلم .

ولكن ليس لأحد من ذوى الأغراض أن يتعلق بهذه الأحاديث ، فإن المتفق عليه بين المحدثين أن ظهور المهدي من علامات الساعة الكبرى وكما أن الساعة علمها عند الله فلا يدري أحد متى تكون فكذاك ظهور المهدي لا يدري أحد متى يكون .

★ ★ ★

## المسيح الدجال

حدثني ثعلبة بن عبد العبدى من أهل البصرة أنه شهد خطبة يوما لمرة بن جندب فذكر في خطبته قال مرة بينما أنا يوما و غلام من الأنصار نرمى غرضا لنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا كانت الشمس على قدر رمحين أو ثلاثة في عين الناظر من الأفق اسودت حتى أضت كأنها تتومة (١) فقال أحدنا لصاحبه انطلق بنا إلى المسجد فوالله ليحدثن شأن هذه الشمس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمته حدثا فدفعنا إلى المسجد فإذا هو بارز فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج إلى الناس قال فتقدم وصلى بنا كأطول ما قام بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ثم ركع بنا كأطول ما ركع بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ثم سجد بنا كأطول ما سجد بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته قال ثم فعل في الركعة الثانية مثل ذلك قال فوافق تجلى الشمس جلوسه في الركعة الثانية قال ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه وشهد أن لا إله إلا الله وشهد أنه عبده ورسوله ثم قال :

يا أيها الناس إنما أنا بشر ورسول الله فأذكركم الله إن كنتم تعلمون أنى قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني حتى أبلغ رسالات ربي كما ينبغي لها أن تبلغ وإن كنتم تعلمون أنى قد بلغت رسالات ربي لما أخبرتموني .

قال فقام الناس فقالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك ثم سكتوا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما بعد فإن رجلا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم من مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض إنهم كذبوا ولكن آيات من آيات الله يفتن بها عباده لينظر من يحدث منهم توبة والله قد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم

---

(١) تتومة : نبات به سواد



لا قون فى دنياكم وآخرتكم وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبى يحيى لشيخ من الأنصار وإنه متى خرج فإنه يزعم أنه الله فمن آمن به وصدقه واتبعه فليس ينفعه صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمل سلف وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وإنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس فيتزلزلون زلزالا شديدا فيصبح فيهم عيس ابن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى إن جذم الحائط وأصل الشجر لينادى يا مؤمن هذا كافر يستتر بى فتعال اقتله قال فلن يكون ذلك حتى ترون أمورا يتفاقم شأنها فى أنفسكم تساءلون بينكم هل كان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لكم فيها ذكرا وحتى تزول جبال عن مراسيها ثم على أثر ذلك القبض وأشار بيده قال ثم شهدت خطبة أخرى قال فذكر هذا الحديث ما قدمها ولا آخرها .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

(س) ما موقف علماء الدين بالنسبة لعلامات الساعة الآن ؟

(ج) علامات الساعة المذكورة فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (النساء : ١٥٩) .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (٩٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧) .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ

أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿ (الكهف : ٩٤ - ٩٨) .

وجمهور العلماء فى عصرنا يأخذ بما صح عن النبى ﷺ فى بيان كتاب الله عز وجل . فإنه هو الذى أنزل عليه وهو أعلم بمعانيه . وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : ٤٤) وبعض العلماء يحكم ما يعرف فى العادة فيستبعد هذه الخوارق ويؤولها .

ولما كانت علامات الساعة مقدمة لفناء هذه النشأة وهدم هذا النظام وخراب العالم وهذا صريح فى كتاب الله عز وجل ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (التكوير : ١) ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ (الانفطار : ١) ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ (الواقعة : ٥) ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (إبراهيم : ٤٨) ولا خلاف بين علماء المسلمين فى زوال هذه النشأة الدنيوية قال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الزمر : ٦٨) وإن قوما بلغ بهم الزيغ أن يحملوا ما ورد فى كتاب الله عز وجل على وجوه هى دين آخر غير دين الإسلام . وهذا من الضلال البين . وحيث إن قيام الساعة هو هدم لنظام هذه النشأة كلها فمقدماتها تابعة لها ولا ضير أن يكون الأمر إذ ذاك على خلاف ما هو معروف فى العادة ولا يعتمد فى هذا إلا ما صح من الأحاديث عن المعصوم ﷺ .

وما ورد فى نزول سيدنا عيسى عليه السلام .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ (النساء : ١٥٩) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله تعالى لهذه الأمة . أخرجه مسلم .  
وأما ما يختص بياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فقد جاء في كتاب الله وفسرته السنة الصحيحة وذكر معه نزول سيدنا عيسى عليه السلام .

وقد استغل بعض دعاة الاستعمار ما ذهب إليه أفراد قليلون من العلماء بأن المسيح عليه السلام توفي ولا يرجع إلى هذه الحياة الدنيا وذكر أن هذه من العقائد ولا يقبل من العقائد إلا ما كان قطعياً . وقد ألف علماء الحديث الذين هم أعلم من هؤلاء القليلين كالحافظ الشوكاني وابن كثير وغيرهما فيما تواتر من الأحاديث في المهدي والمسيح .

على أن العقائد تنقسم قسمين: عقائد كونية وعقائد إلهية «فالعقائد الإلهية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فإن علم الله محيط بكل شيء ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سبا: ٣) في الماضي والحاضر والمستقبل وهذا النوع من العقائد يشترط فيه الدليل القطعي . وأما العقائد الكونية كصورة الأرض ، وبعد الإيمان بالمسيح عليه السلام والتصديق برسالته، كونه يرجع إلى هذه الحياة أو لا يرجع فهذا أمر كوني لا يشترط في إثباته الدليل القطعي ولا حرج على من أخذ ما ورد فيه . بل هو الحق وكذلك ما ورد من الآحاد في خوارق العادات فإنه لا حرج على من أخذ بها لأنها مندرجة تحت ما يجوز في القدرة الإلهية .

وقد أفتى أحد علماء الأزهر ضابطاً هندياً اشترك في الحرب الماضية مع الانجليز أن سيدنا عيسى عليه السلام مات ولا يعود إلى هذه الحياة . وهذا الضابط من طائفة القاديانية الموالية للمستعمرين يشيد زعيمهم بفضائل الانجليز وهم من الجواسيس على بلاد الشرق والبلاد المستعمرة يشتركون مع الطائفة البهائية في ذلك ، وهم يزعمون أن ما ورد في نزول المسيح يراد به زعيمهم الموالي

للانجليز. مع أن هذا الشيخ الذى أفتى بوفاة سيدنا عيسى وأنه لا يرجع إلى الحياة يعتقد فى غلام أحمد زعيم هذه الطائفة أنه دجال كاذب . وحين يفتى بعدم رجوع سيدنا عيسى عليه السلام فإنه مصرح بأنه لا يوجد بعد النبى ﷺ نبى ، ولا نبوة سابقة لنبوة رسول الله ﷺ ، ولا نبوة لاحقة لنبوته ﷺ .

والذين أخذوا بالأحاديث على أنها مفسرة لكتاب الله اتبعوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر : ٧) وأن قوله ﷺ بيان لكتاب الله تعالى . فمعنى خاتم النبيين : أى لا تعطى النبوة لأحد بعده ﷺ فلا يضر إن جاء بعده من تقدمت نبوته ما دام متقيدا بشرع النبى ﷺ .

وإجماع علماء المسلمين منعقد على ضلال من ادعى النبوة بعده ﷺ كمن زعم أنه أوحى إليه بشرع ينسخ شرع النبى ﷺ وإن لم يدع النبوة فإن هذه حقيقة النبوة فإنه نفى اسم النبوة وأثبت حقيقتها فهو كافر بالاجماع . وكذلك من يقول بنبوة غير تشريعية ولكنه يحمل ما جاء عن الله ورسوله على غير وجهه فهو منافق يسمى التشريع بغير اسمه . ومن ذلك من يحمل الصلاة على مطلق الدعاء والبعث على وجه من وجوه التناسخ فهو خارج عن الإسلام مرتد يسمى الأديان الوثنية باسم الإسلام والإسلام برئ منه .

وقد ورد فى خروج الدابة حديث صحيح عن أبى أمامة رفعه .

تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرّون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته ؟ فيقول اشتريته من أحد المخطمين . أخرج الإمام أحمد . قال الحافظ الهيثمى رجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبدالرحمن بن عطية وهو ثقة .

عن حذيفة بن أسيد قال : أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات . طلوع الشمس من مغربها . والدخان والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم عليه

السلام والدجال ، وثلاثة خسوف . خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف  
بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا  
وتقيل معهم حيث قالوا . رواه مسلم وأهل السنن .

وحيث إن هذه الأمور متصلة بالساعة وفيها فناء العالم . فلا عجب أن تسبقها  
الخوارق والمسلم إما أن يتقيد بما ورد عن رسول الله ﷺ وصح عنه أو لا يتقيد ولا  
يشك في ضلال من لم يتقيد بما صح عن رسول الله ﷺ وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا  
آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (الحشر : ٧) .

#### ما ورد في الدجال

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع استنصت  
الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره . وقال : ما  
بعث الله من نبي إلا أنذر أمته . أنذر نوح عليه السلام أمته والنبيون بعده وإنه  
يخرج فيكم فما خفى عليكم من شأنه . فليس يخفى عليكم إن ربكم ليس بأعور .  
وأنه أعور العين اليمنى . كأن عينه عنبة طافية . أخرجه الشيخان .

وعن حذيفة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن مع الدجال إذا خرج  
ماءً وناراً . فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء عذب . وأما الذي يرى الناس أنه ماء  
فنار تحرق . فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء بارد عذب .  
أخرجه الشيخان وأبو داود .

#### ما ورد في المهدي

وأما ما ورد في المهدي من أحاديث المهدي فقد صححها من هم أعلم الناس  
بالحديث والذين طعنوا في أسانيدنا ليست معرفة الحديث فنهم . ومنهم من اطلع  
على الأسانيد الضعيفة ولم يطلع على الأسانيد الصحيحة .

وجميع الذين ادعوا المهدي في التاريخ لا تنطبق عليهم الأحاديث الواردة . فمن  
علامات المهدي كما ورد في الأحاديث أنه لا يدعو إلى أنه المهدي ولا يدعو إلى

نفسه وأنه يبائع كارها بين الركن والمقام فى مكة . وأن الله عز وجل يصلح به بين  
الناس وأن دعوته دعوة سلمية وأن البركة والخير يفاض فى عصره على المسلمين  
جميعا وتتوحد كلمتهم وأن ذلك يكون قرب قيام الساعة . وأنه يملأ الأرض قسطا  
وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما . ولا يزال العدل ، موجودا بحمد الله تبارك وتعالى  
ولا يزال الإيمان قائما والقرآن قائما فى أقطار الأرض .

★ ★ ★

## أول سؤال يتلقاه الميت في القبر

(س) ما هو أول سؤال يتلقاه الميت في القبر؟

(ج) عن البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، ولما لم يلحد بعد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وبیده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ، ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . قال : فيصعدون بها فلا يمرون على مألأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولان : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فينفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض في جسده . فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان : ما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال :

ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعده فيقول : من أنت فوجهك الوجه الحسن يجيء بالخير؟ فيقول : أنا عمك الصالح فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي . وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها . فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (الاعراف: ٤٠) فيقول الله عز وجل : «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم تطرح روحه طرحا .» ثم قرأ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج : ٣١) فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري قال : فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . قال فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . قال : فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار . وافتحو له بابا إلى النار . فيأتيه من حرها وسمومها . ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعده فيقول : من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر . فيقول أنا عمك الخبيث . فيقول . رب لا تقم الساعة . رواه الإمام أحمد في مسنده رواه محتج بهم في الصحيح . الترغيب جاء ص ١٢٣ المسند جاء ص ٢٨٩ .



## بعث الأجساد

إننا نشاهد أن جسم الإنسان هو دائماً فى تبدل وتغير . فنراه أولاً صغيراً ، ثم يكبر شيئاً فشيئاً ، وينتقل من سمن إلى نحافة ، ومن نحافة إلى سمن ، وفى جميع هذه الأطوار والأحوال ، ذات الشخص وحقيقته واحدة لا تتبدل ولا تتغير ، فالشخص الصغير هو هو بعينه الكبير ، والنحيف هو السمين وبالعكس .

إذاً لابد أن يكون جسم الإنسان شيئين : مادة أصلية ، ومادة فرعية .

فالمادة الأصلية ، هى التى تبقى فيه من أول نشأته إلى آخر حياته ، لا تتبدل ولا تتغير ، وهى التى بها تتحقق شخصيته ، وفيها تنتقل الأمراض الوراثية ، والاستعدادات والأخلاق والصفات ، من الآباء إلى الأبناء . ولا ينافى ذلك ، ما ثبت فى علم الحياة الآن ، من التغيرات الكيماوية الحيوية التى تحصل من خلايا الأجسام الحية فإننا لا يمكننا أن نثبت باليقين ، أن جميع الذرات التى تتركب منها الخلايا الحية تتبدل وتتغير . إذ يجوز أن يكون التبدل والتغير حاصلًا لبعض الذرات دون البعض ، ولما انضم إليها من المواد الغذائية ، أى إن كل خلية فيها جزء ثابت وجزء متغير وعليه فالغالب أن بعض مادة الإنسان تكون ثابتة من أول حياته إلى آخرها . ولا يمنع ذلك من انضمام أجزاء أخرى إليها تصير ثابتة مثلها ، ولها من الخواص مالها ، وهذه الأجزاء تأتى إليها من طريق الغذاء ومجموع هذه المادة الثابتة هى ما نسميه (المادة الصلبة) .

وأما المادة الفرعية ، فهى التى تتبدل وتتغير . ولا عبرة بها فى تحقيق شخص الانسان .

فإذا مات شخص ، وانحل جسمه ، فتغذت به النباتات فالحیوانات ، حفظ الإله القدير العليم ، المادة الأصلية له . من أن تكون مادة أصلية لشخص آخر ، وإن كان

يجوز أن تدخل فى جسم الآخر ، وتصير مادة فرعية له لا يتوقف عليه تحقيق شخصه . وأما المادة الفرعية فقد تصير للثانى مادة أصلية ، بانضمامها إلى أجزائه الثابتة واكتسابها خواصاً منها إن كان الشخص فى طور النمو .

وعليه ، فالمادة الأصلية لكل شخص ، تبقى له وحده إلى يوم القيامة . وإن كانت تدخل فى غيره على أنها فرعية له . وبذلك يكون البعث الجسمانى ممكناً . لأن هذا الفرض جائز ، ولا يوجد فى العلم الطبيعى ولا العقل ما يثبت استحالة .

### (س) هل تحشر الحيوانات يوم القيامة وتحاسب؟

(ج) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . رواه مسلم والترمذى وزاد رزين ويسأل الحجر لم انكب على الحجر ولم نكأ<sup>(١)</sup> الرجل الرجل قال وكنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى أخرج البيهقى وغيره فى البعث والنشور عن أبى هريرة قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شئء فيبلغ من عدل الله أن يؤخذ للجماة من القرناء ثم يقول كونى ترابا . فذلك حين يقول الكافر ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ (النبا : ٤٠).

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (التكوير : ٥) جمعت والحشر الجمع والطيور محشورة أى مجموعة تجتمع الوحوش لا يفر بعضها من بعض مع أن بعضها غذاء لغيره ويذللها الروح لهول الساعة فلا تنفر من الانسان وقد كانت تنفر منه هذا عند الساعة وهو غير الحشر الذى يجمع الله فيه الحيوانات ليوم القيامة ليقص لبعضها من بعض كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٨) وعن ابن عباس رضى الله عنهما يحشر كل شئء حتى الذباب وقال تحشر الوحوش غداً أى تجتمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماة من القرناء . والقصاص بين

(١) نكأ القرحة - نكأ : قشرها قبل أن تبرأ

البهائم لا يقتضى التكليف وقد جاء عنه ﷺ مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، فيضرب الولد وهو غير مكلف وكذلك اجراء القصاص بين الصبيان وتأديبهم وقد رفع عنهم القلم أ. هـ .

### (س) ما حكم الإيمان باليوم الآخر والبعث والنفخ في الصور وعذاب القبر؟

(ج) كان المشركون يسأل بعضهم بعضا عن أمره ﷺ ، كيف يبعث الله بشرا ، وكيف يسفه أحلام الكفار فى عبادة غير الله وحده وكيف يبعث الله العباد بأجسادهم وقد صارت عظاما نخرة وترابا ومزقت كل ممزق وغير ذلك . ورسالته ﷺ شاملة لذلك كله .

وكان أمر البعث بعيدا عن عقولهم يرونه مستحيلا ، ولما كان الإيمان بالتكليف والجزاء كما جاء به ﷺ يتضمن الإيمان بالرسالة والتوحيد ، دلهم سبحانه فى هذه السورة الكريمة على ما يوجب الإيمان باليوم الآخر يوم الجزاء .

وعم أصلها عن ما ادغمت الميم والنون وحذفت الألف ومن قرأ عمه بالهاء الساكنة فقد أجرى الوصل مجرى الوقف فإنه يوقف على عم بالهاء (عمه)

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (النبا: ١) عن أى أمر أو شأن يتساءلون : يسأل بعضهم بعضا  
﴿عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ﴾ (النبا: ٢) يتساءلون عن النبأ العظيم .

والنبا : الخبر الهام وزاده خطرا وصفه بالعظيم وسؤاله تعالى وجوابه هنا كقوله تعالى : ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر : ١٦) .

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (النبا: ٣) بين قاطع بالنفى وبين شاك وبين مجوز .

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (النبا : ٤-٥) العلم اليقيني الذى ينفى كل

ريب . كلا للزجر والردع لما يزعم من أباطيل . أى ارتدعوا عن هذا التساؤل وأيقنوا أن قول رسولى حق ، والتكرار للتأكيد ويصح أن يفهم منه أن الغطاء سينكشف لهم عند الموت ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢) قوى نافذ فقد عرف الحقيقة بيقين .

ومن ذلك العلم ، عذاب البرزخ ثم يزدادون علماً يوم يقوم الناس لرب العالمين. قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (غافر : ٤٦) فتكون ثم للترتيب والتراخي على وجهها .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ (النبا : ١٧) وقد أرشدنا الله عز وجل لليقظة بعد النوم وهى صورة من صور الموت والبعث ، يراها المرء فى نفسه كل يوم .

ميقاتا - عين له زمن محدد يعلمه الله يجتمع فيه الخلائق الأولون والآخرين لا يتخلف عنه أحد - ميعادا - لاجتماع الأجساد والأرواح من الأولين والآخرين فى دار يجزى فيها كل امرؤ بما كسبت يداه - الفصل - يفرق بين أهل الجنة وأهل النار وتفصل فيه الخصومات فيقتص للمظلوم من ظالمه .

﴿ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (النبا : ١٨) يدعوهم ربهم للحساب أفواجا جماعات متميزة بالنور والظلمة والنور يتفاوت والظلمة تتفاوت قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾ (الاسراء : ٧١) أما اتباع أئمة الهدى فيسعى نورهم بين أيديهم وعن أيمنهم ، وأما اتباع أئمة الضلالة قال تعالى فى فرعون ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ (هود : ٩٨) والعياذ بالله .

وفى الحديث عنه ﷺ «يقوم الناس لرب العالمين أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء» قال الحافظ الهيثمى رواه الطبرانى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح . غير أبى خالد الدالانى وهو ثقة .

وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ «إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ» .

### (س) ما دليل وقوع الشفاعة يوم القيامة؟

(ج) قال تعالى : ﴿ فَمَا تَفْعُلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (المدثر : ٤٨) لكفرهم وهو دليل على أن من مات على التوحيد تصح له الشفاعة لأنها فرع الرحمة الإلهية ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء : ٤٨) ومن

سوى بين المشرك وغير المشرك فى عدم المغفرة فقد صادم الخبر الإلهى وما عرف كتاب الله .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كل نبى سأل سؤالا أو قال لكل نبى دعوة قد دعاها لأمته وإنى اختبأت دعوتى شفاعتى لأمتى» . رواه البخارى ومسلم .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم قال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر لملئ منه وأحلت لى الغنائم أكلها وكان من قبلى يعظمون أكلها وكانوا يحرقونها وجعلت لى الأرض مساجد طهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلى يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون فى كنائسهم وبيعهم والخامسة هى ما هى قيل لى سل فإن كل نبى قد سأل فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم لمن شهد أن لا إله إلا الله . رواه أحمد بإسناد صحيح .

وحديث الصحيحين فى اختصاصه ﷺ بالمقام المحمود وذهاب الأُمم إلى الأنبياء واحدا واحدا ثم رجوعهم إليه ﷺ يسجد بين يدى الله فيقول الله عز وجل: «ارفع رأسك واشفع تشفع» وسل تعط نص فى الشفاعة .

أخرج الحاكم عن أبى الزهراء قال ذكر الدجال عن ابن مسعود فقال «تفترقون أيها الناس بخروجه ثلاث فرق ثم تلا ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (المدثر: ٤٢) وقال ألا ترون فى هؤلاء من خير إلا يطرق فيها فإذا أراد الله ألا يخرج منها أحد غير وجوههم وألوانهم فيمر الرجل من المؤمنين فيقول ياربى من عرف رجلا فليخرجه فينظر فلا يعرف أحدا فيناديه الرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرف فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيقول اخسئوا فيها ولا تكلمون فإذا قال ذلك أطبقت عليهم جهنم فلا يخرج بعد ذلك أحدا أبدا . هـ وهو صحيح على شرط الشيخين .

فالشفاعة منه وإليه ومنكر الشفاعة ضال سفيه فإنها جائزة عقلا ونقلا ،  
فهى مظهر رحمته والله يختص برحمته من يشاء ، وقد ادخر تسعا وتسعين رحمة  
لعباده المؤمنين فى الآخرة وأنزل رحمة واحدة يتراحم بها الخلق فى الدنيا وقد  
وسعتهم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم  
وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ،  
فكان ذلك ثقلاً على أصحابه رضى الله عنهم . فقالوا : كيف نفعل أو كيف نقول  
قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله ربنا وربما قال على الله توكلنا» أخرجه  
الترمذى .

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو : قال أعرابى يا رسول الله ما  
الصور قال «قرن ينفخ فيه» وأخرج أبو داود والترمذى نحوه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما بين النفختين  
أربعون قيل أربعون يوماً قال أبو هريرة : أبيت ، قيل أربعون شهراً قال : أبيت . قيل  
أربعون سنة قال : أبيت . ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، وليس  
شئ من الإنسان إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم  
القيامة . أخرجه البخارى ومسلم والسنن إلا الترمذى .

(عجب الذنب) هو العظم المستدير الذى يكون فى أصل العجز وأصل الذنب

وعن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إنما نسمة  
المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه . أخرجه  
مالك والنسائى (النسمة) الروح والنفس (ويعلق) بسكون العين أى يأكل .

وعن أبى رزین العقيلي ، قال : قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما  
آية ذلك ؟ قال : أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا ؟ قلت نعم .  
قال فتلك آية الله فى خلقه كذلك يحيى الله الموتى . أخرجه رزین .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (المدثر: ٨) قال : هو الصور . والراجفة النخفة الأولى . والرادفة الثانية . أخرجه البخارى ترجمة .

وعن أبى سعيد رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ صاحب السور وقال : عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام . أخرجه رزين .

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال يأكل التراب كل الانسان إلا عجب ذنبه قيل وما مثله يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه تتبتون . رواه أحمد وإسناده حسن . وعن ابن عمر عن النبى ﷺ قال ما هلك قوم لوط إلا فى الأذان ولا تقوم الساعة إلا فى الأذان ، قال الطبرانى معناه عندى والله أعلم فى وقت أذان الفجر وهو وقت الاستغفار والدعاء . رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن على وهو ثقة .

وإذا كان الحكيم سبحانه جعل أسبابا ربطها بمسبباتها وهو الفاعل فى الكل عز شأنه فالنفخ والصور والملك أسباب لقيام عبادته للفصل بينهم وهى مظاهر ارادته عز وجل ولو أراد قيام الخلق بغير سبب لكان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . يأمر الله ببعث الموتى من قبورها .

### (س) ما معنى الحساب اليسير يوم القيامة ؟

(ج) وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «من حوسب يوم القيامة عذب» قالت : فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله ﷻ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (الانشقاق : ٧-٨) فقال «ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب» أخرجه الشيخان .

واخرج الإمام أحمد وصححه عنها رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : «اللهم حاسبنى حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت يا

رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال : أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، إن من نوقش الحساب هلك .

وأخرج البزار والحاكم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته ، تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك» .

حتى عصاة المؤمنين يلحقون بوجه ما بمن يحاسب حسابا يسيرا فإن حسابهم - وإن دخل بعضهم النار - حساب يسير بالنسبة لحساب الكفار ومآلهم إلى الجنة بعد أن يظهروا في نار عصاة الموحدين ، وليست كنار الكافرين .

### (س) هل عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة للروح أم للجسد؟

(ج) ولما كان البعث الذي جاء به القرآن هو بعث شامل للروح والجسد بوجه لا تحيله العقول ، فلا يلتفت إلى استبعاد بعض من لا يفهم البعث الجسماني والعذاب الذي يجانسه ولقد استبعد المشركون ذلك فرد عليهم الله عز وجل في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الاسراء : ٥٠ - ٥١) .

فعذاب النار للجسم والروح معا ، ونعيم الجنة للجسم والروح معا ، وإن كان الجسم يتغير بحسب تلك النشأة بما لا عهد لنا به .

ثم ذكر حال أهل السعادة فقال عز شأنه :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ \* لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ \* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ \* لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافِيَةٌ ﴾

(الفاشية: ٨-٩)

### وقارن بين أهل الشقاء

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ \* عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ \*

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾ (الفاشية : ٢-٤)

### وقارن بين أهل السعادة

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ \* لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ \*

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافِيَةٌ ﴾



﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ \* وَأَكْوَابٌ ﴾ ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ \* لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا  
مَوْضُوعَةٌ \* وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ \* وَزَوَّاجِي  
مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية : ١٦-١٣) جُوع ﴿ (الغاشية : ٥-٧)

وأضمرت الواو فى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ لكونها معلومة وذلك أدهى لظهور  
المقارنة .

وجوه المؤمنين فى ذلك اليوم - لأنهم قاموا بحقوق الله عز وجل ، وسعوا  
لمرضاته - متمتعة بما أنعم الله عليها من نور رضاه والمحبوبة لديه والكرامة  
عنده، مع الاستمتاع باللذائذ الحسية التى لا تكيف ، فظهرت آثار تلك النعم على  
وجوههم . كما قال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (المطففين : ٢٤) .

وقد كان سعيها فى الدنيا مؤسساً على أصل اليقين العلمى ، فإنها آمنت  
وأيقنت بالغيب - اليقين الذى انقطعت معه عروق الشك - واليوم قد صار الغيب  
شهادة، وصار علم اليقين عين يقين وحق يقين . وكانت مطمئنة إلى وعد الله لعباده  
الصالحين مؤمنة بالنعيم وما فيه، واليوم شهدت النعيم، وعاشت فى النعيم فحمدت  
ما وفقها الله إليه بفضلله . والله ذو الفضل العظيم .

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ (الغاشية : ١٠) فهم أعلى من أن يصل إليهم شئ من الأهوال .  
عالية : العلو الحسى والعلو المعنوى . ففيها ما تشتهى الأرواح الكاملة التى  
ارتفعت عنها الحجب لأجسادها النورانية التى ناسبت ذلك العالم بتجردها عن كل  
ظلال الكثافة وما تشتهيه لنفسها من حيث تجردها الروحى حتى عن أجسادها  
النورانية فى عالم السر الأقدس ، وغيبتها حتى عن نفسها فى أنوار تجلى الذات  
العلية . وحقا ما قاله الملائ الأعلى : سبحانك ما عرفناك حق معرفتك .

﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ (الغاشية : ١١) فكل كلام فيها حق وكمال .

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ (الغاشية : ١٢) المراد الجنس ، فهى عيون جارية ، لا تحتاج  
لحاجز «مجرى» والماء الجارى أسر للناظر وأبهج .

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ (الغاشية : ١٣) مرفوعة : عظيمة العلو .

ولو كانوا فى رياض الجنة بلا سرر لكان ذلك النعيم العظيم . ولكن سيدهم أراد لهم المزيد من التكريم .

﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مُبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية : ١٤-١٦).

والكوب آنية الشرب التى لا عروة لها . موضوعة فوق سررهم . فإن أرادوا طعاما أو شرابا وجدوه فيها بلا عناء فى طلبها ولا نزول عن السرر .

والنمارق : الوسائد اللينة يتكأ عليها والزرايبى : البسط الفاخرة التى لها خمل ، واحدها زربية . منتشرة فى كل موضع لمن شاء أن يجلس أو يضطجع .

وعن كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ «الأهل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلأأ ، وريحانة تهتز . وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية» قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرين لها قال «قولوا إن شاء الله» فقال القوم إن شاء الله . رواه ابن ماجه والبزار وابن حبان فى صحيحه والبيهقى كلهم من رواية محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى عنه ، قال الحافظ المنذرى محمد بن مهاجر وهو الأنصارى ثقة احتج به مسلم وغيره . وقال الحافظ فى التقريب الضحاك المعافرى مقبول من السادسة ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وسليمان بن موسى اختلف فيه والاكثر على توثيقه وعنه الأوزاعى وجماعة آخرهم سعيد بن عبدالعزيز ورواية مثله عنه تكون بعد تخليطه وتوفى سعيد سنة ١٦٧ وتوفى الضحاك سنة ١٢٩ فهو سابق عليه فالسند حسن .

(س) ما معنى الخلود فى النار؟ وهل هناك من يخرج منها؟

(ج) ﴿ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا ﴾ (النبا : ٢٣) أحقاب الآخرة وهى لا تنقطع والحقب بضمّتين الدهر والأحقاب الدهور والحقبة بكسر الحاء السنة والجمع حقب

بكسر الحاء والحقب بالضم وسكون القاف ثمانون سنة وفيه روايات لابثنين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها وذكر الأحقاب لأن الحقب أبعد شيء عندهم وقال قطرب هو الدهر الطويل غير المحدود وأن هذا لا يقتضى تحديد لبث الكفار في النار لأن الآيات في مواضع القرآن مصرحة بأن بقاءهم فيها أبدى وأن عذابهم عذاب مقيم . وأن ما روى عنه عليه السلام «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا ، قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون» .

﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ (النبا: ٢٣-٢٥) أحقابا دهورًا متطاولة ، مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب من غير نهاية وكثيرا ما يستعمل جمع القلة في الكثرة . ولا يدل على خروج الكفار من النار لقوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧) .

ولا يترك الصريح ويأخذ بوجه محتمل من وجوه إلا سقيم الفهم أو مريض القلب وهذا من ألفاظ التأييد التي يستعملها العرب في معنى الخلود والبقاء بغير نهاية كقولهم سأشكرك ما سارت الركبان وما أطت الإبل وما أقام ثبير .

ومن ألفاظ التأييد قوله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٧) ويستعملها العرب في معنى عدم النهاية . وقد قال تعالى في الكفار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (التوبة: ٢٢) ومعناها واضح ، فلا بد من فهم أحقابا بما يتفق معها

ولا يصح أن يكون فيمن قال الله تعالى فيهم ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧) وإنما يصح فيمن جاء عن المصطفى عليه السلام أنهم يخرجون منها وهم من مات على الإيمان من العصاة فيما دون الشرك بالله هـ .

وما أخرجه البزار عن سليمان بن مسلم أبو العلاء قال سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي عليه السلام «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا» قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون . ثم قال سليمان بن مسلم بصري مشهور هـ .

ولعلها كل يوم كألف سنة مما تعدون . وهذا يصح فيمن جاء الشرع بجواز خروجهم من النار .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذا الحديث ولم يبين مرتبته وليس سنده صحيحاً قال الحافظ الهيثمي رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جداً . فلا يصح الاحتجاج به .

ولا يعقل أن يكون هذا الحديث فيمن ذكر الله عز وجل فيهم أنهم لا يخرجون من النار . وكذلك ما ذكر عن بعض السلف من خروج أهل النار من النار ، فيحمل قطعاً على عصاة المؤمنين .

وكذلك ما يؤثر من أن الجرجير ينبت في قعر جهنم ، وأن أبوابها تصفق ليس فيها أحد . فكل هذا يحمل على الطبقة الخاصة بعصاة المؤمنين ، فانهم الذين ورد النص بأنهم لا بد أن يخرجوا منها . ولا يصرف كتاب الله عن ظاهر مدلوله ليوافق كلاماً غير معصوم ، وإنما يحمل كلامهم على كتاب الله .

وقد حدث قول الخوارج بخلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار أبداً ، ورد عليهم أصحاب رسول الله ﷺ بقول الرسول ﷺ وكذلك التابعون ، ولم يقل أحد منهم بخروج الكفار من النار ، ولا بانتهاء عذابهم .

والله عز وجل يقول ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (النبا : ٣٠) .

ولا نعرف إفلاسا في التفكير ، وعقما في الاستدلال ، أعظم من أن يستدل إنسان في أصل من الأصول ، بآثار لا تصح وتعارض القطعي الصريح من الكتاب والسنة ، ومثلها من الصحيح لا ينهض حجة عندهم إذا عارضه مثله من الآثار في الفروع .

فكيف إذا عارضت الكتاب والسنة .

وعن يزيد بن صهيب الفقير . قال : كنت قد شغفني رأى من رأى الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوى عدد ، نريد أن نحج ثم نخرج على الناس ، فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث الناس ، وإذا هو قد ذكر

الجهنميين ، فقلت : يا صاحب رسول الله ، ما هذا الذى تحدثوننا ؟ . والله تعالى يقول ﴿ إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ (آل عمران : ١٩٢) ، و ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (السجدة : ٢٠٠) فما هذا الذى تقول ؟ فقال : أتقرأ القرآن ؟ . قلت : نعم ، قال : فاقرأ ما قبله ، إنه لفى الكفار ثم قال : فهل سمعت بمقام محمد ﷺ . الذى يبعثه الله تعالى فيه ؟ قلت : نعم . قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذى يخرج الله تعالى به من يخرج من النار ، ثم وصف وضع الصراط ومر الناس عليه . قال قلنا : أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا . فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد . أخرجه مسلم (شفغنى) أى دخل شغاف قلبى وهو غلافه (الجهنميون) من يخرج من النار من المؤمنين .

وما جاء عن السلف فى معنى الحقب ليس فيه حديث صحيح مرفوع وكلامهم عن معنى الحقب من حيث ما يعرف فى اللغة وأما المقصود من الآية فلم يصح عن أحد منهم أن عذاب الكفار فى النار عذاب غير مقيم والله تعالى يقول عذاب مقيم . ولكل لغة أسلوب ووجه فى التعبير معروفة عند أهلها . وقد قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان : ٢٧) .

ومن المقطوع به أنه إذا مد البحر ثمانية أبحر أو أكثر قلن تنفذ كلمات الله . ولكن لكل لغة أسلوباً فى التعبير ووجوهاً معروفة عند العلماء باللغة والعرب كانوا يعبرون بهذه الصورة عما لا ينتهى ومثل ذلك مثل ألفاظ التأييد لأشكرنك ما غرد طير ما سارت الركبان ويريدون بذلك إلى غير نهاية .

وقد أخرج الحاكم عن ابن مسعود ، عند قوله تعالى ﴿ لَا يَتَّبِعُ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ (النبا : ٢٣) الحقب ثمانون سنة ، ولكنه لم يقل بانتهاء هذه الأحقاب ، وإنما يذكر المدلول اللغوى المتعارف عند العرب فيما يعهدون من حقب الدنيا ، وليس فى الآخرة ليل ولا نهار وإنما يساق للكثرة كقوله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ٨٠) وليس المراد الحد وإنما المعنى

مهما استغفرت لهم فلن يغفر الله لهم ووجه آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضا ، فأذن لى بنفسين ، نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير» أخرجه الشيخان والترمذى ولايتنافى ذلك مع النظام الكونى فيصح وقوع الأمرين معا وهذا دليل على أن النار فيها زمهرير فبقوله تعالى ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ (النبا: ٢٣-٢٥) يمكن فهمها على أنهم يعذبون بعد هذه الأحقاب فى لون آخر من العذاب ، فإذا صح أن من العذاب الزمهرير أمكن حمل تحديد العذاب للأحقاب على أن ذلك خاص بالحميم والفساق . فلا يستدل بالآية على تحديد جميع أنواع العذاب والمحتمل لا يحكم على الصريح المحكم.

ووجه آخر، أحقابا جمع حقب، حقب الرجل إذا أخطأ الرزق ، وحقب العام إذا قل خيريه ومطره فهو حقب كمسنت ومسنتين أصابتهم سنة مجدبة ، فمعنى أحقابا أى مجدبين فبقوله تعالى : ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبا : ٢٣) من هذا المهييع وليس فى القرآن الكريم تضارب فبقوله تعالى بعد ذلك ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (النبا : ٢٠) ومعنى لن أنه فيما يأتى من الزمان لا يزيدهم إلا عذابا وذلك يتنافى مع زوال العذاب جملة . وما ورد فى نبات الجرجير فى قعرها خاص بالطبقة التى يخرج منها الموحدون ولا أمنية لأهل النار الخالدين فيها إلا زوال العذاب وإن صاروا إلى الفناء .

وأى أهمية لبقاء النار أو فنائها إذا تخلصوا من عذابها بالموت وقد جاء النص القاطع أنهم لن يموتوا ، نعوذ بالله من الهوى الذى يؤدى إلى التمثل الواضح بطلانه قال تعالى : ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾ (الزخرف: ٧٧) وقول الله عز وجل هو الفصل .

ولا يصح عن رسول الله ﷺ فى خروج الكفار من النار شىء ولا فى أنهم يموتون والله تبارك وتعالى يقول ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (طه : ٧٤) وقال تعالى ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر : ٢٦) فكيف بزواله جملة .

فالقائل بخروج أحد من الكفار من النار خارج على الكتاب والسنة ، والقائل بأنهم يموتون خارج على الكتاب والسنة والقائل بأن عذاب النار يزول عنهم خارج على الكتاب والسنة .

(س) كيف ستكون الحياة في الجنة . هل فيها الأمر والنهي كما هو في الدنيا ؟

(ج) الأمر والنهي والتكاليف قاصرة على هذه الحياة الدنيا فإنها دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، ويبدأ هذا الجزاء بالموت ، يقول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِمِينَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ (النحل : ٢٨) ، وفى آية أخرى : ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ (الانفال : ٥٠) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ (فصلت : ٣٠-٣٢) .

وحديث : الجنابة - إن كانت صالحة قالت قدموني ، وإن كانت طالحة تقول : يا ويلها يذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء إلا الثقلين .

والقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار .

وعذاب القبر ونعيمه ثابت فى صحاح الأحاديث ، وفى كتاب الله ، ثم البعث والحساب ، ثم المرور على الصراط .

قال تعالى : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى : ٧) .

فليس فى الجنة عمل إلا التسبيح والتحميد .

قال تعالى : ﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس : ١٠) .

وحياتهم كلها نعيم وتسبيحهم وتحميدهم لله عز وجل تلذذاً بترزيهه وحمداً له على ما منحهم من نعيم مقيم .

## العذاب فى الآخرة للأرواح أم للأجساد

(س) قال الاستاذ/ عبدالله محمد عبدالله من نيالا بالسودان ذكرتم فضيلتكم أن الأرواح كلها من الله والجسد يمثل الدار بالنسبة للروح نرجو من فضيلتكم بيان هل العذاب واقع على الروح فقط ، أم على الجسد . وإذا وقع على الروح فكيف وهي من الله؟

(ج) أنا ما قلت (من الله) . أولاً - الروح مخلوقة ، خلقها الله تبارك وتعالى . والذات العلية منزهة عن التجزئة . منزهة عن الكيف . فهي من الله أى بخلق الله تبارك وتعالى لها قال لها : كن فكانت . كما خلق آدم من تراب ، فكذلك الروح خلقها الله تبارك وتعالى بعد أن كانت معدومة . ومن أعتقد أن الروح جزء من الله فهو كافر مرتد ليس من الاسلام فى شىء . وقوم يقولون إنه تبارك وتعالى قبض قبضة من نوره ، فقال : كونى محمداً . فهذا ضلال بين ، قبض قبضة من نوره ، أى قبض قبضة من عنده خلقها . فمحمد مخلوق ، والعالم كله مخلوق . وليس هناك أزل إلا واحد أحد هو الله تبارك وتعالى ، له الكمال الذاتى . ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وأما كون العذاب للجسد أو الروح ، فإن العذاب فى الدنيا يقع على الجسد ويسرى للروح . وأما فى الآخرة ؛ فإنه يقع على رداء روحى نورانى الروح ويسرى إلى الجسد مهما تفرق الجسد فى العالم . وفى الآخرة يقع العذاب للروح ويسرى إلى الجسد بعكس الدنيا . وهذا هو الفرق بين الأمرين .

### الميزان والعمل

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف : ٨-٩) .



قال حذيفة وعبدالله بن مسعود وغيرهما من الصحابة : يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار ، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف ، وهذه الموازنة تكون بعد القصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته فإذا بقى شيء منها وزن هو وسيئاته .

ولكن إذا وزنت السيئات بالحسنات فرجحت الحسنات هل يلغى المرجوح جملة ويصير الأثر للراجح فيثاب على حسناته كلها أو يسقط من الحسنات ما قبلها من السيئات المرجوحة ويبقى التأثير للرجحان فيثاب عليه وحده فيه قولان هذا عند من يقول بالموازنة والحكمة ، وأما من ينفي ذلك فلا عبرة عنده بهذا وإنما هو موكل إلى محض المشيئة وعلى القول الأول فيذهب أثر السيئات جملة بالحسنات الراجعة وعلى القول الثانى يكون تأثيرها فى نقصان ثوابه لا فى حصول العقاب له . ويترجح هذا القول الثانى بأن السيئات لو لم تحبط ما قبلها من الحسنات وكان العمل والتأثير للحسنات كلها ، لم يكن فرق بين وجودها وعدمها ولكان لا فرق بين المحسن الذى محض عمله حسنات وبين من خلط عملا صالحا وآخر سيئا .

وقد يجاب عن هذا بأنها أثرت فى نقصان ثوابه ولا بد فإنه لو اشتغل فى زمن يقاعها بالحسنات لكان أرفع لدرجته وأعظم لثوابه ، وإذا كان كذلك فقد ترجح القول الأول بأن الحسنات لما غلبت السيئات ضعف تأثيرها المغلوب المرجوح وصار الحكم للغالب دونه لاستهلاكه فى جنبه كما يستهلك يسير النجاسة فى الماء الكثير والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث واللّه أعلم . وقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فتقابل أثراهما فتقاوما فمنعتهم حسناتهم المساوية من دخول النار وسيئاتهم المساوية من دخول الجنة فهؤلاء هم أهل الأعراف ، لم يفضل لأحدهم حسنة يستحق بها الرحمة من ربه ولم يفضل عليه سيئة يستحق بها العذاب ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى أهل هذه الطبقة فى سورة الأعراف بعد أن ذكر دخول أهل النار وتلاعنهم فيها ومخاطبة أتباعهم لرؤسائهم وردهم عليهم ثم مناداة أهل الجنة أهل النار .

قال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الاعراف : ٤٦ - ٤٧).

فقوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أى بين أهل الجنة والنار حجاب قيل هو السور الذى يضرب بينهم له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب باطنه الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة وظاهره الذى يلى الكفار من جهتهم العذاب . والأعراف جمع عرف وهو المكان المرتفع وهو سور عال بين الجنة والنار عليه أهل الأعراف . قال حذيفة وعبدالله بن عباس هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضى الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته .

قال عبدالله بن المبارك أخبرنا أبو بكر الهذلي قال : كان سعيد بن جبير يحدث عن ابن مسعود قال «يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله تعالى ﴿ فَمِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الاعراف : ٨) .

★ ★ ★

## وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى

(س) سئل سيدنا العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني رضي الله عنه ،  
عن معني قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم : ٣٩) ؟  
(ج) فأجاب رضى الله عنه :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحب قوما  
ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب رواه الشيخان . وروى  
أحمد عن جابر «المرء مع من أحب» . وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : يا  
رسول الله : الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم . قال : أنت يا أبا ذر مع  
من أحببت . قال : فإنى أحب الله ورسوله ، قال : فإنك مع من أحببت . قال :  
فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله ﷺ رواه أبو داود .

وقال ﷺ : «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات  
على فراشه» رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن  
سهل بن حنيف ومعاذ رضى الله عنهما .

وليس فى هذا أى مخالفة لقوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا  
سَعَى﴾ (النجم: ٣٩) وأن من زعم أن معنى الآية : أن المرء لا ينتفع إلا بسعيه ، فهو  
مخطئ فى فهم الآية الشريفة .

وفرق بين أن تدعى الملكية فيما ليس لك ، وبين أن تطلب الانتفاع بما ليس  
لك مع شهود الفضل لصاحبه ، واعترافك أنه ليس لك . فإن هذا الأخير ثابت ،  
وهو مثل انتفاعك بما لصديقك أو قريبك ، أو داره مع اعترافك أنها له لا لك .

وقال الشيخ ابن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق  
الإجماع ، وذلك باطل من وجوه كثيرة .

- (أحدها) : أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير .
- (ثانيها وثالثها) : أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف فى الحساب ، ثم لأهل الجنة فى دخولها ، ثم لأهل الكبائر فى الخروج من النار ، وهذا انتفاع بسعى الغير .
- (رابعها) : أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الأرض وذلك منفعة بعمل الغير .
- (خامسها) : أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .
- (سادسها) : أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم ، وذلك انتفاع بعمل الغير .
- (سابعها) : قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ (الكهف : ٨٢) فانتفعا بصلاح أبيهما ، وليس من سعيهما .
- (ثامنها) : أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، وبالعتق ، بنص السنة والإجماع ، وهو من عمل الغير .
- (تاسعها) : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه . بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير .
- (عاشرها) : أن الحج المندور أو الصوم يسقط بعمل غيره . بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير .
- (حادى عشرها) : المدين الذى امتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، انتفع بصلاة النبي ﷺ ، وبرئت ذمته بقضاء دينه وهو من عمل غيره .
- (ثانى عشرها) : أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده : ألا رجل يتصدق فيصلى معه : فقد حصل فضل الجماعة بفعل الغير .
- (ثالث عشرها) : أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

(رابع عشرها) : أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

(خامس عشرها) : أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

(سادس عشرها) : أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات ، فقد انتفع بعمل غيره .

(سابع عشرها) : الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه ، وهو عمل غيره

(ثامن عشرها) : أن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع البعض بالبعض .

(تاسع عشرها) : أنه الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (الانفال : ٢٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ ﴾ (الفتح: ٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة: ٢٥١) فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير .

(عشرونها) : أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل وينتفع بذلك من يخرج عنه ، ولا سعى له .

(الحادى والعشرون) : أن الزكاة تجب في مال الصبى والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعى له .

ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمل به ما لا يكاد يحصى فكيف تؤول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

وقال ابن القيم ، في كتاب الروح ، بعد أن ذكر وجوها في الآية : وإن طائفة قالت: إن العبد بإيمانه كان سببا في انتفاعه بسعيه وسعى إخوانه المؤمنين له . ولو لم يكن مؤمنا لما انتفع بذلك ، وإيمانه من سعيه . وقال : وهذه طريقة لطيفة حسنة

جدا . قال : وقالت طائفة أخرى : القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره ، وإنما نفى ملكه لغير سعيه ، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى . فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه ، وأما سعى غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره ، وإن شاء أن يبقيه لنفسه . وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى . قال : وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ، ويرجحها .

ثم قال : وأما الاستدلال بقوله ﷺ «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، فاستدلال ساقط . فإنه ﷺ لم يقل انقطع انتفاعه ، وإنما أخبر عن انقطاع عمله هو ، وأما عمل غيره فهو لعامله ، فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو ، فالمنقطع شيء ، والواصل إليه شيء آخر .

وكذلك الحديث الآخر وهو قوله : إن مما يلحق الميت من حسناته وعمله... إلخ الحديث . فلا ينفي أن يلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته .

وقد نقل في تفسير ابن عطية قوله : والتحرير عندي ، أن ملاك المعنى في اللام من قوله : للإنسان . فإذا حققت الشيء الذي حق للإنسان أن يقول : لى كذا . لم يجز إلى سعيه ، وما زاد من رحمة لشفاعته أو رعاية أب صالح أو ابن صالح ، أو تضعيف حسنات ونحو ذلك ، فليس هو للإنسان ، ولا يصح أن يقول لى كذا إلا على تجوز وإلحاق لما هو له حقيقة . وسأل عبد الله بن طاهر وإلى خراسان ، الحسين ابن الفضل عن هذه الآية من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (البقرة : ٢٦١) فقال : ليس له بالعدل إلا ما سعى ، وله بفضل الله ما شاء الله ، وهذا ذهاب منه إلى قول من قال : لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعى غيره له . وإنما نفى ملكه لسعى غيره ، لأن قائل ذلك ، يرى أن اللام في الإنسان : للملك ، وهو أخص من مجرد انتفاع الإنسان بما لغيره ، وهو المراد هنا . فمن تصدق عن غيره مثلاً بمال لا يصير المال مقصور نفعه على من تصدق عنه بحيث ينتفى ثوابه بالكلية عن المتصدق ، وبين الأمرين فرق . هـ كلام ابن القيم .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشاما ابنه نحر عنه خمسين وأن عمرا سأل النبي ﷺ فقال : أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك . وهذا نص في موضوعنا .

فالمؤمن بإيمانه تسبب في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين له ، ولولا إيمانه لما نفعه ذلك ، وإيمانه من سعيه وعليه ترتب انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين ، وعلى ذلك توجه ما ورد مما هو قطعى في انتفاع المؤمن بعمل غيره من المؤمنين ، وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الطور : ٢١) أى ما نقصناهم من عملهم . فأبناء المؤمنين الذين ماتوا دون بلوغ الحلم يرفعون إلى درجات آبائهم بغير عمل لتقر أعين آبائهم بهم فقد انتفعوا بعمل غيرهم .

وأخرج البخارى ومسلم والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى رجل النبي ﷺ فقال : إن أختى نذرت أن تحج ، وإنها ماتت ، فقال النبي ﷺ : لو كان عليها دين أكنت قاضيه ؟ قال : نعم . قال : فاقض دين الله فهو أحق بالقضاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمه ، قال : ومن شبرمه ؟ قال : أخ لى أو قريب لى ، قال : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا قال : فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمه . رواه أبو داود وغيره ، وهو حديث صحيح .

وفى الحج الطواف والصلاة والسعى ، وقراءة القرآن والصدقة وأنواع العبادات البدنية والمالية .

وقال ﷺ : من مات وعليه صيام صام عنه وليه ، وهو فى صحيح مسلم .

وقال الشيخ ابن القيم أيضا فى كتاب الروح ص ١٣ الطبعة الثانية بحيدر آباد ما نصه :

وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن . قال عبد الحق ، يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة . وكان ممن رأى ذلك على بن عبد الرحمن . وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أى أثر ، ثم رجع عن ذلك . هـ .

وقال الخلال فى كتاب الجامع : القراءة عند القبور :

أخبرنا العباس بن محمد الدورى ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا مبشر الحلبى ، حدثنى عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال قال أبى إذا أنامت فضعنى فى اللحد وقل بسم الله وعلى سنة رسول الله ، وشن على التراب شناً ، واقرأ عند رأسى بفاتحة البقرة وخاتمتها ، فإنى سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك ، قال عباس الدورى سألت أحمد بن حنبل قلت تحفظ فى القراءة عند القبر شيئاً ؟ فقال لا . وسألت يحيى بن معين فحدثنى بهذا الحديث .

قال الخلال وأخبرنى الحسن بن أحمد الوراق ، حدثنى على بن موسى الحداد - وكان صدوقاً - قال كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري فى جنازة ، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر ، فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله ما تقول فى مبشر الحلبى؟ قال : ثقة ، قال : كتبت عنه شيئاً؟ قال : نعم . قال : فأخبرنى مبشر عن عبد الرحمن بن اللجلاج عن أبيه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك ، فقال له أحمد فارجع وقل للرجل يقرأ .

وقال الحسن بن الصباح الزعفرانى : سألت الشافعى عن القراءة عند القبر ، فقال لا بأس بها .

وذكر الخلال عن الشعبى ، قال : كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرأون عنده القرآن . أ . هـ .



فرجاؤنا فى محض الفضل الإلهى أن يرزقنا من المحبة الكاملة لأصحابه ﷺ ما يلحقنا بهم بحبهم وإن لم نعمل بمثل عملهم ، والصحابة تتضاعف لهم الأعمال من غير ريب ، ويصح أن يلحق بهم أحبابهم كما ثبت فى الحديث ، ومن زعم أن هذا مخالف قوله تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم : ٢٩) فخير له أن يبحث عمن يفهمه الآية .

إنما هو من رجاء انتفاع المسلم بحب من هو خير منه وإلحاقه به على أن ذلك الإلحاق ليس له وإنما هو لله .

فنحن نرجو أن ينفعنا الله بعلمنا وأن ينفعنا بمحض فضله تبارك وتعالى ، ومستحيل أن ندعى أن ما يتفضل به سبحانه علينا هو لنا وإنما هو له وحده تبارك وتعالى بل أعمالنا التى تتفضل سبحانه بأن نسبها إلينا الفضل فيها له وحده عز وجل (س) هل الإنسان مسير أم مخير؟ وهل يوجه الله الإنسان منذ ولادته نحو السعادة أو الشقاء فى الدنيا والآخرة وهل يكون الإنسان بعد ذلك مسئولا عن شقائه ولماذا؟

(ج) لا خلاف بين علماء أهل السنة فى ضلال من يقول إن الإنسان مجبور على أعماله ومن قال من أهل الجبر إن الإنسان غير مكلف ، فقد أجمع علماء المسلمين على كفره وأنه ليس بمسلم ، ومن أثبت التكليف مع الجبر فهو من الفرق الزائفة المبتدعة ، وإن كان لا يكفر . فلو كان الإنسان مقهورا فى أفعاله لما كان هناك فرق بين العاقل وغير العاقل والعاجز والقادر فى المسئولية ، وقد أثبت الله للعبد مشيئة بقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان : ٣٠) والله عز وجل هو الذى شاء أن يكون العبد ذا مشيئة ولولم يعطه الاختيار والمشيئة لاستحال أن ينال ذلك لا بنفسه ولا بغيره فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهو تبارك وتعالى الذى منحه المشيئة كما منحه السمع والبصر ولكنها مشيئة محدودة مقيدة بحدود ، فلا يقدر إلا على ما أعطاه الله القدرة عليه . وهذا الاختيار الذى منحه الله لعباده لا يتنافى مع سبق علم الله بما يفعله العبد ، فإن الله عز وجل يعلم بعلمه القديم أن العبد سيفعل ما يفعل غير مجبور ولا مقهور ، وقد علم سبحانه أن العبد

يأتى ما يأتى مختاراً ، ولذلك كان القدرية مجوس هذه الأمة لأنهم نفوا علم الله عز وجل بما سيفعل العبد ، ومن نفى علم الله فهو جاهل بالله كافر به . قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ (الحديد : ٢٢) والعلم القديم محيط لا نهاية له يشمل الكليات والجزئيات لا يشبه علم الخلق والقدر السابق والكتابة السابقة وما فى أم الكتاب يرجع معناه إلى العلم بما سيفعل العبد وبناء على ما منحه الله وأودع فيه مما تقوم به الحجة مختاراً غير مقهور ولا مجبور . ويستحيل أن يكلف الله عبداً من غير أن يكون لديه ما تقوم به الحجة عليه قال تعالى ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (الانعام: ١٤٩) ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود: ١١٧) ﴿ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الانعام: ٤٧) ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (التوبة: ٧٠) ﴿ فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الانبياء: ٦٤) ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل: ٢٣) ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (هود: ١٠١) .

وأما قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٧٨) فمعناها أن المنافقين الذين دخلوا فى الإسلام ظاهراً وهم يبيطون الكفر ، كانوا إذا أصابتهم حسنة أى نعمة فتنتج ناقة أحدهم أنثى وخيولهم كذلك تلد نساؤكم غلمانا ويحسن حالهم ، قالوا هذه من عند الله وإن تصيبهم سيئة من الجذب أو الضرر فى أموالهم تشاءموا برسول الله ﷺ وقالوا هذه لاتباعنا محمد ، فرد الله عليهم بقوله عز وجل ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (النساء : ٧٨) وسفه عقولهم بقوله تعالى ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء : ٧٨) ومثلهم كالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الاعراف : ١٣١) .

ثم بين الله عز وجل الحقيقة فقال عز شأنه ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٧٩) .

وقال تعالى ﴿فَبُظْلِمَ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٦٠)  
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠) .

وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده لا يصيب المؤمن  
هم ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياها» .

وفى الحديث القدسى عن النبى ﷺ فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه  
قال: «يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» وفى  
هذا الحديث « يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها فمن وجد  
خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» . رواه مسلم فى  
الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه .

★ ★ ★

## الكافر هو المسئول عن الختم على قلبه

ولما كانت جميع الممكنات لا قيومية لها إلا بالحق القيوم سبحانه ، إليه ترجع أفعالهم ومشيتهم واختيارهم ، وهو الذى منحهم القدرة والعقل والتفكير بفضله ، نسب إليه الختم تبارك وتعالى ، ولا يخليهم هذا عن كونهم مسئولين فإنه مسبب عما اجترحوه ، قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ (النساء: ١٥٥) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (المنافقون: ٣) وقد نسب الحق سبحانه وتعالى تلك الأفعال إليهم ووبخهم عليها فلا بد من مصحح لهذه النسبة فإنها حق قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الانسان: ٣٠) فأثبت للخلق مشيئة بمشيئة تعالى وهو الذى منحهم هذه المشيئة وهناك فرق بين من منحه الله تعالى المشيئة وبين من سلبها عنه .

ولسر ما أفرد السمع وجمعت القلوب والأبصار وكأنهم نزلوا من حيث سمعهم كمثل من يسمع لغة لا يعرفها فهو إنما يسمع منها الصوت من غير أن يفقه له معنى . ويشترك الناس جميعا فى أنهم فى هذه الحالة لا يفقهون إلا الصوت ، ومن المفسرين من ذكر أن المسموع نوع واحد هو الصوت بخلاف المعقولات والمبصرات فإنها أنواع من الجواهر والأعراض والموجود فى الخارج والموجود فى الذهن وتفاوت الأفهام والمرائى فى مفهوم واحد أو مرائى واحد أكثر من تفاوت الاسماع فى مسموع واحد .

ومن الأوليات فى الإيمان أن كنه الحق سبحانه لا تدركه الأبصار ولا العقول لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وإنما آمنت بوجوب كماله الذاتى الذى لا نهاية له وقد وقع قوله على سمعهم بين القلوب والأبصار فيحتمل أن يكون مشتركا فى الختم مع القلوب أو الغشاوة مع الأبصار وحمله على الأول أولى لقوله تعالى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى

سَمِعَهُ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴿٢٣﴾ (الجاثية : ٢٣) ومصادر العلم للنفس إما الخبر وهو خاص بالسمع . والمرأى وتعلق بالبصر ، وما يذاق وما يدرك باللمس أو الشم يرجع فى المحسوسات إلى ما يرى منها أو يسمع ويخبر عنه وتختص القلوب بالقضايا من حيث الصحة أو الخطأ ، والمحسوسات من حيث كونها ضارة أو نافعة . والإلهام الذى مصدره الغيب . وواضح من هذا أن قلب المؤمن لم يختم الله عليه ولذلك قرأ أسرار الحق فى نفسه وفى الآفاق واستقى من ينبوع الحقيقة وأفيض عليه من أنوار الغيوب ما بصره بالحق حيث جعل الله له نوراً وفرقانا . كما أن الكافرين لهم عذاب عظيم بالنسبة لما دونه ومن هذا العذاب حجابهم عن الحق سبحانه، وتعالى وبعدهم عن الكمال ، فالمؤمنون الذين أطاعوا الله عز وجل قريهم إليه ورفع الحجاب عن أفئدتهم فأراهم ما ستر عن غيرهم .

★ ★ ★

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
١ - مقدمة .....	٥
٢ - التوحيد والاسلام .....	١١
٣ - توحيد الفطرة الانسانية .....	١٨
٤ - هو الظاهر والباطن .....	٢٣
٥ - الرحمة الإلهية .....	٢٧
٦- وإن من شئ إلا يسبح بحمده .....	٣٠
٧- آيات المنعم فى الكون .....	٣٥
٨ - الإيمان بالله فى عصر الفضاء .....	٣٩
كيف تكونت الأرض والسماء .....	٤٢
٩ - مراتب الوجود .....	٤٧
ما حكم الاكراه على القول والفعل .....	٥٤
١٠- رؤية الله فى الدنيا .....	٥٧
- هل الملائكة لديها عقل وكيف تكتب الأعمال .....	٦٤
- الفرق بين الكلام والتكلم - طلب الدعاء من العبد الصالح .....	٦٤
- هل رأى رسول الله ﷺ ربه فى الاسراء والمعراج .....	٦٦
- هل يمكن رؤية الله عز وجل جهرة .....	٦٧

- هل يوجد بعد النبی ﷺ من يرى الله يقظة ..... ٧٢
- هل يمكن أن يرى الإنسان ربه بالعين المجردة ..... ٧٢
- هل يمكن رؤية الله تعالى على شجرة ..... ٧٣
- ١١- الايمان بالحكمة والتدبير ..... ٧٤
- خطأ عباد المخلوقات - التبليغ عن الحق سبحانه ..... ٧٥
- إقامة الحجة بالتنزيل ..... ٧٧
- هل يجوز التفضيل بين الأنبياء والرسل ..... ٧٩
- ١٢ - تنزيه الأنبياء عليهم السلام ..... ٨٦
- ١٣- عصمة رسول الله ﷺ عن الخطأ في اجتهاده وأوامره ..... ٩١
- هل تجوز المعصية على الأنبياء ..... ٩٩
- آدم ونبوته ورسالته ..... ١٠٧
- طيب المطعم ..... ١١٣
- ١٤ - ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ..... ١١٤
- ١٥- ما الدليل على أن آدم نبي ورسول ..... ١١٥
- ١٦ - وفاة سيدنا عيسى عليه السلام ..... ١١٨
- من سبق الآخر في الوفاة عيسى أم أمه مريم عليهما السلام ..... ١١٩
- ١٧ - من آمن بوحدانية الله والبعث ولم يؤمن بسيدنا محمد ﷺ ..... ١١٩
- ١٨ - من دلائل النبوة ..... ١٢٢
- ١٩ - من المعجزات الحسية لرسول الله ﷺ ..... ١٣١
- ٢٠ - الله أعلم حيث يجعل رسالته ..... ١٣٧

- ١٣٨..... أديان التقليد للأباء ودين الحجة والبرهان
- ١٣٩..... الحقيقة كما هي فى الواقع - العقيدة
- ١٤٠..... التوحيد
- ١٤١..... اللغة
- ١٤٢..... الاخلاق
- ١٤٥..... البشارة به ﷺ
- ٢١ - الاطلاع على الغيب والفناء عند أهل الله
- ١٥٣..... ٢٢ - من إخباره ﷺ بالغيوب
- ١٥٥..... ٢٣ - ما ولدت العرب أكرم منك
- ١٥٦..... ٢٤ - إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
- ١٥٧..... ٢٥ - قدم نبوته ﷺ
- ١٥٨..... ٢٦ - تقدم خلق الأرواح على الأجساد وأول مخلوق لله سبحانه وتعالى؟
- ١٦٦..... ٢٧ - ما جاء فى المهدى
- ١٧٠..... ٢٨ - المسيح الدجال
- ١٧١..... ٢٩ - ما موقف علماء الدين بالنسبة لعلامات الساعة الآن؟
- ١٧٧..... ٣٠ - أول سؤال يتلقاه الميت فى القبر
- ١٧٩..... ٣٠ - بعث الأجساد
- ١٨٠..... هل تحشر الحيوانات يوم القيامة وتحاسب؟
- ١٨١..... ما حكم الإيمان باليوم الآخر والبعث والنفخ فى الصور وعذاب القبر
- ١٨٢..... ما دليل وقوع الشفاعة يوم القيامة؟
- ١٨٥..... ما معنى الحساب اليسير يوم القيامة؟



- هل عذاب النار ونعيم الجنة للروح أم للجسد؟ ..... ١٨٦
- ما معنى الخلود فى النار وهل هناك من يخرج منها؟ ..... ١٨٨
- كيف ستكون الحياة فى الجنة؟ ..... ١٩٣
- العذاب فى الآخرة للأرواح أم للأجساد ..... ١٩٤
- ٣١ - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ..... ١٩٧
- ٣٢ - هل الإنسان مسير أم مخير ..... ٢٠٣
- ٣٣ - الكافر هو المسئول عن الختم على قلبه ..... ٢٠٦

